الإنجيل بحسب

متّى

لا يمكـن مقارنة أيّة كتابة تعـالج موضوعًا تاريخيًـا، في كلا العهدين، بإنجيل متّى؛ إن من حيث عظمة الإنتاج أو من حيث القوّة التي توظّف كميّة كبيرة من المعلومات لدعم أفكار عظيمة.

ثيودور زان ***Theodor Zahn***

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونيّة

يُعتبر إنجيل متّى جسـرًا مثاليًا يصل ما بين العهدين القديم والجديد. فإن كلماته الأولي تأخذنا رجوعًا إلى أول آباء شعب الله، وهو إبراهيم، وإلى الملك الأول العظيم للشعب القديم، أي داود.

ويُعتبر إنجيل متّى نقطة الانطلاق المنطقيّة التي تبدأ منها الرسـالة المسيحيّة إلى العالم، وذلك بسبب نقاط تركيزه والصفة العبرانية المسـيطرة عليه والاقتباسات الكثيرة من العهد القديم التي فيه، وأيضًا بسبب مركزه كأوّل أسفار العهد الجديد.

ويحتـل إنجيل متّى الموضع الأول هذا في ترتيـب الأناجيل الأربعة منذ زمن طويل. وذلك لأنّه كان يُعتقد، حتّى زمن قريب، أنّه كُتب أولاً قبل باقي الأناجيل. كذلك فإن الأسلوب الواضح والمنظّم لإنجيل متّى جعله مناسبًا أكثر للشعب في قراءته. لذلك كان أكثر الأناجيل شعبيّة، متنافسًا في ذلك مع إنجيل يوحنا.

وليس ضروريًّا لنا أن نعتقد أنّ إنجيل متّى كان أوّل الأناجيل التي كُتبت حتى يكون قويم المعتقد. ومع ذلك، فإنّ الكنيسة الأولى كانت في غالبيّتها من المؤمنين اليهود، وكانوا يُعَدّون بالآلاف. فمن المنطقي جدًّا أن يتمّ سدّ احتياج المؤمنين الأوائل أولاً.

٢ـ الكاتب

إنّ الأدلة الخارجيّة منذ القديم تدلّ على أنّ متّى العشار، المدعو أيضًا لاوي، هو الذي كتب الإنجيل الأوّل. ولأنّ متّى لم يكن عضوًا متقدّمًا في جماعة الرسل، لذلك فمن المستغرب أن يُنسب إليه هذا الإنجيل ما لم تكن له علاقة حقيقيّة به.

وإلى جانب وثيقة "تعليم الرسل" القديمة (*Didache*) التي تحوي تعليم الرسل الاثني عشر، فإنّ يوستينوس الشهيد (*Justin Martyr*) وديونيسيون الكورنثي (*Dionysius of Corinth*) وثاوفيلس الأنطاكي (*Theophilus of Antioch*) وأثيناجوراس الأثيني (*Athenagoras the Athenian*) جميعهم اقتبسوا من هذا الإنجيل مؤكّدين صحّته. ويقتبس مؤرّخ الكنيسة يوسابيوس قولاً لبابياس (*Papias*) يقول فيه إنّ متّى "كتب أقوال المسيح (*Logia*) باللغة العبرانية، وقد ترجمها كلّ واحد بحسب ما استطاع". ويتفق معه في هذا القول كل من إيريناوس (*Irenaeus*) وبانتانوس (*Panteanus*) وأوريجنّس (*Origen*). و"العبريّة"، كما هو متعارف عليه عمومًا، لهجة من اللغة الآرامية كان يستعملها العبرانيون أيام المسيح، وهكذا تُستخدم هذه الكلمة في العهد الجديد. والآن ما هي الكتابات المشار إليها بالـ«*Logia*»؟ تعني هذه الكلمة اليونانية عادة "الأقوال"، وذلك كما يحوي العهد القديم "أقوال" الله. لكنّها لا يمكن أن تعني ذلك في تصريح بابياس، وهناك ثلاث وجهات نظر مختلفة بشأن تصريحه:

(١) الإشارة هي إلى إنجيل متّى بالذات، أي إنّ متّى كتب نسخة من إنجيله بالآرامية تخصيصًا ليربح اليهود للمسيح، ولكي يبني المسيحيّين العبرانيين، وأمّا النسخة اليونانية فلم تظهر إلاّ بعد ذلك، وليس قبله.

(٢) الإشارة هي إلى أقوال المسيح فقط، والتي أصبحت في ما بعد جزءًا من إنجيله.

(٣) الإشارة هي إلى الـ*testimonia* أو "الشهادة"، التي هي مقتطفات من كتب العهد القديم استُخدمت لتُظهر أن يسوع هو المسيح. وتُفضّل النظريتان الأوليان على النظرية الثالثة.

هذا وإنّ الإنشاء اليوناني في إنجيل متّى لا يوحي بأنّه مجرّد ترجمة، بل لا بدّ أن يكون وراء هذا التعليم الواسع الانتشار حقائق ينطلق منها (خاصة أنّه لم توجد معارضة مبكّرة له). ويقول التقليد التاريخي بأنّ متّى كرز في فلسطين لمدّة خمس عشرة سنة، ثم ذهب ليبشّر في بلاد أجنبيّة. ومن الممكن أن يكون متّى قد ترك، في سنة ٤٥م، لليهود الذين اعترفوا بيسوع أنّه المسيح، مخطّطًا تمهيديًّا لإنجيله باللغة الآرامية (أو نسخة عن خطابات المسيح فقط)، وكتب بعد ذلك النسخة اليونانية للاستعمال العامّ في المسكونة كلّها. وقد فعل المؤرّخ يوسيفوس، الذي كان

معاصرًا لمتّى، شـيئًا مشـابهًا لذلك. فقد كتب مخطّطًا بالآرامية لمؤلّفه "الحروب اليهودية"، وبعد ذلك أتبعه بنسخة الكتاب الأخيرة في اللغة اليونانية.

أما الأدلّة الداخليّة فتوافق بشـكل جيّد يهوديًّا تقيًّا يحب العهد القديم وله موهبة المحرِّر والكاتب المدقِّق. وقد كان على متّى، بحكم مركزه كخادم مدني لروما، أن يُتقن اللّغتين معًا، لغة شـعبه (وهي الآرامية) ولغة السـلطات الحاكمة (وقد اسـتخدم الرومان في الشرق اللغة اليونانية وليس اللاتينية). أمّا تفاصيل الأعداد، والأمثال المتعلّقة بالمال والمصطلحات الماليّة فكلّها توافق عشّارًا مثل متّى. وهكذا الحال أيضًا بالنسبة إلى الأسلوب المنظّم المقتضب. وقد اعترف جُدْسـبيد *Goodspeed*، وهو عالِمٌ غير مُحافِظ، بصحّة نسـبة كتابة هذا الإنجيل إلى متّى، وقد أدّت هذه الأدلّة الداخليّة المؤيّدة دورًا في ذلك.

إنّ معظم الدارسـين غير المحافظين يرفضون النظريّة التقليدية القائلة بأنّ متّى العشّـار كتب هذا السفر، وذلك بالرغم من أدلّة خارجية شاملة كهذه وأدلّة داخلية مؤيّدة. وهم يبنون موقفهم هذا على قاعدتين رئيسيّتين:

أولاً، إذا ما سـلّمنا بأنّ إنجيل مرقس هو الإنجيل الأوّل الذي كُتب (وهذا تعليم يُدعى في أوسـاط مختلفة اليوم بـ"حقيقة الأناجيل")، فكيف يُمكن لرسـول وشـاهد عيان أن يسـتخدم الكثير ممّا جاء في مرقس (حوالي ٩٣٪ من إنجيل مرقس يحدث في الأناجيل الأخرى)؟ للإجابة عن هذا السؤال أولاً، تجب الإشارة إلى أنّه ليس مثبتًا بأنّ مرقس كُتب أولاً. فالشهادة القديمة تقول بأنّ متّى كُتب أولاً، وهذا يغدو أمرًا منطقيًا جدًّا، إذ إنّ الكنيسة في أوّل أمرها كانت مؤلّفة في غالبيتها من اليهود. حتى لو سـلّمنا بأولية إنجيل مرقس (كما يفعل كثير من المحافظين أيضًا)، لكان من الممكن أن يكون متّى قد أدرك أنّ كتابة مرقس هي إلى حدّ كبير نتيجة استذكارٍ من قبل الرسول النشيط بطرس (زميل متّى في الرسولية)، كما هو معتقد في التقليد الكنسي الأول (راجع المقدمة إلى إنجيل مرقس).

والحجة الثانية المقدّمة ضد كتابة متّى (أو أي شاهد عيان) لهذا الإنجيل، هي أنّ الإنجيل تنقصه التفاصيل الحيوية. إنّ مرقس الذي لا يدّعي أحد بأنه كان شـاهد عيان لخدمة المسـيح، أغنى إنجيله بتفاصيل حيوية ومتنوعة مما يوحي بأنّه كان موجودًا هناك. فكيف يمكن لشـاهد عيان، كمتّى، أن يكتب بشكل فيه مسلّمات كثيرة؟ ربما توضح لنا شخصية العشّار هذا الأمر جيدًا؛ فمن الممكن أن يكون لاوي قد ترك جانبًا التفاصيل التي لا لزوم لها بغية الإفساح في المجال للمزيد من أحاديث الرب يسوع. وقد يكون هذا بالأخص صحيحًا، إذا كان مرقس قد كتب إنجيله أولاً، ورأى متّى أن التفاصيل التي تذكّرها بطرس مسرودة بشكل جيّد.

٣- التاريخ

إذا كان الاعتقاد الشـائع أنّ متّى كتب نسـخة أولى من إنجيله باللغة الآرامية (أو على الأقل أقوال المسـيح) صحيحًا، فإنّ تاريخ هذه الكتابة يكون سـنة ٤٥م، أي خمس عشـرة سنة بعد صعود المسيح، وهذا يوافق التقليد

القديم. ويمكن أن يكون قد أنجز النسخة الكاملة القانونية للإنجيل باللغة اليونانية حوالي سنة ٥٠ ـ ٥٥م، أو بعد ذلك.

أمّا الرأي القائل بأنّ الإنجيل لا بدّ أن يكون قد كُتب بعد خراب أورشليم (سنة ٧٠م)، فهو يستند، إلى حد كبير، على عدم الإيمان بمقدرة المسيح على التنبؤ بتفاصيل هذه الحادثة المستقبلية بشكل تفصيلي، أو على غير ذلك من النظريات العقلانية التي تتجاهل أو تنكر الوحي الإلهي.

٤ـ الخلفية والمواضيع الرئيسية

كان متّى شابًّا حديث السن عندما دعاه الرب يسوع. وإذ كان يهوديًّا بالولادة وعشّارًا بالمهنة والممارسة، فقد ترك كلّ شيء ليتبع المسيح. وكانت واحدة من التعويضات الكثيرة له أنّه أصبح واحدًا من الاثنى عشر رسولاً. أمّا التعويض الآخر فكان أنّه اختير لكتابة ما أصبح معروفًا اليوم بالإنجيل الأوّل. والمعتقد عمومًا أنّ متّى هو نفسه لاوي (مر٢: ١٤؛ لو٥: ٢٧).

ويريد متّى في إنجيله أن يُظهر أنّ يسوع هو مسيح الأمّة الذي طال انتظاره، والوارث الشرعي الوحيد لعرش داود.

ولا يدّعي هذا الإنجيل بأنّه رواية كاملة لسيرة حياة المسيح، فهو يبتدئ بسلسلة نسبه والسنوات الأولى من حياته، ثم يقفز إلى بداية خدمته العلنيّة عندما كان عمره حوالي ثلاثين سنة. وينتقي متّى، مسوقًا بالروح القدس، تلك الأوجه من حياة المخلّص وخدمته التي تشهد له بأنّه الممسوح من الله (أي المسيح). ثم ينتقل الإنجيل إلى الذروة التي هي محاكمة الرب يسوع وموته ودفنه وقيامته وصعوده إلى السماء. في هذه الذروة، بالطبع، تمّ وضع الأساس لخلاص الإنسان. لهذا السبب دُعي هذا السفر إنجيلاً، ليس لأنّه يُقدّم الطريق الذي يُمكن بواسطته للخطاة أن يحصلوا على الخلاص فحسب، بل بالحري لأنّه يصف ذبيحة المسيح الكفارية التي بواسطتها أصبح الخلاص ممكنًا للجنس البشري.

هذا وليس القصد من "تفسير الكتاب المقدّس للمؤمن" أن يُقدّم معالجة شاملة وتقنيّة لكل التفاصيل، بل بالحري أن يحثّ على الدراسة المستقلّة والتأمّل. والقصد منه، في المقام الأوّل، هو أن يبعث في قلب القارئ حنينًا شديدًا لرجوع الملك.

يسوعُ قد طالَ الغيابِ والشوقُ أحشائي يذيبْ
متى تعود للأحبابِ كما وعدتَ يا حبيبْ؟

التقسيم

١ـ سلسلة نسب المسيح الملك وميلاده (أص١).

٢ـ السنوات الأولى للمسيح الملك (أص٢).

٣ـ الاستعدادات لخدمة المسيح وتوليته (أص٣، ٤).

٤ـ دستور الملكوت (أص٥ ـ ٧).

٥ـ معجزات القوة والنعمة من قِبَل المسيح وردود الفعل المختلفة عليها (أص٨: ١ ـ ٩: ٣٤).

٦ـ رُسل المسيح الملك يُرسلون إلى الأُمّة القديمة (أص٩: ٣٥ ـ ١٠: ٤٢).

٧ـ المعارضة والرفض يتزايدان (أص١١، ١٢).

٨ـ الملك يعلن فترة انتقالية جديدة للملكوت بسبب رفض إسرائيل (أص١٣).

٩ـ نعمة المسيح التي لا تكلّ تُقابَل بالعداء المتزايد (أص١٤: ١ ـ ١٦: ١٢).

١٠ـ الملك يُحضِّر تلاميذه (أص١٦: ١٣ ـ ١٧: ٢٧).

١١ـ الملك يعلّم تلاميذه (أص١٨ ـ٢٠).

١٢ـ تقديم الملك ورفضه (أص٢١ ـ٢٣).

١٣ـ حديث الملك على جبل الزيتون (أص٢٤، ٢٥).

١٤ـ آلام الملك وموته (أص٢٦، ٢٧).

١٥ـ انتصار الملك (أص٢٨).

التفسير

١ـ سلسلة نسب المسيح الملك وميلاده (أص١)

أ. سلسلة نسب يسوع المسيح (١: ١ـ١٧)

قد يتعجّب الذي يقرأ العهد الجديد قراءة عرضيّة فيتساءل قائلاً: لماذا يبدأ متّى بشيء يبدو مُملاً مثل شجرة نسب العائلة؟ وقد يظنّ أن لا فائدة تُرجى من قائمة الأسماء هذه، وهكذا يتخطّاها إلى حيث تبدأ الأحداث.

ومع ذلك فسلسلة النسب لا غنى عنها، فهي تضع الأساس لكل ما يتبع. فمن المستحيل أن يثبت متّى أنّ يسوع هو المسيح الملك، ما لم يبيّن أنه شرعيًّا من نسل داود ومن السلالة الملكيّة. ويبدأ متّى روايته

حيث يجب؛ بدليل وثائقي يثبت أنّ يسوع هو الوارث الشرعي لحقّ المُلك على عرش داود، من طريق زوج أمّه يوسف. وتتبع سلسلة النسب هذه نسب يسوع الشرعي بصفته مَلِك الأُمّة. أمّا سلسلة النسب في إنجيل لوقا فهي تتبّع نسبه المباشر كابن داود. ويتتبّع متّى في أنسابه الخطّ الملكي المتحدّر من داود بطريق ابنه سليمان الذي ملك بعده. أمّا لوقا فهو يتتبّع في أنسابه التسلسُل المنطلق من داود، من طريق ابن آخر هو ناثان. وتنتهي هذه السلسلة في إنجيل متّى بيوسف الذي كان يسوع ابنه بالتبنّي. ومن المرجّح أنّ السلسلة في لوقا٣ تتتبّع أسلاف مريم التي كان يسوع ابنها فعلاً.

لقد صنع الله مع داود، قبل ألف سنة، اتفاقًا غير مشروط واعدًا إياه بمملكة تدوم إلى الأبد، ونسل يحكم إلى الدهر (مز٨٩: ٤، ٣٦، ٣٧). وقد تحقّق هذا العهد الآن في المسيح: فهو الوارث الشرعي لعرش داود من طريق يوسف، وهو نسل داود الفعلي من طريق مريم. ولأنّه حيّ إلى الأبد فمملكته تدوم إلى الأبد، وهو سيملك إلى الأبد بوصفه ابن داود الأعظم. لقد جمع المسيح في شخصه الأساسين الوحيدين للمطالبة بعرش المُلك على الأُمّة (الشرعي والوراثي). وبما إنّه حيّ، فلا وجود لمُطالبٍ غيره.

١: ١ ـ ١٥ إن الصيغة «**كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم**»، تشبه التعبير الوارد في تكوين ٥: ١ «هذا كتاب مواليد آدم». فسفر التكوين يقدّم آدم الأول، ومتى يقدّم آدم الأخير. لقد كان آدم الأول رئس الخليقة الأولى، أو الخليقة الطبيعيّة. أمّا المسيح، آدم الأخير، فهو رأس الخليقة الجديدة، أو الخليقة الروحيّة.

وموضوع هذا الإنجيل هو **يسوع المسيح**. ويقدّمه اسم **يسوع** بوصفه الربَّ المخلّص، واسم **المسيح** بوصفه المسيّا الذي طال انتظار الشعب القديم له. ويرتبط **ابن داود** بدورَي كل من المسيح والملك في العهد القديم. أمّا اللقب **ابن إبراهيم** فيُقدّم الرب يسوع على أنّه الشخص الذي يحقّق المواعيد التي أُعطيت للجدّ الأعلى للشعب العبراني.

تقسّم سلسلة نسب المسيح إلى ثلاثة أقسام تاريخيّة وهي: من إبراهيم إلى يسّى، ومن داود إلى يوشيّا، ومن يكنيا إلى يوسف. القسم الأول يُمهّد لداود، والقسم الثاني يُغطّي فترة المملكة، والثالث يحفظ سجلّ النسب الملوكي أثناء فترة النفي (٥٨٦ق م وما يلي).

وهناك خصائص كثيرة هامّة في هذا السجل. على سبيل المثل، وفي هذه الفقرة بالذات، ورد ذكر أربع نساء: **ثامار وراحاب وراعوث وبثشبع** (وهي التي كانت زوجة لأوريّا). ولمّا كانت النساء نادرًا ما يُذكرن في قوائم تسلسل الأنساب في البلاد الشرقية، فإنّ تضمين أولئك النساء هنا يُعتبر أمرًا مدهشًا جدًّا، فاثنتان منهنّ ساقطتان وهما ثامار وراحاب، وواحدة ارتكبت خطية الزنا وهي بثشبع، واثنتان أمميّتان وهما راحاب وراعوث. وربّما يكون تضمينهنّ في مقدّمة إنجيل متّى إيحاءً بارعًا بأنّ مجيء المسيح سيجلب الخلاص للخطاة، والنعمة للأمم، ففي المسيح تنهدم حواجز الاختلافات العرقيّة والجنسيّة.

وممّا يَلفت الانتباه ذكر ملك اسمه **يكنيا**. فقد لعن الله في إرميا ٢٢: ٣٠ ذلك الرجل قائلاً: «هكذا قال

الرب، اكتبوا هذا الرجل عقيمًا، رجلاً لا ينجح في أيامه، لأنّه لا ينجح من نسله أحد جالسًا على كرسي داود وحاكمًا بعد في يهوذا». فلو كان يسوع هو الابن الحقيقي ليوسف، لكان وقع تحت هذه اللّعنة. ومع ذلك، كان يجب أن يكون الابن الشرعي ليوسف، لكي يرث الحق في عرش داود. وقد سوّيت المشكلة بمعجزة الولادة من عذراء؛ فكان يسوع هو الوارث الشرعي للعرش من طريق يوسف، كما كان هو الابن الحقيقي لداود من طريق مريم. فاللّعنة التي وقعت على يكنيا لم تقع على مريم ولا على مَن وَلَدت، لأنها لم تكن من سلالة يكنيا.

١: ١٦ إن العبارة «**التي منها**» في اللغة الأصلية تتوافق مع الترجمة العربيّة في إشارتها إلى مريم التي وُلد منها المسيح. لكن علاوة على هذه الخصائص الهامة التي تحويها سلسلة النسب هذه، تجب الإشارة إلى الصعوبات التي تخلّفها أيضًا.

١: ١٧ يُولي متّى انتباهًا خاصًا لحقيقة وجود ثلاثة أقسام يكوّن كل منها **أربعة عشر جيلاً**. ومع ذلك، نعرف من العهد القديم أنّ أسماء معيّنة مفقودة من القائمة. فعلى سبيل التمثيل، بين يورام وعزيّا (ع٨) حكم أخزيا ويوآش وأمصيا ملوكًا (راجع ٢مل٨-١٤؛ ٢أخ٢١-٢٥). يبدو أنّ سلسلتي النسب في إنجيل متّى وإنجيل لوقا تتداخلان عند ذكر اسمَي شألتيئيل وزربّابل (مت١: ١٢، ١٣؛ لو٣: ٢٧). ويبدو من المستغرب أنّ نسب يوسف ونسب مريم يتداخلان مع هذين الرجلين، ليعودا فينفصلا مرّة أخرى. وتزداد المشكلة تعقيدًا عندما نلاحظ أنّ كلا الإنجيليين يتبع عزرا ٣: ٢ في وضع زربّابل في القائمة على أنّه ابن شألتيئيل، فيما في أخبار الأيام الأولى ٣: ١٩ نجده مذكورًا كأحد أولاد فدايا. توجد صعوبة ثالثة وهي أنّ متّى يحسب ٢٧ جيلاً من داود إلى المسيح، فيما يحسب لوقا ٤٢ جيلاً. فحتّى لو كان البشيران لا يرسمان شجرة العائلة نفسها، فوجود فروقات كبيرة في عدد الأجيال ما يزال يبدو أمرًا غريبًا.

فما هو الموقف الذي يجب على دارس الكتاب اتخاذه تجاه هذه الصعوبات والفروقات الظاهريّة؟ أولاً، إنّ الأساس المبدئي الذي ننطلق منه هو أنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله الموحى بها، لذلك فلا يمكن أن يكون فيه أخطاء. ثانيًا، إنّه لامتناهٍ لأنه يعكس عدم محدوديّة الله. فإننا نستطيع أن نفهم الحقائق الأساسيّة للكلمة، لكنّنا لا نقدر أبدًا أن ندرك كل ما يوجد فيها.

لذلك فالطريقة التي بها نعالج هذه الصعوبات تقودنا إلى الإقرار بأنّ المشكلة تكمن في عدم معرفتنا الكاملة وليس في عدم عصمة الكتاب المقدّس. لذلك يجب أن تكون المشكلات التي نواجهها في الكتاب المقدس حافزًا لنا على المزيد من الدراسة والبحث عن الأجوبة، لأنّ «مجد الله إخفاء الأمر ومجد الملوك فحص الأمر» (أم٢٥: ٢).

ثمّ إنّ أبحاث المؤرخين وتنقيبات علماء الآثار كلّها لم تستطع أن تُبيّن عدم صحّة أقوال الكتاب المقدّس. فهناك تفسيرات معقولة لكلّ ما يبدو لنا أنّه صعوبات وتناقضات، وهذه التفسيرات مفعمة بالفائدة والمغزى الروحي.

ب. يسوع المسيح يولد من مريم (١: ١٨-٢٥)

١ : ١٨ لقد كانت ولادة يسوع المسيح مختلفة عن أي من الولادات المذكورة في سلسلة النسب. فهناك نجد الصيغة المتكرّرة "فلان ولد فلانًا". ولكننا الآن أمام سجلّ ميلاد بغير أب بشري. والحقائق التي تحيط بهذا الحَبَل المعجزي مذكورة بكلّ جلال وبساطة. فلقد كانت **مريم** موعودة بالزواج من **يوسف**، لكنّ الزفاف لم يكن قد تمّ بعد. وكانت الخطبة، في زمن العهد الجديد، بمثابة ارتباط (لكنّه كان أكثر إلزامًا للطرفين مما هو في أيّامنا هذه) لا يمكن فكّه إلاّ من طريق الطلاق. ومع أنّه لم يكن الخطيبان أن يعيشا معًا حتى إتمام مراسيم الزواج، فإنّ الخيانة من جانب أيّ من الطرفين كانت تحسب عمليّة زنى وتعاقَب بالموت.

وحدث أنّ مريم وُجدت، أثناء خطبتها، حبلى **من الروح القدس**، بمعجزة. وقد سبق ملاك الرب فأعلن لها هذا الأمر قائلاً: «الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العلي تظلّلك» (لو ١: ٣٥). وقد خيّمت على مريم سحابة الشكوك والفضيحة، ففي كل التاريخ البشري لم توجد ولادة من عذراء. إذ عندما كان الناس يرون امرأة حبلى وهي غير متزوّجة، لم يكن لديهم سوى تفسير واحد محتمل.

١ : ١٩ حتى يوسف أيضًا لم يكن يعرف حقيقة الأمر بالنسبة لوضع مريم. وربّما كان غاضبًا على خطيبته لسببين: أولاً، لخيانتها له، بحسب الظاهر. وثانيًا، لأن لا مفرّ من اتهامه شخصيًا بالمشاركة في الموضوع، على الرغم من براءته. ثمّ إنّ محبته لمريم ورغبته في العدالة دفعاه لأن يتّخذ قرارًا بفسخ الخطبة بالطلاق السرّي.

لقد كان راغبًا في تجنّب العار العلني الذي يصاحب عادة موقفًا كهذا.

١ : ٢٠ وبينما كان **يوسف**، ذلك الرجل النبيل المتروّي، يخطّط لكي يحمي مريم، **إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم**. وكأن القصد من تحيّته له بالقول، «**يا يوسف ابن داود**»، كان بغية تذكيره بأصله الملوكي، ولكي يعدّه لذلك المجيء الفريد للمسيح الملك الموعود. فلا داعي لأن تساوره شكوك تمنع زواجه بمريم. فكلّ اشتباه من جهة طهارتها لم يكن له أساس، وحبلها كان معجزة من عمل **الروح القدس**.

١ : ٢١ عندئذ أعلن الملاك جنس الطفل الذي سيولد، واسمه ومهمّته. ذلك أنّ مريم كانت **ستلد ابنًا**، وتدعو **اسمه يسوع** (الذي يعني "يهوه (الربّ) هو الخلاص" أو "يهوه (الربّ) المخلص"). **فهو سيخلّص شعبه من خطاياهم** تمامًا كما يُعلن اسمه. لقد كان هذا الطفل الذي جاء في ملء الزمان هو يهوه (الرب) نفسه، وقد جاء لزيارة الأرض لكي يخلّص الشعب من عقاب الخطية، ثمّ من سلطتها، وأخيرًا من وجودها بالذات.

١ : ٢٢ وبينما كان متّى يسجّل هذه الأحداث، تحقّق من أنّ تقويمًا جديدًا قد طلع فجره في تاريخ معاملات الله مع الجنس البشري. فلقد دبّت الحياة الآن في كلمات النبوّة الخاصة بالمسيح والتي كانت ساكنة لزمن طويل. وانجلى الآن في طفل مريم لغز نبوّة إشعياء التي تمّت: «**وهذا كلّه كان ليتمّ ما قيل من الربّ بالنبي القائل**». وهنا يعترف متّى بالوحي الإلهي لكلمات النبي إشعياء التي تكلّم بها الرب على لسان النبي بنحو سبعمائة سنة قبل الميلاد.

١: ٢٣ إنّ نبوّة إشعياء ٧: ١٤ تضمّنت التنبؤ بميلاد فريد: «**هوذا العذراء تحبل**» وبجنس الطفل، «**وتلد ابنًا**»، وباسم الطفل، «**وتدعو** (هي) **اسمه عمّانوئيل**». وأضاف متى قائلاً: «**عمّانوئيل الذي تفسيره الله معنا**». هذا ولا يوجد أي دليل يشير إلى أنّ الرب يسوع دُعي **عمّانوئيل** أثناء وجوده على الأرض، فلقد كان دائمًا يُدعى **يسوع**. ومع ذلك فإنّ معنى اسم يسوع (أنظر ع٢١) يُفهم منه ضمنيًّا حضور الله معنا. ويمكن أن يكون «**عمّانوئيل**» الاسم الذي سيُستخدَم بشكل رئيسي للمسيح في مجيئه الثاني.

١: ٢٤ ونتيجة لتدخّل الملاك، رجع يوسف عن خطّته لطلاق مريم. واستمرّ في خطبته لها حتى ولدت يسوع، وبعد ذلك تزوّجا.

١: ٢٥ يُبطل هذا العدد التعليم الذي يقول ببتولية مريم الدائمة إذ ينفي تعليمًا كهذا تحقيقُ زواجهما المذكور في هذا العدد. وتوجد شواهد أخرى تشير إلى أنّ مريم رُزقت أولادًا من يوسف وهي متى ١٢: ٤٦؛ ١٣: ٥٥، ٥٦؛ مرقس٦: ٣؛ يوحنا٧: ٣؛ أع١: ١٤؛ ١كورنثوس٩: ٥؛ غلاطية١: ١٩.

وقد اتخذ يوسف طفل مريم ابنًا له بالتبني عندما اتخذها زوجة له. وبهذه الطريقة أصبح يسوع وارثًا شرعيًّا لعرش داود. ولقد دعا اسم الطفل يسوع، طاعةً لما قاله الملاك.

هكذا ولد الملك المسيح، ودخل الشخص الأزلي حيّز التاريخ، وصار الكلّي القدرة طفلاً صغيرًا. فقد حجب ربّ المجد ذلك المجد في جسم بشريّ، و«فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًّا» (كو٢: ٩).

٢ـ السنوات الأولى للمسيح الملك (اص٢)

أ. المجوس يأتون ليسجدوا للملك (٢: ١ـ١٢)

٢: ١، ٢ من السهل أن يختلط على المرء أمر توقيت الأحداث المحيطة بولادة المسيح. فبينما يشير العدد الأوّل إلى أنّ هيروس حاول أن يقتل يسوع أثناء إقامة مريم في الأصطبل في بيت لحم، نجد أنّ الدلائل بمجملها تشير إلى زمن متأخر مدة سنة أو سنتين. ويقول متى في العدد ٢ إنّ المجوس رأوا يسوع في منزل. وإنّ أمر هيرودس بقتل الأطفال من ابن سنتين فما دون (ع١٦)، يُعتبر أيضًا إشارة إلى مرور فترة غير محدّدة على الولادة الملكيّة.

لقد كان **هيرودس** الكبير من سلالة عيسو، ولذلك كان عدوًّا تقليديًّا لليهود. وكان قد اعتنق اليهودية، لكن ربّما فعل ذلك بدافع سياسي ليس إلاّ. وحدث في أواخر حكمه أنّ **مجوسًا جاؤوا من المشرق يبحثون عن ملك اليهود**. وربما كان هؤلاء من كهنة الوثنيّين الذين كانت شعائرهم تتمركز حول عناصر الطبيعة. ولأنّهم كانوا ذوي معرفة وقدرة على التنبؤ، فقد كانوا غالبًا ما يُنتخبون مستشارين للملوك. هذا ولسنا نعلم أين كانوا يعيشون في المشرق، ولا كم كان عددهم، أو كم من الوقت استغرقت رحلتهم.

لقد أعلمهم نجم المشرق، بطريقة ما، بميلاد الملك الذي جاؤوا ليسجدوا له. وربما كانوا مطّلعين على نبوّات العهد القديم التي تتعلّق بمجيء المسيح. ولربّما عرفوا نبوّة بلعام الذي قال إنّه «يبرز كوكب من يعقوب» (عد٢٤: ١٧)، وربطوا هذه بنبوّة الأسابيع السبعين التي أنبأت بزمن المجيء

الأوّل للمسيح (دا٩: ٢٤، ٢٥). ولكن يبدو من المحتمل أن تكون هذه المعلومات قد وصلتهم بطريقة خارقة للطبيعة. ولقد اقتُرحت تفسيرات علمية متنوّعة لتفسير ظهور النجم. فعلى سبيل المثل يقول قوم بأنّه نتج عن اقتران مجموعة من الأجرام السماوّية. لكنّ مسار ذلك النجم كان أمرًا خارقًا للطبيعة، فلقد سار أمام المجوس هاديًا إيّاهم من أورشليم إلى البيت حيث كان يسوع مقيمًا (ع٩)، ثمّ توقّف بعد ذلك. وكان هذا في الواقع أمرًا غير اعتيادي لا يمكن وصفه بسوى المعجزة.

٢: ٣ فلما سمع هيرودس الملك أنّ طفلاً قد وُلد وأنّه هو ملك اليهود، اضطرب. فإنّ طفلاً كهذا يُعتبر تهديدًا لحكمة غير المستقرّ، وقد اضطربت كل أورشليم معه. فالمدينة التي كان يجب أن تستقبل الخبر بفرح، كانت تنزعج من أي شيء يمكن أن يزعزع الوضع القائم فيها، أو يثير استياء الحكام الرومان المكروهين.

٢: ٤ ـ ٦ فجمع هيرودس قادة اليهود ليعرف مكان ولادة المسيح. وكان رؤساء **الكهنة** يتألّفون من **رئيس الكهنة** وأبنائه (وربما آخرون أيضًا من أفراد عائلته). أمّا **كتبة الشعب** فكانوا من العامّة وهم خبراء في شريعة موسى. فقد حفظوا الشريعة وعلّموها، وخدموا كقضاة في المجمع اليهودي. واقتبس هؤلاء الكهنة والكتبة مباشرة ميخا ٥: ٢، الذي اعتبر **بيت لحم اليهودية** مكان ولادة الملك. ويدعو نص النبوّة في ميخا المدينة **بيت لحم أفراتة**. ولمّا كانت توجد أكثر من مدينة في فلسطين تسمّى **بيت لحم**، فإنّ تسميتها هذه تعرّفها على أنّها المدينة التي في مقاطعة أفراتة التي تقع داخل حدود سبط يهوذا.

٢: ٧، ٨ ودعا الملك **هيرودس المجوس** سرًّا، ليتحقّق منهم **زمان ظهور النجم**. كشفت هذه السريّة عن دافع القسوة الذي كان يحرّكه: فهو يحتاج إلى هذه المعرفة إذ لم يقدر على تحديد المكان الصحيح للطفل المولود. ولكي يعطي قصده الحقيقي، أرسل المجوس في طريقهم للبحث، وطلب منهم أن يخبروه إذا نجحوا في ذلك.

٢: ٩ ولما انطلق المجوس، **إذا النجم الذي رأوه في المشرق** يظهر لهم ثانية. ويشير هذا إلى أنّ النجم لم يكن قد أرشدهم الطريق كلّه من المشرق، ولكنّه الآن يرشدهم إلى المنزل الذي كان فيه الطفل.

٢: ١٠ نجد هنا تنويهًا بالفرح العظيم الذي فرحه المجوس عندما رأوا النجم. لقد كان هؤلاء الأمميّون يطلبون المسيح باجتهاد، فيما كان هيرودس يخطّط لقتله، والكهنة والكتبة غير مبالين، والشعب في أورشليم مضطرب. كانت هذه المواقف دلائل تشير إلى الطريقة التي يُتوقّع أن يُلاقى بها المسيح.

٢: ١١ ولمّا دخل المجوس البيت **رأوا الصبي مع مريم أمّه، فخرّوا وسجدوا له**، مقدّمين **هدايا** ثمينة، **ذهبًا ولبانًا ومرًّا**. لاحظ أنّهم رأوا يسوع مع أمّه، وفي العادة تُذكر الأمّ أولاً ثم بعد ذلك طفلها. ولكنّ هذا الطفل كان فريدًا في نوعه، ويجب أن يُعطى المكان الأوّل (أنظر ع١٣، ١٤، ٢٠، ٢١). لذلك سجد المجوس ليسوع، وليس لمريم أو ليوسف. (حتّى إنّ ذكر يوسف لم يرد في هذه الرواية، وسريعًا سيختفي بالكامل من سجلّ الإنجيل). إنّ الربّ يسوع وحده هو الذي يستحقّ تسبيحنا وعبادتنا، وليس مريم أو يوسف.

هذا وإنّ الكنوز التي قدّموها مليئة بالمعاني: **فالذهب**

يرمز إلى الألوهيّة والمجد. وهو يشير إلى الكمال المشرق لشخصه الإلهي. **واللبان** دهن أو عطر، وهو يوحي بالعبير الذي يفيح من حياة الطهر والكمال. **والمرّ** هو عشبة مرّة، وهو يُنذر بالآلام التي سوف يتحمّلها المسيح في حمله لخطايا العالم. ويذكّر إحضار الأمم للهدايا بالكلام المذكور في إشعياء ٦٠: ٦. فلقد تنبأ إشعياء بأنّ الأمم سيأتون إلى المسيح بهدايا، ولكنّه ذكر ذهبًا ولبانًا فقط: «... تحمل ذهبًا ولبانًا وتبشّر بتسابيح الرب». لماذا حذف المر؟ ذلك لأنّ إشعياء كان يتكلّم عن مجيء المسيح ثانيةً، مجيئه في قوّة ومجد عظيم. لن يكون مرّ حينذاك، لأنّه لن يتألم بعد في ذلك الوقت. ولكن يرد ذكر المرّ في متّى لأنّ مجيئه الأول هو الذي في الصورة. فهنا، في متىّ، نجد الآلام التي للمسيح؛ أمّا في مقطع إشعياء، فنجد الأمجاد التي بعدها.

٢: ١٢ لقد أُوحي إلى المجوس **في حلم** تحذيري من الله، **ألاّ يرجعوا إلى هيرودس**، وهكذا أطاعوا فعادوا إلى كورتهم في طريق آخر. فما من أحد تقابل مع المسيح بقلب صادق ورجع في نفس الطريق التي أتى منها، لأنّ المواجهة الصادقة مع المسيح تغيّر الحياة بجملتها.

ب. *يوسف ومريم ويسوع يهربون إلى مصر* (٢: ١٣-١٥)

٢: ١٣، ١٤ كان خطر الموت يحدق بالرب يسوع منذ الطفوليّة. ومن الواضح أنّه ولد لكي يموت، لكن في الوقت المعيّن فقط. أيّ من سلك بحسب مشيئة الله لا يمكن أن يموت قبل إتمام عمله. **وإذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف** محذّرًا إيّاه في حلم **ليهرب إلى مصر** مع عائلته. فلقد كان هيرودس مزمعًا أن يبدأ عمليّة "بحث وإهلاك". وأصبح أفراد العائلة لاجئين هربًا من غضب هيرودس. ولا نعرف كم من الوقت مكثوا هناك، ولكن بموت هيرودس أصبح الطريق سالكًا لرجوعهم إلى الوطن.

٢: ١٥ وهكذا أُضفي معنًى جديد على نبوّة أخرى من العهد القديم. فقلد قال الله بفم هوشع النبي: «... من مصر دعوت ابني» (هو١١: ١). ويشير هذا القول في الأصل إلى إنقاذ الشعب من مصر في زمن الخروج. ولكنّ النص قابل لمعنى مزدوج، فتاريخ المسيح قد يتوازى مع تاريخ الأمّة إلى حدّ بعيد. لذلك فإنّ هذه النبوّة تحقّقت في حياة المسيح برجوعه من مصر إلى فلسطين.

وعندما يرجع الرب ليحكم بالعدل، ستكون مصر إحدى البلدان التي ستشترك ببركات الملك الألفي (إش١٩: ٢١-٢٥؛ صف٣: ٩، ١٠؛ مز٦٨: ٣١). فلماذا يعطف الرب على أمّة كهذه وهي عدوّ تقليدي لإسرائيل؟ هل يمكن أن يكون هذا رمزًا للعرفان الإلهي بالجميل، لإنّها منحت الرب ملجأً يحتمي فيه؟

ج. *هيرودس يذبح أطفال بيت لحم* (٢: ١٦-١٨)

٢: ١٦ لمّا لم يرجع المجوس، تحقّق **هيرودس** من أنّه قد انخدع في محاولته لتحديد مكان الملك الصغير. وإذ هاج غضبه بشدّة، أمر بقتل **جميع الصبيان في بيت لحم** وكلّ ضواحيها، **من ابن سنتين فما دون**. أمّا عدد الأطفال الذين ذُبحوا فقد اختلف تقديره، فواحد من الذين كتبوا في هذا الأمر اقترح أنّ عددهم كان حوالي ٢٦ ومن المستبعد أن يكون العدد بالمئات.

٢: ١٧، ١٨ كان البكاء الذي أعقب قتل الأطفال تحقيقًا لكلمات **إرميا النبي** القائلة: «هكذا قال الرب.

صـوت سمـع في الرامة نوح وبكاء مـرّ. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزّى عن أولادها لأنّهم ليسوا بموجودين» (إر٣١: ١٥).

وتمثّل راحيل في هذه النبوّة الأُمّة القديمة. فإنّ حزن الأمّة نُسب إلى راحيل التي دُفنت في الرامة (قرب بيت لحم حيث حدثـت عمليّة الذبح). ولّما مَرّ الوالدون المفجوعون بقبرهـا، كانت وكأنّها تبكـي معهم. أمّا هيرودس فلم يجنِ شـيئًا مـن وراء محاولته للقضاء على غريمه الصغير، إلاّ ذكرًا مخزيًا في سجلاّت تاريخ العار.

د. *يوسف ومريم ويسوع يسكنون الناصرة* (٢: ١٩-٢٣)

بعـد وفاة هـيرودس أكّد ملاك الرب ليوسـف أنّ الوضع أصبح آمنًـا للرجوع. وعند وصوله إلى أرض إسـرائيل، سمـع يوسـف أنّ ارخيلاوس ابـن هيرودس يملـك على يهوذا بعد أبيه. وكان يوسـف غير راغب في المغامرة وفي الدخـول إلى هذه المنطقة. ولّما تأكّدت له مخاوفه في حلم من الله، سافر شمالاً إلى الجليل وسكن في الناصـرة. ويذكّرنـا متّـى، للمـرّة الرابعة في هذا الأصحـاح، بـأنّ ذلـك كان لتتحقّـق النبـوّة. وهو لا يذكر نبيًّا معيّنًا بالاسم، لكنّه يقول إنّ الأنبياء كانوا قد تنبأوا بأنّ المسـيّا سيُدعى ناصريًـا. ولا يوجد قول في العهد القديم يصرّح بهذا مباشرة، ويرجّح كثيرون من الدارسين أنّ متى يشير إلى إشعياء١١: ١، «ويخرج قضيـب من جذع يسّـى وينبت غصن مـن أصولة». فالأصل العبري لكلمة «جذع» هـو "نتصر netzer"، لكنّ الربط بين الاثنين يبدو مُستبعَدًا. والتفسير الأكثر احتمـالاً، هو أنّ الكلمة «ناصريًّا» تسـتخدم لوصف أيّ واحـد عاش في الناصـرة، تلك المدينـة التي يُنظر إليها بالاحتقـار والازدراء عند باقي الشـعب. ولقد عبّر نثنائيل عن هذا بالقـول المضروب به المثل: «أ من الناصرة يمكن أن يكون شـيء صـالح؟» (يو١: ٤٦). وقـد لصق هـذا الازدراء الـذي حلّ بالمدينـة بأهلها جميعهـم. لذلك عندمـا يقول العدد ٢٣ **إنّه سـيُدعى ناصريًّا**، فهذا يعني أنّه سـيعامل بـالازدراء والاحتقار. ومـع أنّنا لا نسـتطيع أن نجد آية نبوّة تقول إنّ يسـوع سـيدعى ناصريًـا، إلاّ أنّه يمكن أن نجد نبـوّة تقول إنّه «محتقر ومخـذول من النـاس» (إش٥٣: ٣). وتقول نبوّة أخرى: «أمّا أنا فدودة لا إنسـان. عار عند البشر ومحتقر الشـعب» (مز٢٢: ٦). لذلـك، على الرغم من عدم اسـتعمال الأنبياء للكلمات نفسها، فإنّ هذه كانت بلا شكّ تُعبّر عن روح العديد من النبوّات.

وممّا يدعو للدهشة أنّ الله القدير أُعطي لقب العار، عندما جاء إلى الأرض. أمّا الذين تبعوه، فحصلوا على امتياز حمل عاره (عب١٣: ١٣).

٣- الاستعدادات لخدمة المسيح وتوليته (اص٣، ٤)

أ. *يوحنّا المعمدان يُعدّ الطريق* (٣: ١-١٢)

توجد فترة فاصلة بين الأصحاحين الثاني والثالث، مدّتها ٢٨ أو ٢٩ سنة، لا يذكر متّى شيئًا عنها. وكان يسـوع أثناء هذه المدّة في الناصرة، يستعدّ للعمل الذي ينتظره. وطيلة هذه السـنين لم يصنع يسوع معجزات مـا، ومع ذلك كان موضع المسـرّة الكاملة في عيني الله (مـت٣: ١٧). ونأتي مع هذا الأصحاح إلى مسـتهلّ خدمته العلنيّة.

٣: ١، ٢ كان يوحنّـا أكبر من يسـوع، قريبه، بسـتّة أشـهر (أنظر لوقا١: ٢٦، ٣٦). ولقد دخل مسـرح

التاريخ ليخدم كمن يُعِدّ الطريق للملك العظيم الآتي. وكانت دائرة خدمته غير المستحبّة هي **برية اليهودية**، وهي منطقة مجدبة قاحلة، ممتدّة من أورشليم إلى نهر الأردن. وكانت رسالة يوحنّا: «**توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات**». فالملك سيظهر حالاً، ولكنّه لا يستطيع أن يملك ولا يريد أن يفعل ذلك على أناس متمسّكين بخطاياهم. يجب عليهم أن يغيّروا اتجاهاتهم، ويعترفوا بخطاياهم ويتركوها. لقد كان الله يدعوهم للانتقال من ملكوت الظلمة إلى ملكوت السماوات.

ملكوت السماوات

نجد في العدد ٢ أول ذكر لعبارة «ملكوت السماوات»، وهي تستخدم ٣٢ مرّة في هذا الإنجيل. ولمّا كان المرء لا يستطيع أن يفهم إنجيل متّى فهمًا صحيحًا دون أن يدرك هذا المفهوم، وجب علينا هنا أن نعطي تعريفًا ووصفًا لهذا المصطلح.

فإنّ ملكوت السماوات هو الدائرة التي يُعترف ضمنها بسيادة الله. وتستخدم كلمة «السماوات» هنا للإشارة إلى الله. ويظهر هذا في دانيآل ٤: ٢٥، حيث يقول دانيآل إنّ «العلي» سلطان في مملكة الناس. وفي العدد التالي يقول إنّ «السماوات» تسود. فحيثما يخضع الناس لسيادة الله، هناك يكون ملكوت السماوات.

ويوجد وجهان لملكوت السماوات. ففي معناه الأوسع، يشمل ملكوت السماوات كل من يعترفون بالله كصاحب السلطان الأعلى. أمّا في مظهره الأضيق، فهو يشتمل فقط على أولئك الذين تغيّروا حقًا. ويمكننا تصوير ذلك بواسطة دائرتين مركزهما واحد.

فالدائرة الكبرى هي مجال الاعتراف؛ وهي تشمل جميع رعايا الملك فعلاً، كما تشمل أيضًا الذين يُقرّون فقط بالولاء الظاهري له. ونرى ذلك في مَثَل حبّة الخردل (مت ١٣: ٣١، ٣٢)، ومثل الخميرة (مت ١٣: ٣٣). أمّا الدائرة الصُغرى، فهي تشمل فقط أولئك الذين وُلدوا الولادة الجديدة بالإيمان بالرب يسوع المسيح. فملكوت السماوات في معناه الأضيق، يُمكن أن يدخله فقط أولئك الذين وُلدوا من جديد (مت ١٨: ٣).

عندما نضع كل الشواهد التي تشير إلى الملكوت في الكتاب المقدس بعضها إلى جنب بعض، يمكننا أن نتتبّع نموّه التاريخي في خمس مراحل مميّزة:

أولاً، أشارت تنبؤات العهد القديم إلى الملكوت صراحةً. فقد تنبأ دانيآل بأنّ الله سيقيم ملكوتًا لا ينقرض، ولا تُسلّم سيادته إلى شعب آخر (دا ٢: ٤٤). وتكلّم أيضًا متنبئًا عن مجيء المسيح ثانيةً ليقيم سلطانًا شاملاً وأبديًا (دا ٧: ١٣، ١٤؛ راجع أيضًا إرميا ٢٣: ٥، ٦).

ثانيًا، لقد وصف هذا الملكوت كل من يوحنا المعمدان، والرب يسوع، والتلاميذ الاثنى عشر بأنّه قريب حاضر (مت ٣: ٢؛ ٤: ١٧؛ ١٠: ٧). وقال المسيح في متى ١٢: ٢٨ «.. إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله». ويقول أيضًا في لوقا ١٧: ٢١ «لأنها ملكوت الله داخلكم». فلقد كان الملكوت حاضرًا في شخص الملك. وكما سنبيّن لاحقًا، فإنّ العبارتين **ملكوت السماوات وملكوت الله** تُستخدمان بالتبادل.

ثالثًا، يوصف الملكوت بأنّه انتقالي. فبعد رفضه من قبل الأمّة العاصية، عاد الملك إلى السماء.

هذا وإنّ الملكوت موجود اليوم، وذلك بالرغم من غياب الملك، وهو قائم في قلوب الذين يعترفون بملكه؛ وإنّ مبادئ الملكوت الأدبيّة والخلقيّة، بما في ذلك الموعظة على الجبل، يُمكن أن تُطبّق علينا اليوم. وتصف الأمثال الواردة في متى ١٣ هذه المرحلة الانتقاليّة للملكوت.

رابعًا، يمكننا أن نسمّي المرحلة الرابعة للملكوت مرحلة ظهوره وهذا هو المُلك الألفي للمسيح على الأرض، وقد تصوّر بتجلّي المسيح عندما شوهد في مجد ملكه الآتي (مت ١٧: ١ - ٨). وقد أشار يسوع إلى هذه المرحلة عندما قال في متى ٨: ١١، «إنّ كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات».

أمّا الشكل النهائي فهو الملكوت الأبدي؛ وهذا وصفه بطرس بأنّه «ملكوت ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الأبدي» (٢بط ١: ١١).

إنّ عبارة «ملكوت السماوات» موجودة في إنجيل متى فقط. ولكنّ عبارة «ملكوت الله» موجودة في جميع الأناجيل الأربعة. ولا يوجد أيّ اختلاف عملي بينهما، فالأشياء نفسها مذكورة بالنسبة للاثنين. فقد قال يسوع في متى ١٩: ٢٣، على سبيل المثل، «إنّه يعسر أن يدخل غنيّ إلى ملكوت السماوات». ونجد يسوع بالمقابل يقول الشيء نفسه في مرقس ١٠: ٢٣ ولوقا ١٨: ٢٤ عن «ملكوت الله». راجع أيضًا متى ١٠: ٢٤ حيث يوجد مبدأ آخر تستخدم فيه عبارة «ملكوت الله».

لقد ذكرنا سابقًا أنّ لملكوت السماوات مظهرًا خارجيًا وحقيقةً داخليةً. ولما كان الشيء نفسه ينطبق على «ملكوت الله»، فلذلك يعتبر هذا برهانًا إضافيًا على أنّ الاصطلاحين لهما نفس الدلالة. ويشمل ملكوت الله أيضًا الصحيح والزائف على حدّ سواء. ونرى هذا في مثل الزارع (لو ٨: ٤ - ١٠)، ومثل حبّة الخردل (لو ١٣: ١٨، ١٩)، ومثل الخميرة (لو ١٣: ٢٠، ٢١). أمّا من جهة الحقيقة الداخليّة لملكوت الله، فلا أحد يدخل هذا الملكوت إلاّ الذين حصلوا على الولادة الجديدة (يو ٣: ٣، ٥).

هناك نقطة أخيرة يجب لفت الانتباه لها، وهي أنّ الملكوت ليس الكنيسة نفسها، فالملكوت ابتدأ عندما باشر المسيح خدمته العلنيّة، أمّا الكنيسة فقد ابتدأت في يوم الخمسين (أع ٢). والملكوت سوف يستمرّ على الأرض حتى خرابها، أمّا الكنيسة فسوف تستمرّ على الأرض حتى الاختطاف (أي نقل الكنيسة من الأرض إلى الهواء لدى نزول المسيح من السماء ليأخذ معه جميع المؤمنين إلى الموطن السماوي (١تس ٤: ١٣ - ١٨). وسوف تعود الكنيسة مع المسيح في مجيئه الثاني لتملك معه كعروسه. أمّا في الوقت الحاضر، فإنّ كل الناس الذين هم في ملكوت الله، بالنسبة لحقيقته الداخليّة الصحيحة، هم أيضًا موجودون في الكنيسة.

٣: ٣ نعود الآن إلى شرح متى ٣، ولنلاحظ أنّ خدمة يوحنّا التمهيديّة قد تنبّأ بها إشعياء منذ أكثر من ٧٠٠ سنة قبل يوحنّا: «صوت صارخ في البريّة أعدّوا طريق الرب. قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (إش ٤٠: ٣). فقد كان يوحنّا هو الصوت، والبريّة روحيًّا هي الأمّة القديمة، وقد كانت جافّة وقاحلة. وكان يوحنّا يدعو الشعب لكي يعدّوا طريق الرب، وذلك بالتوبة عن

خطاياهم وتركها. وكان يدعوهم أيضًا لكي **يجعلوا طرق الرب مستقيمة**، وذلك بإزالة كل ما يمكن أن يعطِّل سيادته الكاملة في حياتهم.

٣: ٤ كان لباس يوحنّا مصنوعًا من وبر الإبل، وهذا ليس القماش الناعم الفخم المصنوع من **وبر الإبل** في أيّامنا هذه، بل هو النسيج الخشن الذي يلبسه النُسّاك. وكان يلبس أيضًا **منطقة من جلد**؛ وقد كانت ملابسه شبيهة بملابس إيليّا النبي (ملا٤: ٥؛ لو١: ١٧؛ مت١١: ١٤؛ ١٧: ١-١٢). كان يوحنّا يأكل **جرادًا وعسلاً بريًّا**، وهو غذاء تجرّد العيش، يأكله إنسان أخذت منه إرساليته كل مأخذ حتى إنّ وسائل الراحة ومتع الحياة العاديّة قد تحوّلت إلى ما هو أسمى.

كان لا بد أن يكون اللّقاء مع يوحنّا، اختبارًا مبكّتًا ومنبّهًا، وهو الرجل الذي لم يعبأ بشيء من أمور الحياة التي يعيش لأجلها عادةً الإنسانُ الطبيعي. كان من شأن انهماكه بالحقائق الروحيّة أن يُشعر الآخرين بمدى فقرهم الروحي. ولقد كانت حياة نكران الذات التي كان يحياها، توبيخًا لاذعًا على الحياة الدنيويّة السائدة في أيّامه.

٣: ٥، ٦ توافد الناس ليسمعوه آتين من **أورشليم وكلّ اليهودية** ومن عبر الأردن. وقد استجاب بعض الناس لرسالته **واعتمدوا منه في نهر الأردن**، قائلين إنّهم مستعدّون لتقديم الولاء الكامل والطاعة للملك الآتي.

٣: ٧ لكنّ الأمر اختلف بالنسبة إلى الفرّيسيّين والصدّوقيّين. فعندما جاؤوا ليستمعوا إلى يوحنا، عرف أنّهم لم يكونوا صادقين. لقد أدرك طبيعتهم الحقيقيّة: **فالفرّيسيّون** أظهروا تكريسًا كبيرًا للناموس، لكنّهم كانوا من الداخل فاسدين، وطائفيّين، ومرائين وأبرارًا عند ذواتهم. أمّا **الصدّوقيّون**، فقد كانوا من أرستقراطيّي المجتمع، وهم دينيًا مشكّكون، فقد أنكروا تعاليم أساسيّة كقيامة الأجساد، ووجود الملائكة، وخلود الروح، والعقاب الأبدي. لذلك شجب يوحنّا كلتا الطائفتين، داعيًا إيّاهم «**أولاد الأفاعي**» الذين تظاهروا بأنّهم يرغبون في أن «**يهربوا من الغضب الآتي**»، ولكنّهم لم يُظهروا آيّة علامة تدلّ على صدق توبتهم.

٣: ٨ كان يوحنا يحثّهم لكي يبرهنوا على إخلاصهم، من طريق **حملهم الثمار التي تليق** بالتوبة. إنّ التوبة بحسب ج.ر.ميلر "لا تحقّق أي شيء، إذا نتجت عنها مجرّد دموع قليلة، ونوبة من الندم، وخوف بسيط. فيجب علينا أن نترك الخطايا التي نتوب عنها، ونسلك في طريق القداسة الجديد بحسب البرّ".

٣: ٩ يجب على اليهود أن يُقلعوا عن الظنّ بأن تحدّرهم من سلالة **إبراهيم** يُعتبر جوازًا لدخولهم السماء. فنعمة الخلاص لا تنتقل من طريق الولادة الطبيعيّة، لأنّ الله قادر أن يقيم من حجارة الأردن أولادًا لإبراهيم، وذلك بعمليّة أبسط من عمليّة تغيير الفريسيّين والصدوقيّين.

٣: ١٠ وعندما قال يوحنا، إن **الفأس وُضعت على أصل الشجر**، كان يقصد أنّ عمل القضاء الإلهي هو على وشك الحصول. فإنّ مجيء المسيح وحضوره سيمتحن جميع الناس. وسوف يُقطع كل الذين يوجدون بلا ثمر، تمامًا كما يُفعل بالشجرة غير المثمرة، **فإنّها تُقطع وتبقى في النار**.

٣: ١١، ١٢ كان يوحنا، في الأعداد ٧ ـ ١٠، يتحدّث إلى الفرّيسيّين والصدّوقيّين فقط (أنظر ع ٧)، لكنّه الآن يبدو أنّه يخاطب جميع مستمعيه، الحقيقيّين والزائفين على السّواء. وكان يشرح لهم مبيّنًا أنّه يوجد اختلاف مهم بين خدمته وخدمة المسيح، الذي كان على وشك أن يأتي. فإنّ يوحنّا **عمّد بماء للتوبة.** فالماء كان للاغتسال الطقسي فقط ولا قوّة له البتّة على التطهير؛ والتوبة، على أهميّتها، لم تكن وحدها لتوصّل الإنسان إلى الخلاص الكامل. لقد رأى يوحنا أنّ خدمته تحضيرية وجزئية. فإنّ المسيح سيغطّي على يوحنّا بالكامل، لأنّه سيكون **أقوى** منه، وأكثر استحقاقًا، وسينتشر عمله أكثر من عمل يوحنّا، لأنّه سيعمّد بالروح القدس، والنار.

وتختلف معمودية **الروح القدس** عن معمودية **النار**. فالأولى هي معمودية البركة، والثانية هي معمودية الدينونة، الأولى حدثت يوم الخمسين، أمّا الثانية فستحدث في المستقبل. الأولى يتمتّع بها كل المؤمنين الحقيقيّين بالرب يسوع، والثانية ستكون من نصيب غير المؤمنين. الأولى لليهود الذين كانت معموديّتهم علامة خارجيّة لتوبة داخليّة، والثانية للفرّيسيّين والصدّوقيّين وكلّ الذين لم يُظهروا أدلّة على توبتهم الصادقة.

يعلّم بعضهم بأنّ معمودية الروح القدس ومعمودية النار هما أمرٌ واحد. أفلا يمكن ـ على سبيل المثل ـ أن تشير معمودية النار إلى ألسنة النار التي ظهرت للتلاميذ عندما حلّ الروح القدس في يوم الخمسين؟ إنّ هذا ليس صحيحًا على الأرجح، وذلك في ضوء العدد ١٢ الذي يساوي النار بالدينونة.

ب. يوحنا يعمّد يسوع (٣ : ١٣-١٧)

٣: ١٣ سار يسوع ما يقارب تسعين كيلومترًا من الجليل لغاية نهر الأردن الأسفل، وذلك ليعتمد من يوحنا. ويدلّ هذا على الأهميّة التي أعطاها يسوع لهذه الفريضة، وهي إن دلّت على شيء فهي تدلّ على أهميّة المعمودية لأتباع يسوع اليوم.

٣: ١٤، ١٥ احتج **يوحنّا** على تعميد يسوع، لأنّه أدرك أنّ يسوع لم تكن له خطية يحتاج لأن يتوب عنها. ولقد دفعه حدسه الصحيح للقول إنّ الترتيب الأفضل هو أن يعتمد هو من يسوع لا العكس. ولم ينكر يسوع ذلك، لكنّه كرّر ببساطة طلبه للمعمودية كأسلوب لائق، به **يكمّل كل برّ.** ولقد شعر يسوع أنّه من اللائق له أن يتّحد مع أتقياء اليهود الذين أتوا للاعتماد بمعمودية التوبة.

لكن يوجد أيضًا معنى أعمق لهذا العمل؛ فلقد كانت المعمودية بالنسبة ليسوع فريضة ترمز إلى الطريق الذي كان سيكمّل فيه كل المطالب الإلهية العادلة لقاء خطية الإنسان. فإنّ تغطيسه بالماء يمثّل معموديته في مياه دينونة الله في الجلجثة، وصعوده من الماء إيذان بقيامته. فلقد كان يريد أن يوفّي مطاليب العدل الإلهي، عن طريق موته ودفنه وقيامته، وذلك لكي يوفّر الأساس العادل الذي به يمكن للخطاة أن ينالوا التبرير.

٣: ١٦، ١٧ حالما صعد يسوع من الماء، رأى **روح الله نازلاً من السماء مثل حمامة وآتيًا عليه.** فقد مُسح يسوع على أنّه المسيح بواسطة الروح القدس، تمامًا كما كان الأشخاص والأشياء في العهد القديم يُكرّسون لأغراض مقدّسة بواسطة «دهن المسحة المقدّس» (خر ٣٠: ٢٥ ـ ٣٠).

حقًّا كانت المناسبة مهوبة، إذ كان الثالوث الأقدس متجليًّا بكل أقانيمه. **فالابن الحبيب** كان هناك، **والروح القدس** كان موجودًا في شكل **حمامة**، **وصوت الآب** كان يُسمع **من السماء** معلنًا بركته على يسوع. كان ذلك حديثًا جديرًا بالتذكّر لأن صوت الله سُمع وهو يستشهد بالأسفار المقدّسة قائلاً: «**هذا هو ابني الحبيب**» (من مزمور٢: ٧)، «**الذي به سررت**» كُلّ سُرور (من إشعياء ٤٢: ١). وهذه واحدة من ثلاث مناسبات تكلّم فيها الآب من السماء معترفًا بابنه الوحيد بابتهاج؛ الموضعان الآخران هما متى١٧: ٥ ويوحنا١٢: ٢٨.

ج. *يسوع يجرَّب من قِبَل إبليس* (٤: ١-١١)

٤: ١ قد يبدو مستغربًا لنا أن يقود الروح يسوع **ليُجرَّب من إبليس**. فلماذا قاده الروح القدس إلى مواجهة كهذه؟ الجواب هو أنّ تلك التجربة كانت ضروريّة لإظهار أهليّته الخُلقيّة للقيام بالعمل الذي جاء إلى العالم من أجله. فلقد أثبت آدم الأول أنّه لم يكن جديرًا بالسلطان عندما تقابل مع العدوّ في جنّة عدن. وهنا يتلاقى آدم الأخير مع الشيطان في تحدٍّ وجهًا لوجه، ويخرج منه سالمًا.

والكلمة اليونانية المترجمة «يجرّب» أو "يمتحن" لها معنيان: (١)يمتحن أو يبرهن (يوحنا٦: ٦؛ ٢كو١٣: ٥؛ عب١١: ١٧). (٢) يجتذب إلى الشرّ. إنّ الروح القدس قصد في عمليّة الامتحان هذه أن يُظهر صلاح يسوع، فيما كان الشيطان يطلب إغواءه لفعل الشرّ.

ويوجد غموض شديد يتعلّق بتجربة الرب يسوع. فالسؤال الذي يطرح نفسه حتمًا، هو "هل كان ممكنًا أن يُخطئ؟". ولا بدّ لنا، في حال الإجابة بالنفي، أن نواجه سؤالاً آخر وهو، "كيف يمكن أن تكون التجربة حقيقيّة إن لم يكن باستطاعته السقوط فيها؟". أمّا في حال إجابتنا بالإيجاب، فسنواجه السؤال التالي: "كيف يمكن لله المتجسّد أن يقع في الخطية؟".

إنه لمن أكثر الأمور أهميّة أن نتذكّر أنّ يسوع المسيح هو الله، وأنّ الله لا يمكن أن يخطئ أبدًا. والصحيح أيضًا هو أنّ يسوع إنسان كامل؛ ومع ذلك فالقول إنّ يسوع يمكن أن يخطئ كإنسان وليس كإله قول لا أساس له كتابيًّا. وقد كتب كُتّاب العهد الجديد عن طهارة المسيح في مناسبات عديدة. فكتب بولس عن يسوع أنّه «لم يعرف خطية» (٢كو٥: ٢١)، ويقول بطرس إنّه «لم يفعل خطية» (١بط٢: ٢٢)، ويقول يوحنّا «وليس فيه خطية» (١يو٣: ٥).

ومن الممكن ليسوع أن يُجرّب من الخارج مثلنا: فقد قدّم له الشيطان عروضًا تتناقض مع مشيئة الله. لكنّه على العكس منّا، ليس ممكنًا له أن يُجرّب من الداخل، لأنّه لا يمكن للشهوات والأهواء أن تنبع منه. والأكثر من هذا، أنّه لم يكن فيه شيء يتجاوب مع إغراءات الشيطان (يو١٤: ٣٠).

وبالرغم من عدم إمكانية سقوط المسيح في الخطيئة، فقد كانت التجربة حقيقيّة تمامًا. كان ممكنًا له أن يواجه بالإغراءات المختلفة لعلّه يخطئ، لكن كان من المستحيل عليه أن يستسلم، إن معنويًّا أو أخلاقيًّا. فيسوع لم يستطع أن يعمل سوى ما رأى الآب يعمله فقط (يو٥: ٣٠)، والآب لم يكن ليعطيه الصلاحية كي يستسلم للخطية أبدًا.

لم يكن القصد من التجربة رؤية هل يمكن ليسوع أن يخطئ، بل الإثبات أنّه حتى تحت الضغط الشديد، لم يكن ليعمل سوى ما يتوافق مع الطاعة لكلمة الله.

لو كان ممكنًا أن يخطئ المسيح كإنسان، لاضطررنا أن نواجه مسألة استمرارية كونه إنسانًا في السماء. فهل يظلّ باستطاعته أن يخطئ هناك؟ بالطبع لا.

٤: ٢، ٣ بعدما صام يسوع أربعين نهارًا وأربعين ليله، جاع أخيرًا. (العدد أربعين في الكتاب المقدس كثيرًا ما يُستعمل ضمن نطاق التجربة والاختبار). وهذه الشهيّة الطبيعيّة إلى الطعام زوّدت المجرّب بالفرصة التي يمكنه أن يستغلّها في تجربة كثيرين. وقد عرض على الرب يسوع أن يستخدم قوّته المعجزية فيحوّل حجارة البريّة أرغفةً من الخبز. هذا وإنّ الكلمات التمهيديّة، «**إن كنت ابن الله**»، لا تحمل معنى الشّك؛ لكنّها تعني بالحري: "بما أنّك ابن الله". وهنا يُلمّح الشيطان إلى الكلمات التي استخدمها الآب السماوي لدى معمودية يسوع، «هذا هو ابني الحبيب». وهو يستخدم تركيبة الجملة اليونانية التي تفترض صحّة القول، وهكذا يدعو يسوع لممارسة قوّته في سبيل تهدئة جوعه.

لكنّ إشباع الشهيّة الطبيعيّة باستخدام القوّة الإلهيّة تجاوبًا مع رغبة الشيطان يُعتبر عمل عصيان مباشرة لله. والفكرة التي من وراء عرض الشيطان هذا هي صدى لما ورد في تكوين٣: ٦ («... جيّدة للأكل»). وقد وصف يوحنا هذه التجربة بأنّها «شهوة الجسد» (١يو٢: ١٦). إنّ تجربتنا الموازية لهذه الأخيرة، هي أن نعيش لإرضاء شهواتنا الطبيعيّة، وأن نختار طريق الراحة بدلاً من طلبنا لملكوت الله وبرّه. أ فلا يقول لنا الشيطان: "أليس عليك أن تعيش أنت أيضًا؟".

٤: ٤ أجاب الرب يسوع ردًّا على التجربة مقتبسًا كلمة الله. والمثال الذي قدّمه لنا يعلّمنا أنه ليس علينا أن نعيش فقط، بل علينا أن نطيع كلمة الله. فالحصول على **الخبز** ليس أهمّ شيء في الحياة، بل الأهمّ هو الطاعة لكلّ **كلمة تخرج من فم الله**. وبما أنّ الربّ يسوع لم يستلم أيّة إشارة من الآب لكي يحوّل الحجارة خبزًا فهو لن يعمل أيّ شيء من تلقاء نفسه مطيعًا الشيطان، مهما كان جوعه شديدًا.

٤: ٥، ٦ حدثت التجربة الثانية في أورشليم، على جناح الهيكل. هناك تحدّى الشيطان يسوع بأن يطرح نفسه إلى أسفل مُظهرًا بشكل علني فريد بنويّته لله. ويستخدم الشيطان، مرّة أخرى، كلمة «إذا» في بداية عرضه، وهي لا تحمل هنا معنى الشّك، ويظهر هذا في إشارة الشيطان إلى الحماية الموعود بها من الله للمسيح (مز٩١: ١١، ١٢).

كانت التجربة أن يُظهر يسوع نفسه أنّه المسيّا وذلك من طريق أداء عمل مثير ومدهش. وبذلك يحقّق مجدًا بمعزلٍ عن الآلام، ويبلغ العرش بغير حاجة إلى الصليب. لكنّ هذا العمل يتعارض مع مشيئة الله. وقد وصف يوحنّا هذه التجربة بأنّها «تعظُّم المعيشة» (١يو٢: ١٦).

وهذا يتشابه مع «الشجرة الشهيّة للنظر (التي تجعل الإنسان حكيمًا)» (تك٣: ٦)، تلك التي كانت في جنّة عدن. ففي كلتا الحالتين كانت الدعوة للحصول على المجد الذاتي بغضّ النظر عن عمل مشيئة الله. وقد تُواجهنا نحن هذه التجربة عندما نفكّر بارتقاء مركز ديني متقدّم دونما اشتراك منّا في آلام المسيح. فنحن نطلب أشياء عظيمة لنفوسنا، لكنّنا سريعًا ما نركض ونختبئ عندما تواجهنا الصعوبات. فعندما نتجاهل مشيئة الله ونعظّم نفوسنا، نجرّب الربّ.

٤: ٧ مـرّة أخرى يقاوم يسـوع الهجوم بالاستشـهاد بالمكتوب: «**مكتوب أيضًا، لا تجرّب الربّ إلهك**» (راجع تثنية ٦: ١٦). لقد وعد الله بأن يحفظ المسـيح، ولكنّ هذا الضمان يفترض مسبّقًا أن يعيش الإنسان في مشيئة الله. لذلـك فالمطالبة بالموعد مع السـلوك في العصيان، يُعَدّ تجربتًا لله. سـوف يأتي الوقت الـذي يُعلن فيه أنّ يسـوع هو المسـيح، لكنّ الصليب يجب أن يأتي أولاً. فمذبح المُحرّقة يجب أن يسـبق العرش، وإكليل الشوك يجب أن يسـبق إكليـل المجد. والربّ يسـوع يريد أن ينتظر الوقت المعيّن من الله، ويريد أن يحقّق مشيئة الله.

٤: ٨، ٩ في التجربـة الثالثة، أخذ الشـيطان يسـوع **إلى جبـل عـالٍ جدًا، وأراه جميـع ممالك العـالم**؛ وقدّمها له مكافأة في حال سـجوده له. ومـع أنّ هذه التجربة كانت تتعلّق بالسجود، وهو ممارسة روحيّة فقد كانت محاولـة لإغراء الـرب في السـيطرة على العـالم بقوّة ملوكيّة، من طريق سجوده لإبليس. والمكافأة المقدّمة، وهـي كل ممالك العـالم ومجدهـنّ، تعبّر عن «شـهوة العيون» (١يو٢: ١٦).

إنّ ممالـك العـالم في الوقـت الحاضـر، إذا صـحّ التعبـير، تخصُ الشـيطان: فلقد قيل عنه إنّـه «إله هذا الدهـر» (٢كو٤: ٤)، ويخبرنا يوحنّـا بأنّ «العالم كلّه قد وضع في الشـرير» (١يـو٥: ١٩). وحينما يظهر يسـوع في المجـيء الثاني بصفة ملك الملـوك (رؤ١٩: ١٦)، حينـذاك سـتصبح «كلّ ممالك هـذا العالم» له (رؤ١١: ١٥). فإن يسـوع لن ينتهك الجدول الزمني الإلهي، ولن يسجد للشيطان على الإطلاق.

أمّا بالنسـبة لنا فإنّ هذه التجربـة مضاعفة، فهي تتضمّـن أولاً إغواءنا لمقايضـة حقّنا الروحي في البركة بمجد هذا العالم الزائل، وأن نسـجد للمخلوق ونعبده دون الخالق.

٤: ١٠ وهـا إنّ يسـوع يقاوم التجربة للمـرّة الثالثة، باسـتخدام العهـد القديم «**للـرب إلهك تسـجد، وإياه وحـده تعبـد**». فالسـجود وما يتبعه مـن عبادة هو لله وحده. أمّا السجود لإبليس، فيمكن أن يكون معادلاً للاعتراف به كإله.

إنّ ترتيـب التجـارب الثلاث كما سـجّلها متى، يختلف عـن الترتيب الـذي ورد في لوقـا٤: ١-١٣. وقد اقـترح بعضهم أنّ الترتيب الـذي يتّبعه متّى موازٍ لترتيب التجارب التي واجهها شعب إسرائيل في البريّة (خر١٦؛١٧؛٣٢). ولقد أظهر يسوع نفسه مناقضًا كليًّا للشـعب من حيـث ردود الفعل على الصعوبات التي واجهوها.

٤: ١١ عندمـا نجـح يسـوع في التصـدّي لتجـارب الشـيطان، **تركـه إبليـس**. وتأتي التجـارب عادة في أمـواج هادرة وليـس في جريان هـادئ، «عندما يأتي العـدو كنهر فنفخـة الرب تدفعـه» (إش٥٩: ١٩). يا له من تشجيع للمؤمنين المجرّبين.

يخبرنا النـص بأنّ الملائكـة **جاءت وصارت تخدمه**، ولكن لا يتبيّن لنا من النص ماهيّة هذه الخدمة الملائكيّة. ومن المحتمـل أنّها تعني أنّهم زوّدوه بالغذاء الجسـدي الذي رفض توفيره بناءً لاقتراح الشيطان.

نتعلّم من تجربة يسوع أنّ الشيطان يقدر أن يهاجم الذين يُقادون بالروح، لكن لا قوّة له أمام أولئك الذين يقاومونه بكلمة الله.

د. يسوع يبدأ خدمته في الجليل (٤: ١٢ـ١٧)

لم يتطرّق متّى لخدمة يسوع في اليهودية، والتي استمرّت سنة تقريبًا. وسنة الخدمة هذه تغطّيها الأصحاحات الأربعة الأولى من إنجيل يوحنا، ويقع هذه الفترة ما بين متى ٤: ١١ ومتى ٤: ١٢. فإنّ متّى ينتقل بنا من التجربة مباشرة إلى الخدمة في الجليل.

٤: ١٢ عندما **سمع يسوع أنّ يوحنّا المعمدان** قد وُضع في السجن، أدرك أنّ هذا الأمر يُنذر برفضه هو. فالشعب، برفضه لمهّد الطريق أمام الملك، كان بالفعل يرفض الملك نفسه. هذا، ولم يكن الخوف هو الذي ساقه شمالاً إلى **الجليل**. فلقد كان في الواقع ذاهبًا إلى قلب سلطنة هيرودس، ذلك الذي كان قد سجن يوحنا. وبارتحال المسيح إلى جليل الأمم أظهر أنّ النتيجة الحتميّة لرفض اليهود له هي خروج الإنجيل إلى الأمم.

٤: ١٣ بقي يسوع في الناصرة، إلى أن حاولت الجماهير أن تقتله لأنّه نادى بخلاص الأمم (لو ٤: ١٦-٢٠). ثمّ ارتحل إلى **كفرناحوم** عبر بحر الجليل، تلك المنطقة التي يسكنها أصلاً **سبطا زبولون ونفتالي**. ومن ذلك الوقت، أصبحت كفرناحوم المركز الرئيسي له.

٤: ١٤ـ١٦ كان ارتحال يسوع إلى الجليل تحقيقًا **لإشعياء** ٩: ١، ٢ «الشعب السالك في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا»، ذاك هو يسوع نور العالم.

٤: ١٧ من ذلك الوقت فصاعدًا، تابع يسوع الرسالة التي كان يوحنا قد بدأ بالتبشير بها: «**توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السماوات**». كانت هذه دعوة للتجديد الخلقي استعدادًا للملكوت. فلقد كان الملكوت قريبًا بمعنى أنّ الملك كان حاضرًا.

هـ. يسوع يدعو أربعة من صيّادي السمك (٤: ١٨-٢٢)

كانت هذه في الواقع هي المرّة الثانية التي فيها يدعو يسوع **بطرس وأندراوس**. ففي يوحنا ١: ٣٥-٤٢، دعاهما للخلاص؛ أمّا هنا فهو يدعوهما للخدمة. حدثت الدعوة الأولى في اليهودية، والثانية في الجليل. لقد كان بطرس وأندراوس **صيّادين**، لكنّ يسوع دعاهُما ليكونا **صيّادَي الناس**. كانت مسؤوليّتهما أن يتبعا المسيح، أما مسؤوليّة يسوع فكانت أن **يجعلهما** صيّادين ناجحين للناس. وإنّ اتباعهما المسيح يعني أكثر من مجرّد الاقتراب منه بالجسد، فهو يتضمّن اقتداءهما بطباع المسيح الشخصية. كانت خدمتهما خدمة طباع، فطباعهما الشخصيّة كانت أهمّ بكثير ممّا كانا يفعلانه أو يقولانه. ويجب علينا، مثل بطرس وأندراوس، أن نهرب من التجربة التي تستبدل بالروحانيّة الحقيقيّة الفصاحة وقوّة الشخصيّة والحجّة الذكيّة. لقد تعلّم التلاميذ في اتّباعهم للمسيح أن يذهبوا إلى حيث يتوافر السمك، وأن يستخدموا الطعم المناسب ويحتملوا المشقّة والإزعاج ويكونوا صابرين وبمنأى عن الأنظار.

٤: ٢٠ لقد سمع بطرس وأندراوس الدعوة واستجابا لها سريعًا. وتركا شباكهما في إيمان صادق، وتبعا يسوع في ولاء حقيقي وتكريس عميق.

٤: ٢١، ٢٢ جاءت الدعوة بعد ذلك ليعقوب ويوحنّا. وهما أيضًا صارا تلميذين على التوّ. وقد اعترفا، إذ تركا مصدر رزقهما وأباهما أيضًا، بأنّ ليسوع الأولويّة على كل الربط الأرضيّة.

وقد أصبح هؤلاء الصيادون، باستجابتهم لدعوة المسيح، شخصيات بارزة في عمليّة تبشير العالم. فلو

أنّهم بقوا عند شباكهم، لما كنّا قد سمعنا عنهم شيئًا. فإنّ التسليم بربوبيّة المسيح يغيّر مجرى الأشياء في هذا العالم.

و. يسوع يشفي جمهورًا كبيرًا (٤: ٢٣-٢٥)

كانت خدمة الرب يسوع خدمة ثلاثيّة: فلقد علّم كلمة الله في المجامع، وبشّر بإنجيل الملكوت، وشفى المرضى. وكان واحد من أغراض معجزات الشفاء هو أن يثبت يسوع مصداقيّة شخصه وخدمته (عب٢: ٣، ٤).

ونجد في الاصحاحات ٥-٧ نموذجًا من خدمته التعليميّة، أمّا الاصحاحان ٨، ٩ فتظهر فيهما معجزاته.

٤: ٢٣ ترد الكلمة **الإنجيل** لأوّل مرّة في العهد الجديد في هذه الآية. وتعني هذه الكلمة "أخبار الخلاص السارّة". ولم يوجد في كل العصور في تاريخ العالم إلاّ إنجيل واحد فقط وطريق واحد للخلاص.

الإنجيل

إنّا لإ نجيلينبُعمننعمــة ا لله (أ ف ٢: ٨) . و ذ لكيعنيأ نّا للهيعطيا لحيا ة ا لأ بد يّة مجا نًــا للناسالأشر اردونأيّاستحقاقمنجانبهم.

أ مّا أ سا سا لإ نجيلفهو عملا لمسيحعلى الصليب (اكو ١٥ : ١ - ٤) .فهناكوفى مخلّصنــا - لها لمجد - كلمطا لبا لعد ا لة ا لإ لهيّة ، حتــى يصبحبمقد و ر ا للهأ نيبرّ ر ا لخطا ة ا لذ يــن يؤ منو ن .فمؤ منو العهد القد يمخلصو ابو اسـطة عملا لمسيحمعأ نّهلميكنقد حصلفيذ لك الو قت . و لر بّما لميعر فو ا الكثير عنا لمسيح ، و لكنا للهعر ف ، و نسبقيمة عملا لمسيح لحسـا بهم ؛ أ يإنّهمخلصو ا « با لدّ ين » إذ ا جاز ا لتعبير . و نحنأ يضًا خلصنا بعملا لمسـيح ، ولكنكانعملا لمسيحبا لنسبلناقد أُكمل.

هذ ا و يُقبلا لإ نجيلبا لإ يما نفقــط (أف ٢: ٨) . ففيا لعهد ا لقد يمنجد أ نّا لنا سـكا نو ا يخلصو نبتصد يقهملكلّما كا نيقو لهــا لله لهم . أ ما فيا لعهد ا لجد يد ، فا لنا سـيخلصو ن بتصد يقهملشــها د ة ا للهعنا بنه ، أ نّها لطر يق الو حيد للخلاص (ايو ٥: ١١ ، ١٢) . إنّغايــة ا لإ نجيلا لنها ئيّة هيا لسـما ء . و يو جد لد ينا ، نحنا لمؤ منين ،ر جا ء ا لحيا ة الأبديّةفيا لسـما ء (٢كو ٥ : ٦ - ١٠) ، تما مًا كما كا نعند قدّ يســي العهدالقديم(عب ١١ : ١٠؛١٤ -١٦).

و بينما يو جد إ نجيلو ا حد ، فإ نّهنا كملا مــح مختلفة للإ نجيلفيمختلفا لعصو ر . فنقــا ط ا لتشد يد ، على سـبيلا لمثل ، تختلفبينإ نجيل ا لملكو تو إ نجيلنعمة ا لله . فإ نجيلا لملكــو ت يد عو قائلاً : «تو بو ا و اقبلو ا ا لمسـيح ، و بعد ها تُخطفو نلملا قا تهلتكو نو ا معهكلحــين » . و ا لإ نجيلا نهما أ سا سًــا إ نجيلو ا حد ، و هو بشــا ر ة ا لخلا صبا لنعمة با لإ يما ن ، لكنّهما يُظهر ا نتد ا بير ا تمختلفة للإ نجيلحسـب مقاصداللهالتدبيريّة *.

عند ما كا نيسو عيُبشّــر بإ نجيلا لملكو ت ، كا نيعلنقد و مهكملكلليهو د ، مو ضّحًا شـر و طه للقبو لفيملكو ته ، و قد أ ظهر تمعجز ا تهصحّــة طبيعةالملكوتالذيكانيبشّربه.

* إنّ كلمة «التدبير» تعني الإدارة أو النظام. وهي تصف الطرق التي يستخدمها الله في معاملاته مع الجنس البشري في فترة معيّنة من الزمن. والكلمة لا تعني فترة زمنيّة معيّنة، بل بالحري تعني البرنامج الإلهي في أيّ عصر من العصور. ونرى استعمالاً متشابهًا للفكرة عندما نتحدّث عن إدارة رئيس معيّن للبلاد؛ فنحن نعني بذلك أساليب الحكم التي يتّبعها الرئيس خلال سني حكمه.

٤: ٢٤، ٢٥ ذاع صيت يسوع في كل سوريّا، حتى شعر كل المرضى والمعوّقين والمسكونين بأرواح شرّيرة بلمسته الشافية. واجتمع الناس إليه من الجليل والعشر المدن (اتحاد من عشر مدن أمميّة في الشمال الشرقيّ من فلسطين)، وأورشليم واليهوديّة والمنطقة الواقعة شرق نهر الأردن. وكما كتب وارفيلد *Warfield*: "من المفروض أن يكون المرض والموت شبه معدومين من المنطقة في تلك الفترة". فلا عجب أن يكون الشعب اندهش جدًّا لدى سماعه تلك الأخبار الصادرة من الجليل.

٤ـ دستور الملكوت (ص٥-٧)

ليس من قبيل الصدف أن توضع الموعظة على الجبل في أوائل العهد الجديد. فإنّ موقعها هذا يشير إلى أهميّتها، إذ فيها يلخّص الملك صفات رعاياه الأدبيّة والسلوك المنتظر منهم.

وليست هذه العظة عرضًا لخطّة الخلاص، ولا يُقصد بها أيضًا غير المخلّصين. لكنّها كانت موجّهة إلى التلاميذ (٥: ١، ٢)، وقُصِد بها أن تكون دستور الملكوت، أي الأنظمة والقوانين التي كان يُفترض أن تسود على رعايا الملك في أثناء حكمه. وهذه الموعظة موجّهة إلى جميع الذين يعترفون بالمسيح ملكًا، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً. فعندما كان المسيح موجودًا على الأرض، كان لها تطبيقٌ مباشرًا على حياة تلاميذه. أمّا الآن، إذ يملك الرب في السماء، فالعظة تنطبق على كل الذين يتوجّون الرب ملكًا في قلوبهم. أخيرًا، ستكون هي شريعة السلوك عند أتباع المسيح خلال الضيقة العظيمة وملك المسيح على الأرض، هذا ونلاحظ في العظة بعض الخصائص اليهودية، كما يظهر في الإشارة إلى المجمع (أي السنهدريم ـ في ٥: ٢٢)، وذكر المذبح (٥: ٢٣، ٢٤)، وأورشليم (٥: ٣٥). ومع ذلك فإنّه من الخطإ القول بأنّ تعليمها ينحصر باليهود المؤمنين في الماضي أو في المستقبل؛ بل هو موجّه لكلّ الذين يعترفون بيسوع المسيح ملكًا في كل عصرٍ من العصور.

أ. التطويبات (٥: ١ـ١٢)

٥: ١، ٢ تبدأ الموعظة بالتطويبات، أو البركات التي تعلن صفات المثالي في ملكوت المسيح. هذا وتتناقض المزايا المذكورة هنا والمُمتدَحة مع الصفات التي يستحسنها العالم. ويكتب تُوزَر *A. W. Tozer* واصفًا إياها فيقول: "إذا أردنا وصف الجنس البشري وصفًا صحيحًا أمام إنسان غير مطّلع على حقيقة الأمور، لأمكننا قلب التطويبات في معناها وقدمناها قائلين: هذا هو جنسكم البشري".

٥: ٣ تختص التطويبة الأولى **بالمساكين بالروح**. وهذه الصفة لا تشير إلى ميل طبيعي عند الإنسان، بل إلى تدريب طوعي واختيار شخصي. فإنّ **المساكين بالروح** هم أولئك الذين يعترفون بأنّهم عاجزون وضعفاء، ويعتمدون على الله القادر على كل شيء. وهؤلاء هم الذين يشعرون بحاجتهم الروحيّة، ويجدون أنّ الرب يسدّها لهم في كل حين. فلمثل هؤلاء **ملكوت السماء**، حيث الاتّكال على النفس يُعتبر رذيلة وتعظيم الذات يُعَدّ شرًّا.

٥: ٤ إنّ الذين يحزنون الآن سينالون البركة قريبًا، لأنّ يوم التعزية ينتظرهم. لكن هذا لا يشير إلى الحزن الناتج من ظروف الحياة المتقلّبة، بل إلى الحزن الذي يختبره المرء نتيجة شركته العميقة مع الرب. فهو مشاركة فعليّة مع يسوع في احتمال أذى العالم وخطيئته. لذلك لا يشمل الحزن من أجل خطية الإنسان الشخصيّة فقط، بل أيضًا

من أجل حالة العالم المروعة، ورفضه للمخلِّص، وهلاك أولئك الذين يرفضون رحمته. هؤلاء الحزانى **سيتعزّون** في اليوم الآتي عن قريب حيث «سيمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤ ٢١: ٤).

٥: ٥ التطويبة أو البركة الثالثة قيلت في **الودعاء**، وهي أنّهم «**سيرثون الأرض**» وقد يكون أنّ هؤلاء الناس، كانوا أشخاصًا متقلّبين ومزاجيّين وذوي خشونة بحسب الطبيعة البشريّة. لكنّهم عندما اختاروا قبول روح المسيح في حياتهم، أصبحوا ودعاء أو لُطفاء. والوداعة تقتضي ضمنًا أن يقبل الإنسان مركزًا متواضعًا. والإنسان الوديع يتحلّى باللّطف وطول الأناة عندما يتعلّق به الأمر، لكنّه قد يكون كالأسد عندما يتعلّق الأمر بالحقّ الإلهي أو بالدفاع عن الآخرين.

إنّ **الودعاء لا يرثون الأرض** الآن، بل على العكس من ذلك فهم يرثون الاضطهاد والخسارة. لكنّهم **سيرثون الأرض** حرفيًا عندما يأتي المسيح الملك ليملك على الأرض مدّة ألف سنة في سلام وازدهار.

٥: ٦ التطويبة التالية قيلت في **الجياع والعطاش** إلى البرّ، فهم **سيشبعون**. وهؤلاء عندهم شغف للبرّ في حياتهم الخاصّة، ويشتاقون لأن يروا الأمانة والاستقامة والعدل في المجتمع؛ وهم يتطلّعون أيضًا إلى القداسة العمليّة في الكنيسة، كهؤلاء الذين كتب عنهم جملائيل برادفورد *Gamaliel Bradford* أنّ عندهم "عطشًا لا ترويه مجاري المياه الأرضيّة، وجوعًا لا تسدّه سوى قداسة المسيح الإلهيّة". هؤلاء الناس سيُشبعون شبعًا كاملاً في ملك المسيح الآتي، لأنّ البرّ سيسود والفساد سيخلي الطريق للمستويات الأخلاقيّة العالية.

٥: ٧ يُبارَك **الرحماء** في ملكوت المسيح، **لأنّهم سيُرحمون** بدورهم. والرحيم هو الإنسان الذي يشفق ويتحنّن بشكل عمليّ. فمن ناحية يمتنع عن معاقبة المُعتدين الذين يستحقّون العقاب؛ ومن ناحية أخرى يساعد الآخرين الذين هم بحاجة للمساعدة لأنّهم لا يستطيعون مساعدة أنفسهم. ولقد بيّن الله رحمته لنا إذ حفظنا من الدينونة التي نستحقّها أجرةً لخطايانا، وإذ أظهر لطفه لنا بواسطة عمل المسيح الخلاصي. لذلك فنحن نتمثّل بالله، عندما نظهر الشفقة على الآخرين.

إنّ الرحماء، **سيُرحمون**. وهنا لا يشير يسوع إلى رحمة الخلاص التي يعطيها الله للخاطي التائب، فهذه الرحمة لا تتوقف على كون الإنسان رحيمًا، بل هي عطيّة مجانيّة لا شرط فيها. لكنّ الرب يتكلّم عن الرحمة اليوميّة التي نحتاج إليها للحياة المسيحيّة، وعن الرحمة في ذلك اليوم حين تظهر أعمال كل منّا أمام كرسي المسيح (١كو٣: ١٢ـ١٥). فإن لم يكن الإنسان رحيمًا فلن يجد رحمة من الرب في ذلك اليوم، الأمر الذي يعني أنّ مكافآته ستنقص عندئذ تبعًا لذلك.

٥: ٨ يعطي الرب أنقياء القلب توكيدًا أنّهم **سيعاينون الله**. إنّ الإنسان النقي القلب هو الذي توجد لديه دوافع خالصة وأفكار مقدّسة وضمير طاهر. ويمكن فهم عبارة «**سيعاينون الله**» بطرق متعدّدة: أولاً، يرى **أنقياء القلب** الله الآن بواسطة الشركة في الكلمة وفي الروح القدس. ثانيًا، قد يرون الله أحيانًا بواسطة ظهور فائق للطبيعة أو رؤيا يتجلى الرب فيها لهم. ثالثًا، سوف يرون الله ثانية في شخص الرب يسوع عند مجيئه ثانيًا. رابعًا، سيرون الله في الأبديّة.

٥: ٩ ولا ينسى الرب **صانعي السلام**، فها هو يشملهم بالطوبى، **إنّهم أبناء الله يُدعون**. ولنلاحظ أنّ لا يتكلّم عمّن لديهم نزعه للسلام، أو عن الذين يحبّون السلام. بل يشير إلى أولئك الذين يتدخّلون فعليًّا لصنع السلام. فإنّ الشيء الطبيعي هو مراقبة النزاع من بعيد، لكنّ طريق الرب هو اتّخاذ خطوات فعليّة نحو إحلال السلام، حتى لو كلّف الأمر احتمال الإساءة والذمّ.

إنّ صانعي السلام يُدعون **أبناء الله**، لكن هذه ليست الطريقة التي بها يصبحون أبناءً لله، لأنّ هذا الأمر لا يحدث إلاّ بقبول يسوع المسيح مخلّصًا شخصيًّا (يو ١: ١٢). فمن طريق صنع السلام يُظهِر المؤمنون أنفسهم أنّهم **أبناء الله**، وسيعترف الله بهم قريبًا شعبًا خاصًّا له تربطهم به روابط الشبه العائليّ.

٥: ١٠ التطويبة التالية تختصّ بالمضطهَدين، ليس بسبب أعمالهم السيئة، **بل من أجل البرّ. وملكوت السماوات** موعود به للمؤمنين الذين يتألمون بسبب عمل الخير. فاستقامتهم تدين العالم الشرّير وتُظهر عداءه. وإنّ الناس يُبغضون حياة البرّ لأنّها تكشف شرّهم.

٥: ١١ تبدو التطويبة الختاميّة كأنّها تكرار للتي سبقتها. ومع ذلك يوجد فيها اختلاف واحد. ففي الآية السابقة يحدث الاضطهاد من أجل البرّ، أمّا هنا فيحدث من أجل المسيح. فلقد عرف الربّ أنّ تلاميذه يُمكن أن يعاملوا معاملة سيئة لاتّحادهم به وولائهم له. وقد أكّد التاريخ ذلك؛ فمنذ البداية والعالم يضطهد أتباع المسيح ويسجنهم ويقتلهم.

٥: ١٢ إنّ التألّم من أجل المسيح هو امتياز عظيم ينبغي أن يسبّب فرحًا كبيرًا فينا. وإنّ مكافأة عظيمة تنتظر أولئك الذين يصبحون، في آلامهم، شركاء للأنبياء في ضيقهم. فأولئك الذين حملوا مشعل كلمة الله في العهد القديم ثابروا على ذلك رغم ما أصابهم من اضطهاد. وكلّ الذين يحاكونهم في شجاعتهم وولائهم، يشتركون معهم في الابتهاج حاضرًا وفي التمجيد مستقبلاً.

تُقدِّم التطويبات صورة للمواطن النموذجي في ملكوت المسيح. ولنلاحظ التشديد على البرّ (ع٦)، والسلام (ع٩)، والفرح(ع١٢). ولربّما كانت هذه الفقرة في فكر بولس عندما كتب يقول: «لأنّ ليس ملكوت الله أكلاً وشربًا، بل هو برّ وسلام وفرح في الروح القدس» (رو١٤: ١٧).

ب. المؤمنون ملح ونور (٥: ١٣-١٦)

٥: ١٣ لقد شبّه يسوع تلاميذه بالملح، فهم كانوا للعالم مثل الملح في الحياة اليوميّة، فالملح يُصلح الطعام، ويمنع انتشار الفساد، ويُنشئ العطش، ويُظهر النكهة. لذلك فأتباع المسيح يُضيفون طعمًا خاصًّا إلى المجتمع، وهم يخدمون أيضًا كمادّة حافظة، ويجعلون الآخرين يشتاقون إلى البرّ الموصوف في الآيات السابقة.

أمّا إذا فقد الملح نكهته، فكيف تستعاد ملوحته؟ لأنّه لا توجد طريقة يمكن بها استعادة طعمه الطبيعي الصحيح. فإذا فقد ملوحته، فلن يعود صالحًا لأيّ شيء، فيُطرح على طريق المشاة فتدوسه أقدام العابرين. ويُضفي تعليق ألبرت بارنز *Albert Barnes* على هذه القطعة نورًا، إذ يقول:

"إنّ الملح المستعمل في الغرب عبارة عن

مركّب كيميائي، فإذا فقد ملوحته، أو فقد نكهته، فلا يتبقى منه شيء يذكر. أمّا في البلاد الشرقيّة، فالملح الذي كان يُستعمل كان غير نقي، إذ كان مختلطًا بنباتات، ومواد ترابيّة، لذلك كان من الممكن أن يفقد كل ملوحته، وتتبقّى منه كميّة كبيرة بلا نكهة. وهذا لا يصلح لشيء إلّا لأن يُطرح خارجًا ويُداس من الناس".

إن تلميذ المسيح له وظيفة واحدة مهمّة، وهي أن يكون ملحًا للأرض وذلك بأن يُظهر في حياته ما تقتضيه التلمذة المذكورة في التطويبات وفي كل الموعظة على الجبل. فإذا فشل في إظهار هذه الحقيقة الروحيّة، فسوف يدوس الناس شهادته بأقدامهم. فإنّ العالم يزدري بالمؤمن غير المكرّس.

٥: ١٤ يدعو يسوع المسيحيّين المؤمنين نور العالم. وقد تكلّم عن نفسه بأنّه هو «نور العالم» (يو٨: ١٢؛ ١٢: ٣٥، ٣٦، ٤٦). والعلاقة بين هذين التصريحين هي أنّ يسوع هو مصدر النور، والمؤمنين انعكاس نوره؛ فوظيفتهم هي أن يعكسوا نوره تمامًا كما يعكس القمر بهاء الشمس.

والمسيحيّون الحقيقيّون هم مثل **مدينة موضوعة على جبل**: فهي تكون مرفوعة فوق محيطها، وتضيء وسط الظلام. لذلك لا يُمكن أن يُخفي أولئك الذين تُظهر حياتهم سمات تعاليم المسيح الجليلة.

٥: ١٥، ١٦ لا يوقد الناس سراجًا ويضعونه تحت المكيال (أو القفّة)، بل يضعونه على المنارة، **لكي يضيء لجميع الذين في البيت**. فالمسيح لم يقصد أن يُعطينا نور تعاليمه لنخبئها لأنفسنا، بل لنبشّر بها الآخرين. فعلينا أن نجعل نوره يضيء هكذا، حتى عندما يرى الناس **أعمالنا الحسنة يمجّدون أبانا الذي في السماوات**. والتشديد هنا هو على الخدمة التي يقوم بها المؤمن. إنّ الجاذبية الموجوده في حياة الذين يسكن المسيح فيهم، تتكلم بصوت أعلى من الكلام المقنع.

ج. *المسيح يكمّل الناموس* (٥: ١٧ـ٢٠)

٥: ١٧، ١٨ إنّ معظم القادة الثوريّين يقطعون كل الربط مع الماضي، ويرفضون النظام التقليدي القائم. لكن الربّ يسوع لم يفعل كذلك؛ فلقد أيّد ناموس موسى، وأصرّ على تتميمه. فإنّ يسوع لم يأتِ لينقض **الناموس والأنبياء**، بل ليكمّلهما. وقد أصرّ بوضوح على أنّه لا يزول **حرف** من الناموس أو **نقطه واحدة** منه **حتى يكون الكلّ**. أمّا الكلمة «حرف» فيُقصد بها أصغر حرف في الأبجديّة العبريّة (الياء)؛ والكلمة «نقطة» هي علامة صغيرة أو نتوء بسيط يساعد على تمييز حرف من الآخر، تمامًا كما نميّز في اللغة العربيّة بين الحرف (ع) والحرف (غ) بواسطة زيادة نقطة. فالمسيح كان يؤمن بحرفيّة الوحي الإلهي للكتاب المقدّس، حتى في ما قد يبدو كأنّه تفاصيل صغيرة لا أهميّة لها. فكل شيء في الكتاب المقدّس له أهميّته ودلالته، حتى لو كان مجرّد علامة أو حرف صغير.

ومن المهم أن نلاحظ أنّ يسوع لم يقل إنّ الناموس لن يزول أو ينقضي، لكنّه قال إنّ الناموس لا يزول **حتى يكون الكلّ**. إنّ هذا التمييز له انعكسات مختلفة على حياة المؤمن في الوقت الحاضر، ولمّا كانت علاقة المسيحي بالناموس معقّدة، فسوف نخصص بعض الوقت لكي نلخص ما يعلّمه الكتاب المقدّس عن هذا الموضوع.

علاقة المؤمن بالناموس

إنّا لنا مو سهو نظا ما لتشر يعا لمُعطى من اللهبو اسطةمو ســى للأمّة اليهو دية . و النص ا لكا ملللنا مو سمو جو د فيسـفر ا لخر و ج ٢٠ - ٣١،وسفر اللاويّين،وســفر التثنية،معأنّ جوهرهمجسّدفيالوصاياالعشر.

هذ ا و لميُعطَا لنا مو سكو سيلة للخلا ص (أنظر أع ١٣: ٣٩؛رو ٣: ٢٠؛غـل ٢: ١٦، ٢١؛ ٣: ١١) ، بلكا نا لقصد منهأ نيكشـف للناسشـرّ همو إثمهم (رو ٣: ٢٠؛ ٥: ٢٠؛ ٧: ٧؛ ١كو ١٥: ٥٦؛غل ٣: ١٩)، و أنيقو دهـم بعد ذ لكإ لى ا للهمنأ جلخلا صها لكر يـم . و لقد أُعطيللأمّة القد يمة ، معإنّهيحتو ى علـى مبا د ئأ خلا قيّة تصلحلل‌إ نسـا نفيكلعصر منالعصور (رو ٢: ١٤، ١٥). وقد امتحـن اللهإسـر ائيلبا لنا مو س،كنمو ذ جعنا لجنس ا لبشر ي ، و أ ثبتتمُذ نبيِّة إ ســر ا ئيلفيهذ ا الامتحانمُذنبيِّةالعالمكلّه(رو٣:١٩).

ار تبطجز اء ا لمو تبالنامو ســا ر تباطًا وثيقًا (غل ٣: ١٠) . فمنيخطئفيو صيّة و ا حـد ة يصير مذ نبًا فيا لكلّ (يع ٢: ١٠). و لمّــا كان الناسقدكســرو اا لناموس، فقد أصبحو ا تحت لعنة ا لمو ت . و اقتضى عد لا للهو قد اســتهأن يو فى ا لجز اء . و لهذ ا السببأ تى يسـو عإ لى ا لعا لم ، لكييسوّ يا لحســا ببمو ته . لذ لكمات كبد يلعنا لمذ نبينا لذ ينكســر و اا لنا مو س ، معأ نّهو نفســهكا نبلا خطية . و هو لميُنحِّ ا لنا مو ســجا نبًا ، بلو فّى مقتضيا تها لكا ملة بتكميلهلمتطلبا تها لصا ر مة ، إ نفيحيا تهـأ و فيمو ته . و هكذ ا نجد أ نّا لا نجيللا يهمـل

النا مو س ،بليد عّمهو يؤيّد ه ،و يبيّنأ نّمتطلّبا تــه قدأُكملتبعملا لمسيحالفدائيعلى الصليب.

و لهذ ا السبب ، فإ نّكلمنيؤ منبيسـو ع ا لمســيح ، لا يكو نبعد تحتا لنا مو س ، بلتحت النعمة (رو ٦: ١٤)، و يكو نقد ما تللنا مــو س بعملا لمســيح . إ نّا لقصا صا لذ ييحتمه النا مو ســلا بدّ أ نيُد فعمرّ ةو ا حد ة ؛ و بما أ نّ المسيحد فعهذ اا لقصا ص ، فليســعلى ا لمؤ من أ يو ا جبمنهذ اا لقبيل . و منا لجهة نجـد أ نّ ا لنا مو سقد ا نتهيبا لنسبة للمؤ منا لمســيحي (٢كو ٣: ٧ - ١١). فالنامو ســكا نا لمؤدِّب إلى أ نجا ء ا لمسـيح ، لكنبعد ما تّما لخلا ص ، لاحاجةبعدإلى المؤدِّب(غل٣: ٢٤،٢٥).

و معأ نّا لمؤ منليســتحتا لنا مو س ، لكن ذ لكلا يعنيأ نّهبلا نا مو س . ذ لكلأ نّهمر بــو ط بو ثقأ شــدّ منر بطا لنا مو س ، إ ذ هو تحت نا مو سللمسيح (١كو ٩: ٢١). و إ نّســلو ك ا لمسيحيينتشكّلليســخو فًا منا لعقا ب ، بلمن محبّةقلبيّة هد فها إر ضا ء ا لمخلّص . فا لمســيح غدادســتو رحياةالمؤمنوقاعدتها(يو ١٣: ١٥؛ ١٥: ١٢؛أف٥: ١، ٢؛ ١يو ٢: ٦؛ ٣: ١٦).

غا لبًا ما يُطر حا لسـؤ ا لا لتا ليفيا لنقا ش الد ا ئر حو لعلا قة ا لمؤ منبا لنا مو س : « هــل يجبعليَّأنأ حفظا لو صا يا العشــر ؟ » و ا لجو اب هو أ نّهيو جد مبا د ئفيا لنا مو ستتما شــى معكل العصور. فالسرقةو الشــهو ةو القتلأمور خاطئة على الدو ام . هذ او تتكرّ ر فيالعهد ا لجديد تسـع منا لو صا يا ا لعشــر ، لكنمعفا ر قمهمو هو أ نّها ليســتمعطا ة هنا كنا مو س (أ يمر تبطة با لعقا ب) ، بلتد ر يبعلى ا لتقو ى لشــعبا لله (٢تي ٣: ١٦). غير أنّالو صيّة الو حيد ة غــير

ا لمكرَّر ة هيو صيّة حفظا لسـبت ؛فا لمؤ منو ن ا لمسيحيّو نلميُو صَو ا أبدًا بحفظا لسـبت (أي سابعيو مفيالأسبو عالذيهويو مالسبت).

إ نّخد مة ا لنا مو سللنا سـغير ا لمخلّصين لمتتهبعد : « و لكنّنا نعلمأ نّا لنا مو سـصا لح إ نكا نأ حد يستعملهنا مو سـيًّا » (١تي ١: ٨) . فإ نّا لا ستعما لا لقا نو نيللنا مو سينشـأ عنه معر فةا لخطية ،و هكذ ايقو د إلى التوبة .و لكـّن ا لنا مو سليسلأ و لئكا لذ ينسـبقفحصلو ا على ا لخلاص : « عا لمًا هذ ا أنا لنا مو سـلميو ضع للبار»(١تي ١: ٩).

إ نّا لبرّ ا لذ ييطا لبها لنا مو سـقد ا كتملفي حيا ة « ا لسا لكينليسحسبا لجسد بلحسـب الرو ح»(رو ٨: ٤).وبا لحقيقة،فإنّالتعليمالـذي نطقبها لر بيسـو عفيا لمو عظة على ا لجبل ، يعلو مستو ا هفو قمسـتو ى تعليما لنا مو س . فمثلاً، عندما يقو لالنا مو س، «لا تقتل»، يقـو ل يسـو ع «لا تبغضأ يضًا» . إذً افا لمو عظة على ا لجبللا تؤ يّد ا لنا مو سفقطبلتو سّـعهأ يضًا ، وتكشفعمقالأمور المتضمّنةفيه.

٥: ١٩ وإذ نعـود إلى الموعظة علـى الجبل، نلاحظ أنّ يسـوع توقّع أن يميل الإنسان إلى التخفيف من مطالب وصايـا الله. فالنـاس بالطبيعة يميلون لشـرح الوصايا بطرق شـتى كي يسـتعفوا منها بإعطائها معنى منطقيًّا أكثـر واقعيـة، ذلك لأنّهـا في طبيعتها فوق مسـتوى البشـر. لكنّ يسـوع يقول إنّ **من نقض** جـزءًا واحدًا **من الناموس**، وعلّـم آخرين هكذا، **يُدعى أصغر في ملكوت السـماوات**. والعجيب هو أنّ الربّ يقبل مثل أولئك في الملكـوت. إلاّ أنّ دخول الملكوت يتوقّف على الإيمان بالمسـيح فقـط لا غـير. إنّ وضع الإنسـان ومكانته في الملكـوت يتوقّف على مدى طاعتـه وأمانته في أثناء وجودة على الأرض، فإنّ الذي يطيع ناموس الملكوت **يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات**.

٥: ٢٠ **يجـب أن يزيد برّنا على برّ الكتبة والفرّيسـيّين** حتى نسـتطيع الدخول إلى الملكوت (كان الفرّيسيّون مكتفين بالمراسـيم الدينيّة التي أعطتهم تطهيرًا طقسـيًّا خارجيًّـا، ولكنّها لم تغـيّر قلوبهم البتّة). ويسـتخدم يسوع صيغة المبالغة ليضع الحق في نصابه، ذلك أنّ البرّ الخارجي بمعزلٍ عن الحقيقة الداخليّة، لا يحصّل دخولاً إلى الملكوت. فالبرّ الوحيد الذي يقبله الله هو الكمال الذي ينسـبه إلى الذين يقبلون ابنه مخلّصًا شخصيًّا لهم (٢كو٥: ١٢). وبالطبع، فحيثما يوجد إيمان حقيقي بالمسيح، فهنالك يكون البرّ العملي الذي يصفه الربّ يسوع في باقي الموعظة.

د. *يسوع يُحذّر من الغضب* (٥: ٢١-٢٦)

٥: ٢١ لقـد عرف اليهـود في زمن يسـوع أنّ القتل كان محرّمًـا من الله، وأنّ القاتل كان معرّضًا للقصاص. وكان ذلـك معروفًـا قبل إعطـاء النامـوس (تك٩: ٦). ثـمّ أُدمج بعد ذلـك في الناموس (خر٢٠: ١٣؛ تث٥: ١٧). لكن عندما قال يسـوع: «أمّا أنا فأقول لكـم» أدخل تعديلاً على التعليم المختصّ بالقتل. فلم يعُد باسـتطاعة الإنسان أن يفتخر لأنّه لم يرتكب جريمة قتل. وكأنّ يسـوع يقـول الآن: "في ملكوتي يجب ألاّ يكـون عندكم حتى مجـرّد أفكار القتـل". فهو يعزو عمل القتل لمصدره في الفكر، ويحذّر ضدّ ثلاثة أشكال للغضب الأثيم.

٥: ٢٢ أوّل شكل هو حالة الإنسان الذي يغضب على أخيه بلا سبب*. والذي يتّهم بهذه الجريمة يعرّض نفسه لخطر المحاكمة، بمعنى أنّه يؤخذ إلى دار القضاء. وقد يجد معظم الناس ما يعتبرونه سببًا مشروعًا لتبرير غضبهم، ولكنّ الغضب يُبرَّر فقط عندما يكون إكرام الله على المحكّ، أو عندما يكون أحد الناس مظلومًا. لكنّه ليس مبرَّرًا عندما يكون ردّة فعل لأذى شخصي.

إنّ خطية الشتيمة للأخ تعتبر أمرًا أشدّ خطورة. ففي زمن المسيح، كان الناس يستعملون كلمة «رقا» (وهي تعبير أرامي معناه "الشخص الفارغ") ككلمة احتقار وشتيمة. وكان أولئك الذين استعملوا هذه الصفة عرضة للوقوف أمام المجمع، بمعنى أنّهم كانوا تحت خطر المحاكمة أمام السنهدريم، وهو أعلى دار للقضاء في البلاد.

وأخيرًا، فإنّ دعوة أحد بكلمة «أحمق» هي الشكل الثالث من أشكال الغضب الآثم الذي يدينه الرب يسوع. هذا وإنّ كلمة «أحمق» هنا، تعني أكثر من مجرّد مغفّل، فهي تدلّ على أنه أحمق أخلاقيًّا وأنّه لا بد أن يموت وتعبّر عن تمنّي الموت الفعلي للأخ. أمّا اليوم، فمن الشائع أن يشتم أحدهم شخصًا ما بقوله "لعنك الله"، وكأنه يدعو إلى الله لكي يرسله إلى الجحيم. والرب يسوع هنا، يقول إنّ من يتفوّه بمثل هذه اللّعنة يكون في خطر أن يُلقى هو نفسه في جهنّم النار. إنّ أجساد المجرمين بعد إعدامهم كانت تلقى في وادٍ لحرق النفايات خارج أورشليم يُعرف بوادي هنّوم، أو جهنّم. وكان ذلك الوادي رمزًا لنيران جهنّم التي لن تُطفأ.

* إنّ النص اليوناني النقدي Critical text يحذف شبه جملة «بلا سبب»، وهذا يستبعد بالتالي حتى فكرة الغضب المبرّر.

لا تفوتنا مطلقًا الصرامة الموجودة في كلمات مخلّصنا هُنا. فهو يعلّم أنّ الغضب إنّما يحتوي على بذور القتل، والكلمات الفاسدة تحتوي على روح القتل، وكلمات اللّعنة تتضمّن الرغبة في القتل. وتتطلّب الزيادة المستفحلة للجرائم ثلاث درجات من العقاب: الحكم، والمجمع، ونار جهنّم. وفي الملكوت، سوف يتعامل الربّ يسوع مع الخطايا حسب شدّتها.

٥: ٢٣، ٢٤ إذا أعثر أحدهم شخصًا آخر، سواء بالغضب أو لأي سبب من الأسباب، فلا فائدة من أن يقدم تقدمة لله، لأنّه لا يُسرّ بها. فعلى من أعثر أن يذهب أولاً ويُصلح خطأه، عند ذلك فقط تُقبل تقدمته.

ومع أنّ هذا الكلام قيل في قالب التقليد اليهودي، فإنّ له تطبيقًا في يومنا هذا أيضًا. ولقد أوضح بولس نفس هذا المفهوم في ما يتعلّق بعشاء الربّ (أنظر ١كو ١١). فإنّ الله لا يتقبّل العبادة من مؤمن ليس على تفاهم مع أخيه.

٥: ٢٥، ٢٦ يحذّر الرب يسوع هنا من روح المشاكسة المحبّة للخصام، والتي لا تقبل الاعتراف بالخطإ. فمن الأفضل دائمًا أن يسوّى الأمر مع الشخص المشتكي، عوضًا عن التعرّض لخطر المحاكمة في دار القضاء. لأنّ الأمر لو وصل إلى المحاكمة فالخسارة حتميّة. ومع أنّه يوجد خلاف بين المفسّرين على هويّة الأشخاص في هذا المثل، فإنّ الموضوع واضح، وهو هكذا: إن كنت مخطئًا، فأسرع واعترف بذلك، ثمّ صحّح الوضع. لكن إذا أصرّيت على موقفك هكذا بغير توبة، فإنّ خطيّتك ستوقعك، ولن يكون لك عند ذلك أن تصحّح الوضع كما كان عليه من قبل، بل ستضطرّ لتحمّل عقوبات

إضافيّة. ولا تستعجل الذهاب إلى المحكمة، لأنّ القانون سينالك، وستضطرّ إلى دفع الفلس الأخير.

هـ. يسوع يدين الزنى (٥: ٢٧ـ٣٠)

حرّم ناموس موسى الزنى بشكل واضح (خر ٢٠: ١٤؛ تث٥: ١٨). ويمكن للإنسان أن يفتخر بأنّه لم يكسر هذه الوصيّة ومع ذلك فعيناه مملوءتان بالزنى (٢بط٢: ١٤). فبينما يظهر بحسب الخارج بمظهر محترم، قد يكون ذهنه باستمرار متردّدًا في متاهات النجاسة والزنى. لذلك يذكّر يسوع تلاميذه بأنّ مجرّد عدم ارتكاب الزنى جسديًا ليس كافيًا، فلا بدّ من النقاوة الداخليّة. وبينما يُحرّم الناموس فعل الزنى نفسه، يحرّم الرب يسوع مجرّد الرغبة فيه: «إنّ كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه». ولقد أدرك ستانلي جونز *Stanley Jones* مضمون هذه الآية، فكتب يقول: "إذا كنت تفكّر في الزنى أو تفعله، فأنت لا تُشبع الحاجة الجنسيّة الملحّة، ولكنّك تصبّ زيتًا على نار لكي تطفئها". إنّ الخطية تبدأ في الفكر، فإن كنّا نغذيها، فسنرتكب الفعل في النهاية.

٥: ٢٩، ٣٠ إنّ الحفاظ على حياة فكريّة طاهرة يتطلّب تدريبًا صارمًا للنفس. لذا علّم يسوع أنّه إذا قادنا أحد الأعضاء في أجسادنا إلى الخطية فخير لنا أن نخسر هذا العضو من أن نخسر نفوسنا إلى الأبد. ماذا، هل نأخذ كلام الربّ يسوع حرفيًّا؟ هل كان يسوع ينادي ببتر الأعضاء الشخصيّة للإنسان؟ والكلمات هذه حرفيّة بمعنى أنّه: لو كان ضروريًّا أن نخسر أحد أعضائنا في سبيل ربح النفس للحياة الأبديّة، لكان علينا عندئذ أن نتخلّى عن هذا العضو بكلّ سرور. لكن من الخير أنّ الأمر ليس ضروريًّا، ذلك لأنّ الروح القدس يزوّد المؤمن بالقوّة اللازمة لكي يعيش حياة مقدّسة، لكنّ ذلك لا يحصل بدون تعاون من جانب المؤمن وتدريب صارم للذات.

و. يسوع يُحَرِّم الطلاق (٥: ٣١، ٣٢)

٥: ٣١ كان الطلاق في العهد القديم مسموحًا به بحسب سفر التثنية ٢٤: ١ـ٤ وهذا المقطع الأخير لا يتعلّق بالطلاق في حالة الزوجة الزانية (عقوبة الزنى كانت الموت، أنظر تث٢٢: ٢٢)، بل يتعلّق بالطلاق بسبب الكرة والتنافر أو "عدم التوافق".

٥: ٣٢ لكن في ملكوت المسيح، **من طلّق امرأته إلاّ لعلّة الزنى يجعلها تزني**. وهذا لا يعني أنّها تصبح زانية بطريقة أوتوماتيكيّة، ولكنه يفترض مسبقاً أنّها ستكون مجبرة على العيش مع رجل آخر إذ لا وسيلة أخرى لإعالتها، وبفعلها هذا تصبح في حالة الزنى. وليس ذلك حال المرأة فقط، بل الرجل أيضًا إذا **تزوّج مطلّقة فهو يزني**.

إنّ موضوع الطلاق والزواج ثانية يُعتبر واحدًا من أعقد المواضيع الكتابيّة. وتصعب الإجابة على كل الأسئلة التي قد تظهر. لذا فمن المفيد لنا أن نستعرض ما يعلّمه الكتاب المقدّس عن هذا الموضوع بشكل مختصر.

الطلاق والزواج ثانية

لميكنا لطلا قفيفكر ا للهمنجهة ا لإ نسا نا لبتّة . بلكا نتغا يتهأ نيبقى ا لر جل و ا لمر أ ةمتزوّ جينحتى يُبطِلا لموتا تحاد هما (رو ٧: ٢، ٣). وقد أوضحيسو عذلكا لأمر للفرّ يسيّينإ ذ لجأ إ لى ا لتر تيبا لإ لهيفي الخليقة(مت١٩: ٤-٦).

يكرهه الله الطلاق (ملا ٢: ١٦) الذي لا أساس له في الكتاب المقدّس. وهو لا يكره كل أنواع الطلاق لأنّه يتكلّم عن نفسه أنّه طلّق إسرائيل (إر ٣: ٨). حصل ذلك لأنّ الأمّة القديمة تركته لتعبد الأصنام، إذ كان الشعب غير أمين للرب إلهه.

وعلّم يسوع، في متى ٥: ٣١، ٣٢؛ ١٩: ٩، أنّ الطلاق محرّم، إلاّ إذا وجد واحد من الشريكين زانيًا. وهذا ولا تظهر جملة الاستثناء هذه في مرقس ١٠: ١١، ١٢ ولوقا ١٦: ١٨.

ويمكننا شرح هذه الصعوبة، إذا اعتبرنا أنّ مرقس ولوقا لا يسجّلان، على الأرجح، المقولة بكاملها. لذلك، مع أنّ الطلاق ليس الحلّ المثالي، إلاّ أنّه مسموح به في حالة وجود الزنى عند أيّ من الزوجين. إنّ يسوع يسمح بالطلاق في هذه الحالة لكنّه لا يأمر به.

ويرى بعض الدارسين أنّ كورنثوس الأولى ٧: ١٢ – ١٦ يعلّم أنّ الطلاق مقبول في حالة ترك غير المؤمن للمؤمن. ويقول بولس: إنّ الطرف المهجور ليس «مُستعبَدًا في مثل هذه الأحوال»، أي أنّه حرّ في الحصول على كتاب طلاق (بسبب الترك). إنّ رأي الكاتب الحاليّ هو أنّ الحالة هذه تتوافق الحالة المسموح بها في متى ١٩: ٥، أي حالة مفارقة غير المؤمن ليعيش مع شخص آخر. لذلك يمكن للمؤمن أن يحصل على الطلاق على أساس كتابي، وهذا ينطبق عندما يرتكب الطرف الآخر الزنى فقط.

كثيرًا ما يقال إنّه مع كون الطلاق مسموحًا به في العهد الجديد (في حالة الزنى)، فإنّ الزواج ثانية ليس واردًا البتّة. لكنّ هذا القول يخلو من الصواب. فالزواج ثانية ليس مسدًا أنّا في العهد الجديد من جهة الطرف البريء؛ إنّه مُدان فقط من جهة الطرف المذنب. وهذا واحد من الأغراض الرئيسيّة للطلاق الكتابي، هو إمكانيّة الزواج ثانية؛ وإلاّ فالانفصال يمكن أن يفي بالغرض أيضًا.

إنّ سؤالاً وجيهًا يطرح نفسه عند مناقشة هذا الموضوع: «ماذا عن الذين كانوا مطلّقين قبل حصولهم على الخلاص؟». لا شكّ أنّ الطلاقات غير الشرعيّة والزواجات الثانية أيضًا قبل الخلاص هي خطايا تمّ غفرانها الكامل بدم المسيح (أنظر على سبيل المثال ١كو ٦: ١١، حيث يشمل بولس الزنى في لائحة الخطايا التي كان المؤمنون الكورنثيون قد سبقوا فاشتركوا فيها). فالخطايا السابقة للاهتداء لا تحول دون مشاركة المؤمنين الكاملة في الكنيسة المحليّة.

ويبرز سؤال آخر أشدّ صعوبة يتعلّق بالمؤمن المسيحي الذي طلّق لأسباب غير كتابيّة، ثمّ تزوّج مرّة ثانية. هل يمكن قبوله ثانية في شركة الكنيسة المحليّة؟ تعتمد الإجابة على كون عمليّة الزنى هي أوّلاً اتحاد جسديّ، أو هي عمليّة مستمرّة. إذا كان رجل وامرأة يعيشان في حالة زنى مستمرّ، فإنّ المسألة تتطلّب ليس اعترافهما بالخطية فقط، بل انفصالهما الواحد عن الآخر أيضًا. إلاّ أنّ حلّ المشكلة ما لا يكون أبدًا من طريق إثارة مشاكل أصعب. فإذا حدث أنّه، من أجل فكّ عقدة متعلّقة بالزواج، يُدفع الناس إلى الدخول في الخطية، أو تُترك النساء ويُترك الأطفال في حالة العوز والتشرّد، يكون العلاج أسوأ من المرض.

في رأي الكاتب، أنّ المؤمنين المسيحيّين الذين طلّقوا وتزوّجوا ثانية بلا أساس كتابي، يُمكن استعادتهم لشركة الكنيسة المحليّة إذا

تا بو ا عنخطيتّهمتو بة صا د قة . لكنيظهـر أنّ كلحا لة تقر يبًا منحا لا تا لطلا قتختلفعـن الأ خر ى ؛لذ لكفمنا لضر و ر يلشيو خا لكنيسـة أ نيتقصّو ا كلحا لة بمفر د ها ، و يحكمو ا فيهـا بحسـبكلمة ا لله . إذ ا ا ضطر ا لأ مر ، فيبعض الأ حو ا ل ، لا تخا ذ خطو ا تتأ د يبيّة ، فيجبعلـى المعنيّينأنيخضعو القر ار الشيو خ.

ز. يسوع يدين الأقسام (٥: ٣٣ـ٣٧)

٥: ٣٣ـ٣٦ احتوى الناموس الموسوي على عدّة وصايا تتعلّق بالامتناع عن استخدام اسم الله في الأقسام الباطلة (لا ١٩: ١٢؛ عد ٣٠: ٢؛ تث ٢٣: ٢١). فالقسم باسم الرب كان معناه أن تستشهد الله على أنّك تقول الحقيقة. وقد أراد اليهود أن يتجنّبوا الخطأ الناشئ من استخدام اسم الرب في الأقسام الباطلة، فاستبدلوه مستخدمين **السماء والأرض، وأورشليم أو رؤوسهم** في الأقسام.

لكنّ يسوع دان مثل هذه المراوغة حول الشريعة، واصفًا إيّاها بأنّها رياء مطلق، وهو يحرّم أي شكل من أشكال الحلف أو القسم في المحادثات العاديّة. وإنّ محاولة تجنّب الحلف باسم الرب من طريق استبدال اسم آخر به لم تكن عمليّة رياء فقط بل كانت عديمة النفع أيضًا. فالحلف **بالسماء** معناه الحلف **بعرش الله**. والحلف **بالأرض** هو الحلف **بموطئ قدميه**، والحلف **بأورشليم** هو الحلف **بمدينة الملك العظيم**. حتى الحلف برأس الإنسان يشمل الله باعتباره خالق كل شيء.

٥: ٣٧ إنّ القسم بالنسبة للمسيحي أمر غير ضروري. فإنّ «**نَعَمْ**» يجب أن تعني «**نعم**»، و«**لا**» يجب أن تعني «**لا**». أمّا استخدام لغة أقوى من ذلك فمعناه الاعتراف بأنّ إبليس، وهو الشرّير، يسود على حياتنا. فلا وجود لظروف يستطيع المؤمن أن يكذب فيها.

ويحرّم هذا المقطع أيضًا كل أشكال الخداع وإخفاء الحقّ. لكنّه لا يحرّم تلاوة القسم في المحكمة. فإنّ يسوع نفسه أعطى شهادته بقسم أمام رئيس الكهنة (مت ٢٦: ٦٣). واستخدم بولس أيضًا القسم ليستشهد الله على نفسه بأنّه يكتب الصدق (٢كو ١: ٢٣؛ غل ١: ٢٠).

ح. الذهاب ميلاً ثانيًا (٥: ٣٨ـ٤٢)

٥: ٣٨ قال الناموس: «**عين بعين وسنّ بسنّ**» (خر ٢١: ٢٤؛ لا ٢٤: ٢٠؛ تث ١٩: ٢١). كان ذلك بمثابة أمر بالعقاب وتحديد للعقوبة في الوقت نفسه، فالجزاء يجب ألاّ يتعدّى الجريمة. ومع ذلك، وبحسب العهد القديم كانت السلطة لإنزال العقوبة محصورة بالحكومة وليس بالفرد.

٥: ٣٩ـ٤١ ذهب يسوع أبعد من الناموس، إلى حالة أعلى من البرّ والصلاح، وذلك بإبطاله الانتقام كلّيًّا. فقد بيّن لتلاميذه أنّه في حين كان الانتقام مسموحًا به قبلاً في الناموس، فعدم المقاومة أصبح الآن مستطاعًا بفضل النعمة. فعلّم يسوع أتباعه ألاّ يقاوموا الإنسان الشرّير. فإن لَطَمهم أحد على الخدّ، وجب عليهم تحويل الخدّ الآخر أيضًا له. إذا اشتكى أحد عليهم ليأخذ منهم ثوبهم، فعليهم أن يُعطوه الرداء أيضًا. وإذا سخّرهم موظّف رسميّ لحمل أمتعته مسافة ميل واحد، كان عليهم أن يتطوّعوا للذهاب مسافة ميلين.

٥: ٤٢ إنّ وصيّة يسوع الأخيرة في هذه الفقرة تبدو لنا غير عمليّة في وقتنا الحاضر. يقول: «**من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه**». إنّ انشغالنا بالخيرات الماديّة والممتلكات، يجعلنا نتراجع عن فكرة التنازل عمّا امتلكناه. ومع ذلك، فبإمكاننا أن نأخذ هذا التعليم بشكل حرفي إذا كنّا مستعدّين للتركيز على الكنوز التي لنا في السماء والاكتفاء بالقوت والكسوة الضروريّين فقط. وقول يسوع هذا يفترض مسبقًا أنّ الإنسان الذي يطلب المساعدة لديه حاجة حقيقيّة. ولمّا كان من المستحيل معرفة كون الحاجة حقيقيّة ومشروعة في كل الحالات، فمن الأفضل (كما قال أحدهم) "مساعدة العديد من الشحاذين المحتالين على المخاطرة بردّ واحد له حاجة حقيقيّة".

مثل هذا السلوك الذي يدعو الرب إليه هنا مستحيل من وجهة النظر البشريّة. لكنّ الإنسان الذي يعيش تحت سيطرة الروح القدس هو فقط الذي يقدر أن يحيا حياة التضحية من أجل الآخرين. وعندما يسمح المؤمن للرب بأن يحيا فيه، عندئذ فقط يستطيع المؤمن أن يجازي الشتيمة (ع ٣٩)، والظلم (ع ٤٠)، والإزعاج (ع ٤١) بالمحبّة. هذا هو "إنجيل الميل الثاني".

ط. *أحبوا أعداءكم* (٥: ٤٣ـ٤٨)

٥: ٤٣ هذا هو المثل الأخير الذي أعطاه الرب في سلسلة الأمثال التي تختص بالمستوى الرفيع لبرّ الملكوت. ويتعلّق هذا المثل بكيفيّة معاملة الإنسان لأعدائه، وهو موضوع ينشأ طبيعيًّا من الفقرة السابقة. وقد أوصى الناموس الشعب القديم أن يحبّوا أقرباءهم (لا ١٩: ١٨). ومع أنّهم لم يوصوا صراحة بكره أعدائهم، فإنّ هذه الروح كثيرًا ما كانت ترافق تعاليمهم. كان موقفهم هذا تلخيصًا لنظرة العهد القديم تجاه الذين كانوا يضطهدون شعب الله (أنظر مزمور ١٣٩: ٢١، ٢٢). وموقف العداء هذا كان مبرَّرًا لأنّه كان موجّهًا ضدّ أعداء الله.

٥: ٤٤ـ٤٧ لكنّ يسوع يعلن الآن أنّ علينا أن نحبّ أعداءنا، وأن **نصلّي من أجل الذين... يطردوننا**. وبما أنّ الربّ يوصي بالمحبّة للعدو، فهذا يعني أنّ المسألة ليست مسألة عواطف بالدرجة الأولى بل مسألة إرادة. والأمر لا يتعلّق بالمشاعر الطبيعيّة لأنه ليس من الطبيعي أن نحبّ الذين يكرهوننا ويؤذوننا. هذا الأمر يحتاج إلى نعمة من السماء يمكنها أن تظهر فقط عند الذين يتمتّعون بحياة جديدة من عند الله.

هذا ولا توجد مكافأة لنا إن أحببنا الذين يحبّوننا فقط. ويقول يسوع، إنّه حتى **العشّارون*** الخطاة **يفعلون ذلك**. فهذا النوع من المحبّة لا يتطلّب قوّة إلهيّة. وليس لنا أيّ فضل إن كنّا نسلّم على **إخوتنا**** فقط، أي أقربائنا وأصدقائنا. فغير المؤمنين يفعلون هذا أيضًا، ولا وجود لشيء مسيحي مميّز في هذا الأمر. إن لم تكن مستوياتنا أعلى من مستويات العالم، فلن نستطيع التأثير في العالم أبدًا.

قال الرب يسوع إنّ أتباعه يجب أن يقابلوا الشرّ بالخير، **ليكونوا أبناء أبيهم الذي في السماوات**. لكن لم يقل إنّ هذه هي الطريقة التي يمكن بواسطتها أن نصبح أبناء لله؛ إنّما هي الطريقة التي نظهر من خلالها أنّنا أولاد الله. وبما أنّ الله لا يُظهر تحيّزًا لصالح أيّ من الطرفين،

* وردت في النص النقدي اليوناني (Critical text) عبارة «الأمم» عوضًا عن «العشارون»

** وردت في نص الأغلبيّة اليوناني (وهو مؤسّس على غالبيّة المخطوطات Majority text) كلمة أصدقاء بدل كلمة إخوة.

الشرّير والصالح (بمعنى أنّ الاثنين يستفيدان من المطر والشمس)، هكذا علينا نحن أيضًا أن نتعامل بعدل ورحمة مع الجميع على السواء.

٥: ٤٨ ويختم يسوع هذا الجزء من الموعظة بالأمر التالي: «**فكونوا أنتم كاملين، كما أنّ أباكم الذي في السماوات هو كامل**». والكلمة «**كاملين**» يجب أن تُفهم في ضوء سياق الكلام. فهي لا تعني "بلا خطية" أو "بلا عيب"، فالآيات السابقة توضح معنى أن نكون كاملين، وهو أن نحبّ الذين يكرهوننا، وأن نصلّي لأجل الذين يضطهدوننا وأن نظهر لطفًا للصديق والعدوّ على حدّ سواء. فالكمال هنا هو ذلك النضج الروحي الذي يمكّن المؤمن من التمثّل بالله في توزيع البركة على الجميع دونما تحيّز.

ى. أعطوا بصدق (٦: ١-٤)

٦: ١ يعالج يسوع في النصف الأوّل من هذا الفصل ثلاثة مواضيع تتعلّق بالبرّ العملي في حياة الإنسان: الأعمال الخيريّة (ع١-٤)، الصلاة (ع٥-١٥)، الصوم (ع١٦-١٨). ويظهر اسم الآب، في هذه الآيات الثماني عشرة، عشر مرّات؛ لذلك فهو مفتاحنا لفهمها فهمًا حقيقيًّا. فإنّ أعمال البرّ يجب أن تؤدّى حسب استحسانه وليس حسب استحسان البشر.

ويبدأ يسوع هذا الجزء من موعظته بالتحذير من خطر استعراض تقوانا بتأدية الأعمال الخيريّة بهدف أن يرانا الآخرون. وهو لا يدين العمل نفسه بل الدافع من ورائه. فإذا كان الدافع هو ملاحظة الناس لأعمالنا، فستكون هذه هي المكافأة الوحيدة التي سنحصل عليها، ذلك أنّ الله لا يكافئ المرائين.

٦: ٢ ربّما يظهر من غير المعقول أنّ المرائين كانوا يجذبون الانتباه إلى أنفسهم من طريق التبويق والضجّة التي كانت ترافق تقدماتهم التي يقدّمونها في المجامع، والصدقات التي كانوا يعطونها للمستعطين في الشوارع. وقد رفض الربّ سلوكهم هذا إذ علّق قائلاً: «**إنّهم قد استوفوا أجرهم**»، (أي أنّ أجرتهم الوحيدة هي السمعة التي يحرزونها وهم على الأرض).

٦: ٣، ٤ ينبغي على من يتبع المسيح أن يصنع صدقته في الخفاء. والصدقة يجب أن تكون سريّة لدرجة أنّ يسوع قال: «**لا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك**». ويستخدم يسوع هذا التشبيه ليبيّن أنّ أعمالنا الخيريّة يجب أن تكون من أجل الآب السماوي وليس لكسب الشهرة من جانب الشخص المعطي.

لكن يجب ألاّ يُفهم من هذا المقطع أنّه يمنعنا من إعطاء أيّة عطيّة بشكل ظاهر للآخرين، فمن شبه المستحيل أن تكون كل عطايانا سريّة لكنّه ببساطة يدين العرض الصاخب للعطاء.

ك. صلّوا بصدق (٦: ٥-٨)

٦: ٥ يحذّر يسوع تلاميذه ثانية من الرياء عند الصلاة. فعليهم ألاّ يتعمّدوا الوقوف في الأماكن العامّة لكي يراهم الآخرون وهم يصلّون فيتأثّروا بتقواهم. فإن كان حبّ الشهرة هو الحافز الوحيد للصلاة، فيسوع يعلن صراحة أنّ الشهرة المكتسبة هي أجرهم الوحيد.

٦: ٦ في حين يستخدم ضمير المخاطبة للجماعة (في اليوناني) في العددين ٥، ٧، فإنّ الربّ يستخدم ضمير

المفرد في العدد ٦ «أنت»، وذلك للتشديد على العلاقة الشخصيّة بالله. وإنّ سرّ استجابة الصلاة هو في أن نفعلها في الخفاء (أي: **ادخل إلى مخدعك وأغلق بابك**). فإذا كان دافعنا الحقيقي أن ندخل إلى محضر الله، فسوف يسمعنا ويستجيبنا.

ويجب أن نحذر من استخدام هذه الفقرة لتحريم الصلاة الجماعيّة، فهذا المقطع لا يعلّم ذلك أبدًا. فلقد كانت الكنيسة الأولى تجتمع معًا للصلاة الجماعيّة أحيانًا كثيرة (أع ٢: ٤٢؛ ١٢: ٥؛ ١٣: ٣؛ ١٤: ٢٣؛ ٢٠: ٣٦). فالموضوع هنا ليس مكان الصلاة بل دافع الصلاة: أ هو أن يسمعنا الله أم أن يرانا الناس؟

٦: ٧ ينبغي ألاّ تكون الصلاة مجرّد تكرار للكلام، أي جُملاً مبتذلة أو عبارات فارغة. فإنّ غير المخلّصين يصلّون هكذا، لكنّ الله لا يؤخذ بمجرّد التكثير في الكلام، بل هو يستحسن سماع العبارات الصادقة النابعة من القلب.

٦: ٨ ولمّا كان أبونا يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله، لذلك فمن الممكن أن نتساءل: "لماذا نصلي إذًا؟". السبب هو أن نعترف في الصلاة باحتياجنا إلى الله واعتمادنا عليه. فالصلاة هي الأساس في الشركة مع الله. وبالإضافة إلى ذلك، فهناك أشياء يعملها الله استجابةً للصلاة لا يعملها إن لم تكن هناك صلاة من أجلها (يع ٤: ٢).

ل. *يسوع يعلّم الصلاة النموذجيّة* (٦: ٩ـ١٥)

٦: ٩ لدينا في الأعداد ٩ـ١٣ ما هو معروف بـ"الصلاة الربّانيّة". لكن يجب أن نتذكّر في استخدامنا لهذه التسمية، أنّ يسوع نفسه لم يصلِّ هذه الصلاة. بل أعطاها لتلاميذه كنموذج لكي يقتدوا بها في صلاتهم. ولم تُعطَ لكي تصلّى كلماتها حرفيًّا (يبدو أن العدد ٧ يستبعد هذه الفكرة)، لأنّ الكلام المكّرر يمكن أن يصبح عبارات فارغة بلا معنى.

أبانا الذي في السماوات. ينبغي أن تُوجّه الصلاة إلى الله الآب بالاعتراف بسيادته المطلقة على العالم.

ليتقدّس اسمك. علينا أن نبدأ صلواتنا بالعبادة، فننسب إلى الله المدح والكرامة، لأنه مستحقّ لذلك.

٦: ١٠ ليأت ملكوتك. بعد التعبّد، ينبغي أن نصلّي من أجل تقدّم عمل الله، واضعين اهتماماته أولاً. وينبغي أن نصلي بصفة خاصّة من أجل اليوم الذي يقيم فيه مخلّصنا الرب يسوع المسيح مملكته على الأرض ليملك بالبرّ.

لتكن مشيئتك. نعترف في هذه الطلبة بأنّ الله يعرف ما هو أفضل لنا، وبأنّنا نسلّم إرادتنا لمشيئته. وتعبّر هذه الطلبة عن شوقنا لأن نرى مشيئته وقد سادت في العالم.

كما في السماء كذلك على الأرض. تعدّل هذه العبارات الطلبات الثلاث السابقة. فإنّ عبادة الله، وسيادة حكمة، وعمل مشيئته، جميعها حقيقة واقعة في السماء. لكنّ الطلبة هي أن تسود هذه الحال على الأرض كما هي في السماء.

٦: ١١ خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. بعد أن نضع مصالح الله في البداية، يجوز لنا أن نطلب احتياجاتنا. وهذه الطلبة تحوي الاعتراف باعتمادنا على الله من أجل طعامنا اليومي، الروحي والجسدي معًا.

٦: ١٢ واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا. وهذا لا يشير إلى الغفران القضائي لجزاء الخطية

(فهذا الغفـران يُحصَّل بالإيمان بابن الله). لكنّه يشـير بالأحـرى إلى الغفران الأبوي الذي نحتاجه لنتمكّن من حفظ شركتنا مع الآب السماوي. فإذا كان المؤمنون غير مستعدّين لأن يغفروا لأولئك الذين يسيئون إليهم، فكيف يمكنهم أن يتوقّعوا أن يكونوا في شركة مع أبيهم السماوي الذي غفر لهم مجانًا أعمالهم السيّئة؟

٦: ١٣ ولا تدخلنـا في تجربـة. ربّما تبـدو هذه الطلبة متعارضـة مع يعقـوب ١: ١٣. حيث يقـول إنّ الله لا يجـرّب أحدًا. ومع ذلك، فإنّ الله يسـمح لشـعبه بالتجارب والامتحانات. وإنّ هذه الطلبة تعبّر حسـنًا عن انعدام الثقة في قدرة الإنسان على مقاومة التجارب أو الانتصار في الضيق. وهي تتضمّن اعترافًا بالاعتماد الكامل على الرب للنجاة من المحن.

لكـن نجّنا من الشـرّير. وهذه هي صلاة كل الذين يرغبون من كل قلوبهم أن يُحفظوا من الخطية بقوّة الله. إنّها صرخة من القلب من أجل الخلاص اليومي من قوّة الخطية والشيطان في حياة الإنسان.

لأنّ لـك الملك والقـوّة والمجد إلى الأبـد. آمين. إنّ هذه الجملة من الصلاة محذوفة من الكتب المقدّسة عند الكاثوليك ومن النسخ الحديثة للكتاب عند الإنجيليين، لأنّها غير موجودة في كثير من المخطوطات* القديمة.

لكن مع ذلك، تسـبيحة كهذه هي خير نهاية لهذه الصلاة، وهي موجـودة أيضًا في غالبيّـة المخطوطات. وقد كتب كالفن يقول عن الصلاة إنّها ينبغي "ألا تلهب قلوبنا فقط للسعي نحو مجد الله... بل أيضًا أن تعرّفنا بأنّ كل صلواتنا ليس لها أساس آخر سوى الله وحده".

٦: ١٤، ١٥ تخـدم هذه الآية كإيضاح للآية ١٢. فهي ليست جزءًا من الصلاة، بل زيدت عليها لتشدّد على أنّ الغفران الأبوي المذكور في الآية ١٢ غفران مشروط.

م. *يسوع يعلّم كيفيّة الصوم* (٦: ١٦ـ١٨)

٦: ١٦ هنا يشـجب يسوع الشكل الثالث من أشكال الريـاء الديني. وهذا كان يتجلّـى بمحاولات لإظهار النفـس بمظهـر الصـوم. فـإنّ المرائين كانـوا **يغيّرون وجوههـم** عندما يصومـون، **لكي يظهـروا** بمظهر الهزال والكآبة والحزن. لكنّ يسـوع يقول إنّ محاولة الظهور بمظهر القداسة أمر سخيف حقًا.

٦: ١٧، ١٨ فالمؤمنـون الحقيقيّـون عليهم أن **يصوموا في الخفـاء**، بـدون إظهار ذلك في الشـكل الخارجي. والجملة «**فادهن رأسـك واغسـل وجهك**»، تعني أن يظهر الإنسان بمظهر طبيعي. لأنّه يكفي أنّ الآب السماوي يعرف، فمكافأته أفضل بكثير من استحسان الناس.

الصوم

الصو ممعنا ها لا متنا عنا إشبا عأيّة شـهيّة للجسـد . و هو يكو نا ختيا ر يًا ، كما فيهذ ا الموضع ، أو غير ا ختيار ي (كما فيأ عمـا ل ٢٧: ٣٣ أو كو ر نثو سـا لثانية ١١: ٢٧) . و فيا لعهد ا لجد يد ، غا لبًا ما يكو نمصحو بًـا بالتذلّل (مت ٩: ١٤، ١٥) و الصلاة (لـو ٢: ٣٧؛ أع ١٤: ٢٣) . ففيهذ ها لمقا طعكا نتا لصـلا ة مصحو بة با لصو مكد ليلعلى جد يّة ا لمصليفـي

---

* يعلّم بعض الدارسين أنّ هذه التسبيحة الختاميّة مأخوذة عن أخبار الأيّام الأولى ٢٩: ١١ لغايات طقسيّة. لكنّ هذا مجرّد ظنّ. وشكل الصلاة في الترجمات التقليديّة (فانذايك) قابل تمامًا للدفاع عنه.

طلبهلمعرفةمشيئةالله.

غير أ نّا لصو مليستلهاأ يّة قيمة للخلا ص بحدّ ذ ا ته . و هو لا يعطيا لمؤ منأ يّمر كـز خا صأ ما ما لله . فعند ما ا فتخر ا لفرّ يسـي بأ نّهيصو ممر تّينفيا لأ سـبو ع ، لمينجح فيا لحصو لعلى ا لتبر ير ا لذ يكا نيطلبـه (لو ١٨: ١٢، ١٤) .لكنعندمايصوما لمؤمـن ا لمسـيحيفيا لخفا ء ، منبا لتذ لّلا لر و حي ، فإنّا للهينظر إ لى تذ لّلهو يجا ز يه . و فيحـين لاتوجدوصيّةتأمر بالصومفيالعهدا لجديـد ، فهو أ مر مشـجّععليهلو جو د و عد با لبر كة و ا لمكا فأ ة . فهو يسـا عد حيا ة ا لصلا ة عند ا لمؤ منإذيز يلمنها البلادةوا لخمول . و ينفـع ا لصو مفيو قتا لضيقعند ما ير يد ا لإ نسـا نأ ن يميّز مشـيئة ا لله . و هو ذو فا ئدةمنجهة التعوّ د على تر و يضالنفس . هذا و أنّا لصو مأمر بـين الإنسـانو الله ، و ينبغيأ نيُعملبنا ءَ على الر غبة فيإر ضا ئه . و يفقد قيمتهتما مًا عند ما يُفـر ض منخارجأويتّمبدوافعغيرصحيحة.

ن. *اكنزوا كنوزًا في السماء* (٦: ١٩-٢١)

تحتـوي هـذه القطعة علـى بعض تعاليم المسـيح الأكثـر ثوريّة، والتي تلقى أكثـر الإهمال. وموضوع باقي الفصل هو كيفيّة ضمان المستقبل.

٦: ١٩، ٢٠ في الأعداد ١٩-٢١ يُنكر يسـوع صحّة كل النصائح البشريّة التي تنصح بالتجميع المادي بغية ضمان المستقبل ماديًّا.

فعندما يقـول: «**لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض**»، فهو يشـير إلى أنّه لا يوجد ضمـان في الأمور الماديّة. فأيّ نوع من الكنوز الماديّة على الأرض يمكن أن يتلف بواسـطة عناصر الطبيعة (**السـوس أو الصـدأ**)، أو بسرقة اللّصوص. ويقول الرب يسوع إنّ الاستثمار الوحيد الذي لا يتعرّض للخسارة، هو الكنز الذي يكنزه الإنسان في السماء.

٦: ٢١ وهذه السياسـة الماليّة الجذريّة مبنيّة على المبدإ القائل: «**حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا**». فإن كانت أموالـك في خزانة، فقلبك أيضًـا يكون هناك. وإن كانـت كنـوزك في السـماء فاهتماماتـك تكون منصبّـة هناك. إنّ هذا التعليم يدفعنا لاتخاذ قرارٍ يتعلّق بجديّة تعليم يسـوع هُنا. فإن كان يسـوع قد عنى ما قاله، فإنّنا نواجه السـؤال التالي: "ماذا سنفعل بأموالنا الأرضيّـة؟" وأمّـا إذا لم يكـن يعني ذلك، فسـنواجه السؤال التالي: "ماذا سنفعل بكتابنا المقدّس؟".

س. *سراج الجسد* (٦: ٢٢، ٢٣)

أدرك يسـوع أنّه يمكن أن يكون صعبًا على أتباعه أن يروا إمكانية نجـاح تعليمه الجذري المختص بضمان المسـتقبل. لذلك اسـتخدم مَثل العين البشريّة ليعلّمنا درسًـا في البصيرة الروحيّة. فقال إنّ سراج الجسد هو العين. فمن خلال العين يتلقّى الجسد الإنارة الضوئيّة، فيتمكن من الإبصار. فإذا كانت العين بسيطة، فالجسد كلّه يكـون مليئًا بالنور. أمّا إذا كانت العين شـرّيرة، فالبصر إذًا يكون تالفًا. ويسود الظلام بدلاً من النور.

والتطبيـق هـو كالتالي: إنّ العين البسـيطة تخصّ الإنسـان الذي له دوافع نقيّـة، والذي له رغبة صادقة في الأشـياء التي لله، والذي على استعداد لقبول تعاليم المسـيح حرفيًّا. مثل هـذا تكون حياتـه كلّها فائضة بالنـور. فهو يؤمن بكلام الرب يسـوع، ويترك الغنى الأرضي، ويكنز لنفسه كنوزًا في السماء، عالمًا أنّ هذا

هو الضمان الحقيقي الوحيد له. أمّا العين الشرّيرة فتخصّ الإنسان الذي يحاول أن يعيش في عالمين. فهو لا يريد أن يترك الكنوز الأرضيّة، لكنّه يريد كنوزًا في السماء في الوقت نفسه. وتبدو تعاليم الرب يسوع بالنسبة له غير عمليّة ومستحيلة. ومثل هذا الإنسان يفتقر إلى الإرشاد الواضح لأنّ حياته مليئة بالظلام.

ويمضي الرب يسوع فيقول: «**فإن كان النور الذي فيك ظلامًا، فالظلام كم يكون!**» وبكلام آخر، إن كنت تعلم أنّ المسيح يحرّم الاتكال على الكنوز الأرضيّة للحصول على الأمان، ومع ذلك فأنت تتّبع هذه الطريقة، فالتعليم الذي فشلت في إطاعته قد صار فيك ظلامًا، أي عمّى روحيًا كثيفًا. ولن تستطيع بالتالي أن ترى الغنى بالمنظار الصحيح.

ع. *لا تقدرون أن تخدموا الله والمال* (٦: ٢٤)

يصوّر لنا الرب يسوع استحالة العيش من أجل الله والمال معًا مستخدمًا تشبيه السادة والعبيد. فلا يقدر أحد أن يخدم سيدين، إذ لا بد أن يأخذ واحد منهما الأسبقية في الولاء والطاعة. هكذا هي الحال مع الله والمال، لأنّ لهما مطالب متنافسة ولا بدّ من الاختيار بينهما. فإمّا أن نضع الله أولاً ونرفض حكم الماديّة، وإمّا أن نعيش من أجل الأمور الوقتيّة منكرين حقّ الله في حياتنا.

ف. *لا تقلقوا* (٦: ٢٥ـ٣٤)

٦: ٢٥ يضرب الرب يسوع، في هذا المقطع وترًا حسّاسًا هو ميلنا إلى تركيز حياتنا حول الطعام واللباس، فاقدين بالتالي المعنى الحقيقي للحياة. والمشكلة ليست في ما نأكله أو نلبسه اليوم، بقدر ما هي في ما سوف نأكل ونلبس بعد سنين عديدة من الآن. إنّ القلق من أجل المستقبل خطية، لأنّ فيه إنكارًا لمحبّة الله وحكمته وقوّته. ففي القلق إنكار لمحبّة الله إذ هو يعبّر ضمنًا عن الشكّ في عناية الله بنا. وفيه إنكار لحكمة الله إذ هو يحوي تلميحًا إلى أنّ الله لا يعرف ما يفعله. وفيه إنكار لقدرته إذ يتضمّن الشكّ بكون الله قادرًا على توفير احتياجاتنا.

إنّ هذا النوع من القلق يجعلنا نكرّس أفضل طاقاتنا للتيقُّن بأنّه سيكون عندنا القدر الكافي الذي نعيش منه. وقبل أن ندرك ذلك، تكون حياتنا قد انتهت. ونكون قد فقدنا القصد الرئيسي من وجودنا. فالله لم يخلقنا على صورته لكي يكون مصيرنا الأسمى مجرّد استهلاك الأطعمة. فوجودنا هنا إنّما هو لنحبّ الله ونعبده ونخدمه ونمثّل مصالحة على الأرض. فأجسادنا يجب أن تكون كما قُصد لها أن تكون، خادمة لنا وليس سيّدة علينا.

٦: ٢٦ يستخدم الربّ «**طيور السماء**» ليوضح لنا عناية الله بخلائقه. فهذه الأخيرة تعظنا بأنّه ليس من الضروري لنا أن نقلق. إنّها لا تزرع ولا تحصد، ومع ذلك فالله يقوتها. ولأنّنا، بحسب ترتيب الخليقة، أرفع قيمة من الطيور، فلذلك نتوقّع بالتأكيد أن يهتم الله باحتياجاتنا. لكن علينا ألاّ نفهم من هذا بأن لا حاجة لنا للشغل من أجل توفير احتياجاتنا الحاضرة فالرسول بولس يذكّرنا بأنّه «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا» (٢تس٣: ١٠). كما يجب ألاّ نفهم من هذا بأنّه من الخطإ على الفلاّح أن يزرع ويحصد ويجمع. فهذه النشاطات ضروريّة من أجل توفير احتياجاته

الحاضرة. لكن ما يحرّمه الربّ يسوع هنا هو مضاعفة المخازن، في محاولة لتوفير الضمان للمستقبل بصورة مستقلّة عن الله (وهذه الممارسة دانها الرب يسوع في قصّته عن الفلاّح الغني في لوقا ١٢: ١٦ ـ ٢١). وقد أوجز أحد التفاسير الآية ٢٦ على الشكل التالي: "إنّ البرهان يُفيدنا أنّه إن كان الله يمدّ الخلائق الأقلّ مرتبة، بأسباب الحياة، بغير مشاركة واعية من جانبها؛ فكم بالحري يسدُّ احتياجات أولئك الذين عُملت الخليقة من أجلهم يسدُّها بواسطة مشاركتهم الفعليّة".

٦: ٢٧ إنّ القلق من جهة المستقبل ليس إهانة الله فقط، بل هو أيضًا بلا نفع. ويوضح الرب هذا الأمر بالسؤال التالي: «**من منكم إذا اهتمّ يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟**» فإنّ الشخص القصير القامة لا يستطيع أن يزيد على قامته طولاً. لكن إذا جاز الأمر، فقد يكون من الأسهل جدًا تحقيق هذا الأمر على تحقيق أيّ شيء من طريق القلق لأجل احتياجات الإنسان المستقبليّة.

٦: ٢٨ ـ ٣٠ وبعد هذا يعالج الرب عدم المنطق في القلق من جهة احتياجاتنا المستقبليّة للّباس. فإنّ **زنابق الحقل، لا تتعب ولا تغزل**، ومع ذلك فإنّ جمالها يفوق جمال ملابس سليمان الملوكيّة. فإذا كان الله يستطيع أن يوفّر كساءً رائعًا كهذا للزهور البريّة الفانية التي تمضي لتُستخدم كوقود في التنور، فهو بالتأكيد يعتني بشعبه الذي يتعبّد له ويخدمه.

٦: ٣١، ٣٢ ختام الأمر هو أنّه ينبغي لنا ألاّ نضيّع حياتنا في القلق والسعي وراء المأكل والمشرب والملبس من أجل المستقبل. أنّ **الأمم** غير المخلّصين، يعيشون من أجل تكديس الأشياء الماديّة بجنون، كما لو كان الطعام واللباس هو كل شيء في الحياة. ولكن ينبغي ألاّ يكون هكذا بالنسبة للمؤمنين الذين لهم **آب سماوي** يعرف حاجاتهم الأساسيّة.

إذا كان هدف المؤمنين التوفير المسبق لاحتياجاتهم المستقبليّة، فسيضيّعون حياتهم في تكديس الأموال لذلك. ولن يكون بوسعهم أن يعرفوا هل يكون ادّخارهم للمستقبل كافيًا، لأنّ خطر انهيار السوق التجاريّة موجود، كذلك خطر ارتفاع الأسعار والتضخّم المالي والكوارث والأمراض المستعصية والحوادث التي تسبّب الشلل وما شابه ذلك. وهذا يعني أنّ خدمة الله ستتعطّل، والسبب الرئيسي الذي من أجله أوجد الله شعبه وأعطاه الخلاص سيضيع. فالناس الذين خُلقوا على صورة الله سيعيشون لمستقبل غير مضمون، في الوقت الذي يجب فيه أن يعيشوا من أجل قيم أبديّة خالدة.

٦: ٣٣ لذلك فإنّ الرب يصنع عهدًا مع أتباعه، فكأنّه يقول لهم، "إذا وضعتم مصالح الله أولاً في حياتكم، فإنّي أضمن لكم احتياجاتكم المستقبليّة. إذا كنتم **تطلبون أولاً ملكوت الله وبرّه**، فسأرتّب الأمور بشكل لا يعوزكم معه شيء من الحاجات الضروريّة في حياتكم".

٦: ٣٤ هذا هو "برنامج الله للضمان الاجتماعي". فمسؤوليّة المؤمن هي أن يعيش للربّ، متّكلاً عليه من أجل المستقبل، واثقًا بثبات من أنّه سيسدّ الحاجة. إنّ شغل الإنسان هو وسيلة لتسديد الحاجات الحاضرة، وما تبقّى بعد ذلك يُستثمَر في عمل الرب. فنحن مدعوّون لأن نعيش يومًا بيوم، «**لأنّ الغد يهتمّ بما لنفسه**».

ص. لا تدينوا (٧: ١-٦)

إنّ هـذا الفصل عـن الدينونة يلي مباشـرة التعليم المثير الذي أعطاه الرب عن موضـوع الغنى الأرضي. والعلاقـة بين هذين الموضوعـين مهمّة جـدًّا. فإنّه من السـهل علـى المؤمـن الذي تـرك كل شـيء أن ينتقد المؤمنـين الأغنياء. وعلى العكس مـن ذلك، فالمؤمنون الذيـن ينظرون بجديّـة إلى واجبهم في تأمـين الحاجات المستقبليّة لعائلاتهم، يميلون إلى التقليل من أهميّة التقيُّد بالحرفيّة التي يُضفيها بعضهم على كلمات الرب يسوع في الفصل السـابق. وهم يعتقدون أنّه ما من أحد يعيش بالإيمان بشكل كامل، مع أنّ هذا الانتقاد ليس في محلّه.

هذا وتشـمل الوصيّة «لا تدينوا» المجالات الآتية: ينبغـي ألاّ نديـن الدوافـع، لأنّ الله وحـده هو الذي يعرفها. وينبغي ألا ندين حسـب الظاهر (يو٧: ٢٤؛ يـع٢: ١-٤)، كما يجب ألاّ نديـن الذين توجد لديهم حيرة وتردد من جهة أمور لا نقدر أن نصنّفها صحيحة أو خطـأ (رو١٤: ١-٥)؛ ولا ندين خدمة سـوانا من المؤمنين (١كو٤: ١-٥)، وليس لنا أن ندين أخًا مؤمنًا بالحديث عنه بالشرّ (يع٤: ١١، ١٢).

٧: ١ يسـيء الناس أحيانًا فهم وصيّة الربّ يسوع هُنا إذ يعتبرونهـا نهيًا عن كل شـكل من أشـكال الحُكم. فمهمـا حصل من أمر، يقولون بكلّ تقوى، «**لا تدينوا لكي لا تدانوا**». لكنّ يسوع لا يعلّمنا أن نكون مؤمنين غير فطنين، فهو لم يقصد قطّ أن نتخلّى عن قدرتنا على التمييـز والنقد البنّاء. ويحتوي العهد الجديد على أمثله كثيرة تتضمّن إدانة مبرَّرة لحالة الآخرين، وسـلوكهم أو تعليمهـم للغير. أضف إلى ذلـك أنّ هناك مجالات متعدّدة ينبغي فيها على المؤمن أن يتّخذ قرارًا، وأن يميّز بين الصالح والرديء، أو بين الحسن والأفضل. وبعض هذه الأمور تتضمّن التالي:

١ - عندمـا تنشـأ نزاعات بـين المؤمنـين، يجب أن تسوّى في الكنيسة أمام الإخوة الذين يستطيعون أن يقضوا في الأمر (١كو٦: ١-٨).

٢ - على الكنيسة المحليّة أن تحكم على الخطايا الجسيمة إذا ما وجدت لدى أفرادها، وتتّخذ بالتالي الموقف المناسب (مت١٨: ١٧؛ ١كو٥: ٩-١٣).

٣ - على المؤمنين أن يحكموا أيضًا على التعليم العقائدي للمعلّمين والمبشّرين مستخدمين كلمة الله (مت٧: ١٥-٢٠؛ ١كو١٤: ٢٩؛ ١يو٤: ١).

٤ - ينبغي للمؤمنين أن يميّزوا هل الآخرون مؤمنون، بُغية إطاعة وصيّة الرسـول بولس في كورنثوس الثانية ٦: ١٤.

٥ - يجب على الكنيسـة المحليّة أن تحكم في أمر الذين تتوفّر فيهم المؤهلات الضروريّة ليكونوا شيوخًا وشمامسة (١تي ٣: ١-١٣).

٦ - علينـا نحـن المؤمنين أن نميّز من هم الأشـخاص الذين يسـلكون بلا ترتيب، أو من هم الضعفاء وصغـار النفـوس الخ، وأن نعاملهم بحسـب ما يعلّمنا الكتاب المقدّس (مثلاً ١تس ٥: ١٤).

٧: ٢ حذّر الرب يسـوع من الدينونة الظالمة قائلاً إنّها تُردّ بمثلها: «**لأنكم بالدينونة التي بها تدينون، تدانون**». والمبدأ القائل إنّنا نحصد مـا نزرعه يتحكّم بالحياة على اختلاف شـؤونها. ويطبّق مرقس هذا المبدأ على مدى اقتبالنا لكلمة الله والعمل بها (مر ٤: ٢٤)، كما يطبّق لوقا هذا المبدأ على سخائنا في العطاء (لو ٦: ٣٨).

٧: ٣ـ٥ يبيّن يسوع كيف أنّه يوجد عندنا ميل لرؤية الأخطاء الصغيرة في الآخرين، بينما نتجاهل الخطأ نفسه وهو موجود فينا. ويُضخّم يسوع الأمر عمدًا لكي يوضح فكره. فالشخص الذي عنده **خشبة** في عينه يجد أحيانًا كثيرة **القذى**، أي القشّة، في عين الآخر، وهو لا يلاحظ حالته. لذلك فإنه من باب النفاق أن نفترض أنّ بإمكاننا مساعدة الآخرين على تصحيح عيونهم، في الوقت الذي فيه توجد لدينا عيوب أكبر. فعلينا أن نعالج أخطاءنا الخاصة قبل أن نتقد وجود مثلها في الآخرين.

٧: ٦ تبرهن الآية السادسة على أنّ يسوع لم يكن يقصد أن يمنع كل أنواع الدينونة. فلقد حذّر تلاميذه أن يعطوا الأشياء المقدّسة **للكلاب**، أو **يطرحوا درركم قدام الخنازير**. والكلاب والخنازير بحسب ناموس موسى هي حيوانات نجسة، وقد استخدمت هاتان اللفظتان لتصوير الناس الأشرار. فعندما نلتقي الأشرار الذين يقابلون الحقائق الإلهيّة بالازدراء الكامل ويواجهون تبشيرنا لهم بإنجيل المسيح بالاحتقار والعنف، لا نكون مجبرين على الاستمرار في تبشيرهم. فإنّ الاستمرار في الضغط عليهم لا يزيد إلاّ من الدينونة الواقعة عليهم. وغني عن القول أنّ تمييز هؤلاء الناس يتطلّب وعيًا روحيًا. ربّما لأجل ذلك تناولت الآيات الآتية موضوع الصلاة، التي فيها يمكننا أن نطلب الحكمة من الله.

ق. اسألوا واطلبوا واقرعوا (٧: ٧ـ١٢)

٧: ٧، ٨ إن كنّا نظنّ أنّ باستطاعتنا العيش بمعزل عن تعاليم الموعظة على الجبل معتمدين على قوّتنا الذاتيّة، نكون قد فشلنا في إدراك خصائص الحياة فوق الطبيعيّة، التي يدعونا إليها مخلّصنا. فالحكمة والقوّة اللّتان تلزمان لحياة مثل هذه، يجب أن تأتيان من فوق. لذلك فلدينا هنا دعوة لأن نسأل ونستمرّ في السؤال، وأن نطلب مستمرّين في الطلب، وأن نقرع ونستمرّ في القرع. فإنّ الحكمة والقوّة اللازمتين للحياة المسيحيّة سيُعطاهما الذين يصلّون من أجلهما بحرارة ولجاجة.

تظهر الآيتان ٧، ٨ ، لو أخذناهما بمعزل عن النص، كأنّهما شيك موقّع على بياض، بمعنى أنّ باستطاعة المؤمن أن ينال ما يطلبه في الصلاة. لكنّ الأمر ليس كذلك، فهذه الآيات كلُّها يجب أن تُفهم في سياق الكلام المباشر، في ضوء تعليم الكتاب المقدّس بمجمله عن موضوع الصلاة. لذلك، فالوعود التي تبدو هنا أنّها غير مشروطة هي في الحقيقة محدّدة بالمقاطع التعليميّة الأخرى. فعلى سبيل المثل، نتعلّم من مزمور٦٦: ١٨ أنّه يجب ألاّ تكون في حياة الشخص المصلّي خطية خفيّة غير معترف بها. كما يجب على المؤمن، بحسب يعقوب ١: ٦ـ٨، أن يصلّي بإيمان، وأن تتوافق طلبته مع مشيئة الله (١يو٥: ١٤). ونعلم أيضًا أنّ الصلاة يجب أن تُقدَّم باستمرار (لو١٨: ١ـ٨) وبصدق (عب١٠: ٢٢).

٧: ٩، ١٠ إذا توافرت كل شروط الصلاة، يستطيع المؤمن أن يحصل على ثقة كاملة في أنّ الله سيستمع لطلبته ويستجيب لها. وهذا اليقين مبني على صفات الله الآب ومزاياه. فعلى مستوى البشر، إذا طلب الابن من أبيه خبزًا، فلن يعطيه الأب **حجرًا**. أو إذا سأل **سمكة**، فلن يعطيه **حيّة**. فإنّ الأب الأرضي لن يخدع ابنه الجائع، أو يعطيه شيئًا يضرّه ويتسبّب في الألم لديه.

٧: ١١ ويبني الرب حجّته منطلقًا من الأقل شأنًا إلى الأكثر شأنًا. فإن كان الآباء البشريّون يجيبون طلبات أبنائهم معطين إيّاهم الأفضل لهم، فبالأولى كثيرًا يفعل **الآب السماوي** كذلك للذين يطلبونه.

٧: ١٢ يظهر أن الارتباط المباشر بين الآية ١٢ والتي سبقتها هو التالي: بما أنّ أبانا السماوي يعطينا الصالحات فعلينا نحن أيضًا أن نتمثّل به، ونظهر لطفًا نحو الآخرين. والطريقة التي بها نفحص العمل لنعرف كونه نافعًا للآخرين أو لا، هي بأن نفكّر في هل نقبله لنفوسنا أو لا. ولقد سبق "المعلّم هلّيل *Rabbi Hillel*" فصاغ "القاعدة الذهبيّة"، قبل أكثر من مئة عام، بطريقة سلبيّة لا تلزم العمل الصالح. لكنّ الربّ يسوع تخطّى حدود السلبيّات والتحفّظات، واضعًا هذه القاعدة بطريقة إيجابيّة، مبيّنًا أهميّة العمل المسيحي الفعّال. فالمسيحيّة ليست مجرّد امتناع سلبي عن الخطية، بل هي خطوات فعّالة نحو عمل الخير الإيجابي. إنّ قول المسيح **هذا هو الناموس والأنبياء** يعني أنّه يلخّص التعاليم الخُلقيّة لناموس موسى ولكتابات الأنبياء. فالبرّ الذي طالب به الناموس في العهد القديم يتحقّق في حياة مؤمني العهد الجديد السالكين حسب الروح (رو٨: ٤). ولو أُطيعت هذه الآية في العالم أجمع، لكانت بدّلت كل مجالات العلاقات الدوليّة والسياسات الوطنيّة والحياة العائليّة والكنسيّة بمجملها.

ر. *الطريق الضيق* (٧: ١٣، ١٤)

ينبّه الرب يسوع الآن إلى أنّ **الباب** إلى التلمذة المسيحيّة ضيّق وطريقها صعب. لكنّ الذين يتبعون تعاليمه يجدون الحياة الفيّاضة. أمّا من الجهة الأخرى، فهناك **الباب الواسع**، وهو عبارة عن حياة الاستسلام للذات والملذّات. ونهاية هذه الحياة هي الهلاك، والمسألة هنا ليست مسألة خسارة النفس للأبديّة، بل مسألة عدم العيش للهدف الذي من أجله وُجِدنا.

هذا ويمكننا أن نطبّق هاتين الآيتين على موضوع بشارة الإنجيل، إذ تصوّران لنا الطريقين المختلفين والمصيرين المختلفين للجنس البشري. فالباب الواسع والطريق الرحب يؤدّيان إلى الهلاك (أم١٦: ٢٥). أمّا الباب الضيّق والطريق الكرب فيؤدّيان إلى الحياة. ويسوع هو نفسه الباب (يو١٠: ٩) والطريق (يو١٤: ٦) معًا. لكن، بينما يُعتبر هذا التطبيق للمقطع صحيحًا، يبقى شرحه لازمًا للمؤمنين. فالرب يسوع يقول إنّ اتّباعه يتطلّب إيمانًا وتدريبًا واحتمالاً. لكنّ هذه الحياة، على صعوبتها، هي الوحيدة التي تستأهل أن يعيشها الإنسان؛ فإذا اخترت الطريق السهل، فسيكون لك رفاق كثيرون لكنّك ستفقد أفضل ما أعدّه الله لك.

ش. *من ثمارهم تعرفونهم* (٧: ١٥-٢٠)

٧: ١٥ أينما يُكرز بالمتطلّبات الصارمة لحياة التلمذة الحقيقيّة، نجد **الأنبياء الكذبة** الذين ينادون بالباب الواسع والطريق الرحب. فهم يحلّون الحق في مياه الضلال الكثيرة حتى، كما قال سبرجن: "لا يبقى منه ما يكفي لصنع حساء لجرادة صغيرة مريضة". وهؤلاء المدّعون بالتكلّم باسم الربّ، غالبًا ما يأتون **في ثياب الحملان**، ويظهرون بمظهر المؤمنين الحقيقيّين. لكنّكم **من داخل ذئاب خاطفة**، أي أشرار غير مؤمنين يفترسون غير الناضجين والبسطاء وغير الثابتين.

٧: ١٦ ـ ١٨ تتناول الآيات ١٦ ـ ١٨ موضوع اكتشاف الأنبياء الكذبة: **من ثمارهم تعرفونهم**. فحياتهم الفاسقة وتعاليمهم الهدّامة تدلّ عليهم. فإنّ الشجرة، أو أيّة نبتة تنتج ثمرًا كنوعها. **الشوك لا ينتج عنبًا؛ والحسك لا ينتج تينًا. فالشجرة الجيّدة تحمل ثمرًا جيّدًا، أمّا الشجرة الرديّة فتحمل ثمرًا رديًّا**. وهذا المبدأ يصحّ في العالم الروحي والعالم المادي معًا. فالذين يدّعون أنّهم يتكلّمون بكلام الله ينبغي أن تُمتَحن حياتُهم وتعليمهم على محكّ الكتاب المقدّس، كلمة الله: «إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» (إش٨: ٢٠).

٧: ١٩، ٢٠ إنّ الأنبياء الكذبة مصيرهم الطرح في النار. ونهاية المعلّمين والأنبياء الكذبة هي «الهلاك السريع» (٢بط٢: ١)، وبالإمكان معرفتهم من ثمارهم.

ت. *لم أعرفكم قط* (٧: ٢١ـ٢٣)

٧: ٢١ يحذّر الرب يسوع هنا من الذين يدّعون أنّهم يعترفون به مخلّصًا، لكنّ حياتهم لم تتغيّر قطّ. فليس كل من يقول ليسوع «**يا رب يا رب، يدخل ملكوت السماوات**». بل الذين **يعملون مشيئة الله** هم وحدهم الذين يدخلون الملكوت. وأوّل خطوة على طريق الدخول إلى الملكوت هي أن يقبل الإنسان الربّ يسوع مخلّصًا له بالإيمان (يو٦: ٢٩).

٧: ٢٢، ٢٣ في يوم الدينونة عندما يقف غير المؤمنين أمام الرب (رؤ٢٠: ١١ـ١٥)، كثيرون سيذكّرونه **بأنّهم تنبأوا، أو أخرجوا شياطين أو صنعوا معجزات**، وكلّ هذا **باسمه** القدّوس. لكنّ احتجاجهم سيكون بلا جدوى، لأنّ يسوع سيصرّح لهم بأنّه **لم يعرفهم قط**، ولا اعترف بهم يومًا أنّهم من خاصّته.

نتعلّم من هذه الآيات أنّ المعجزات ليست كلّها من مصدر إلهي وأنّ صانعي المعجزات ليسوا كلّهم مُفَوّضين من الله. فالمعجزة بحدّ ذاتها تعني أنّ قوّة فائقة للطبيعة تعمل. والشيطان قد يعطي خدّامه، بشكل وقتي، القدرة على إخراج الشياطين، وذلك لكي يتهيأ للناس أنّ المعجزة إلهيّة. وهو بهذا لا يقسم مملكته على نفسها، بل يتآمر من أجل غزو شيطانيّ أكبر في المستقبل.

ث. *ابنِ على الصخر* (٧: ٢٤ـ٢٩)

٧: ٢٤، ٢٥ يختم يسوع موعظته بمثل يشدّد على أهميّة الطاعة. فليس كافيًا لنا أن نسمع هذه الأقوال فقط، بل ينبغي بالحري أن ننفّذها عمليًّا. فالتلميذ الذي **يسمع** وصايا الربّ **ويعمل بها، يشبه رجلاً عاقلاً بنى بيته على الصخر**. فبيته (أي حياته) مبنيّ على أساس متين، وعندما تصدمه **الرياح والأمطار** لن يسقط لأنّه ثابت.

٧: ٢٦، ٢٧ أمّا الشخص الذي **يسمع** أقوال الرب يسوع **ولا يعمل بها، فهو يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيته على الرمل**. وهذا الإنسان لا يستطيع أن يقف أمام عواصف المقاومة. فعندما جاء المطر **وهبّت الرياح، سقط** ذلك البيت لأنّه لم يكن مبنيًا على أساس متين.

إن كان أحد يعيش حسب مبادئ الموعظة على الجبل يسمّيه العالم جاهلاً، فيما يسمّيه يسوع حكيمًا. فالرجل الذي يعيش بالعيان يعتبره العالم حكيمًا، لأنّه يعيش لهذا الدهر ويعمل لنفسه، ومثل هذا الرجل يسمّيه يسوع جاهلاً. إنّ استعمال مَثل البنّاء الحكيم والبنّاء الجاهل مناسب لتوضيح بشارة الإنجيل. فالرجل الحكيم هو الذي يضع ثقته الكاملة في الصخر، يسوع المسيح، والرجل

الجاهل هو الذي يرفض التوبة ولا يقبل المسيح يسوع بوصفه الرجاء الوحيد لخلاصه الأبدي. لكنّ تفسير هذا المثل، يتخطّى في الواقع موضوع الخلاص وينطبق على النواحي التطبيقيّة العمليّة في الحياة المسيحيّة.

٧: ٢٨، ٢٩ وعندما أنهى الربّ رسالته، بُهت الجميع من تعليمه. وإذا لم نندهش بدورنا للخصائص الثوريّة في هذه الموعظة نكون قد فشلنا في إدراك معناها الحقيقي.

وقد أدرك الشعب أنّه يوجد اختلاف بين تعليم يسوع وتعليم الكتبة. فلقد كان يسوع يتكلّم بسلطان، وأمّا هم فكانت كلماتهم ضعيفة لا قوّة فيها. وفي حين كان صوت يسوع صوتًا حقيقيًّا، كانت أصواتهم أصداء فارغة. ويقول أحد التفاسير "كانت نفخة السلطان الإلهي تشعّ من خلال تعليم المسيح، المشرّع والشارح والقاضي بحقّ، حتى إنّ تعليم الكتبة بدا تخريفًا في وسط نور عظيم كهذا".

٥- معجزات القوّة والنعمة من قِبَل المسيح وردود الفعل المختلفة عليها (٨: ١- ٩: ٣٤)

يقدّم الربّ يسوع للأمّة القديمة في الفصول ٨- ١٢، أدلّة قاطعة على أنّه بالحقيقة المسيح المنتظر الذي كتب عنه الأنبياء. فعلى سبيل المثل، تنبأ إشعياء بأنّ المسيّا سوف يفتح عيون العمي وآذان الصمّ، ويشفي الأعرج ويجعل الأخرس يرنّم (إش٣٥: ٥، ٦). وعندما حقّق يسوع هذه النبوّات أثبت أنّه المسيح المنتظر. وكان على الشعب العاصي، بعد الرجوع إلى هذه الأسفار المقدّسة، ألاّ يجدوا أيّة صعوبة في الاعتراف بأنّه المسيح الموعود. ولكن لا عمى أشدّ من عمى الذين لا يريدون أن يبصروا.

إنّ الأحداث المسجّلة في هذه الفصول ليست مرتّبة بحسب التسلسل الزمني الدقيق، بل بحسب خطّة تعالج المواضيع الرئيسيّة. وهي ليست سردًا كاملاً لخدمة الربّ، بل عرضٌ لأحداث انتخبها الروح القدس لإبراز الأفكار الرئيسيّة في حياة المسيح. وهذه بعض المواضيع الرئيسيّة المعالجة في هذا العرض:

١- سلطان المسيح المطلق على الأمراض والأرواح الشرّيرة والموت وعناصر الطبيعة.

٢- مطالبته بحقّه في الربوبيّة الكاملة على أولئك الذين يريدون أن يتبعوه.

٣- الرفض المتزايد ليسوع من قِبل الأمّة القديمة ولا سيّما من قِبل القادة الدينيّين.

٤- قبول أفراد من الأمم للمخلّص قبولاً فوريًّا.

أ. السلطان على البرص (٨: ١-٤)

٨: ١ مع أنّ تعليم يسوع كان صارمًا وجذريًّا، فقد كان ذا قوّة لجذب الآخرين؛ فالجموع الكثيرة كانت تتبعه. إنّ الحقّ يثبت نفسه، وإن لم يحبّه الناس فهم لا يستطيعون نسيانه.

٨: ٢ وإذا أبرص جاء وسجد أمام يسوع مستغيثًا به، طالبًا الشفاء. فقد كان لديه الإيمان بأنّ الربّ قادر على شفائه، والإيمان الحقيقي لا يمكن أن يخيب. أمّا البرص فهو صورة مناسبة للخطية لأنّه كريه وفتّاك ومعدٍ، وفي بعض حالاته غير قابل للشفاء بشريًّا*.

*إنّ بعض حالات البرص المذكورة في الكتاب المقدّس لا تتوافق مع المرض المعروف بمرض هانسن *Hansen's Disease* ففي سفر اللاويّين مثلاً، كانت توجد أشكال من المرض يمكن أن تعدي البيت أو الثوب.

٨: ٣ لم يكن أحد ليمسّ شخصًا أبرص. فالاحتكاك الجسدي بالبُرص كان يعرّض الإنسان للعدوى. وبالنسبة لليهود، كان هذا الاحتكاك سببًا في إعلان نجاسة الشخص الذي مسّ الأبرص، بحيث لم يكن يستطيع معها إن يعبد مع بقيّة الشعب. ولكن عندما لمس يسوع الأبرص وتكلّم بكلمات الشفاء له، زال عنه البرص في الحال. فإنّ لمخلّصنا يسوع السلطان لكي يُبرئ من الخطية ويؤهل الإنسان المطهّر لأن يكون عابدًا من جديد.

٨: ٤ هذه هي المرّة الأولى في إنجيل متى التي يُذكر فيها أنّ يسوع أوصى أحدًا ألاّ يقول شيئًا عن المعجزة التي حصلت له أو عمّا رآه (أنظر أيضًا ٩: ٣٠؛ ١٢: ١٦؛ ١٧: ٩؛ مر ٥: ٤٣؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٢٦). ومن المحتمل أن يكون السبب هو أنّ يسوع يعرف أنّ كثيرين من الشعب كانوا يهتمّون فقط بكيفيّة تحرّرهم من النير الروماني، ولذلك كانوا يريدون أن يجعلوه ملكًا. لكنّه علم أيضًا أنّ الشعب كان بعيدًا عن التوبة إلى الله، وأنّ الأمّة سترفض قيادته الروحيّة، وأنّ عليه أن يذهب أولاً إلى الصليب.

كان الكهنة تحت الناموس الموسوي يخدمون كأطباء أيضًا. فعندما كان الأبرص يطهر، كان عليه أن يُحضِر تقدمه ويظهر أمام الكاهن حتى يعلنه طاهرًا (لا ١٤: ٤ ـ ٦). ولا شكّ أنّ شفاء الأبرص كان أمرًا غير اعتياديّ، لدرجة أنّه يُفترض أن تكون هذه الحادثة قد حثّت هذا الكاهن ليستقصي عن المسيّا المنتظر هل ظهر أخيرًا. لكنّنا لا نقرأ عن ردّ فعل كهذا. لقد أوصى يسوع الأبرص أن يطيع الناموس في هذا الأمر.

إنّ المغازي الروحيّة لهذه المعجزة واضحة: لقد أتى المسيّا المنتظر إلى الشعب القديم ومعه القوّة لشفاء الأمّة من مرضها الروحي. وقدّم في هذه المعجزة إثباتًا لصحة هويّته بوصفة المسيح المنتظر، إلاّ أنّ الأمّة لم تكن مستعدّة بعد لمخلّصها.

ب. السلطان على الشلل (٨: ٥ـ١٣)

٨: ٥، ٦ إن إيمان قائد المئة يظهر هنا في تباين صارخ مع عدم التجاوب الظاهر عند اليهود. فإن كان شعب إسرائيل لا يعترف بالمسيح الملك، فالوثنيّون المحتقرون عندهم سيفعلون ذلك. كان قائد المئة عسكريًّا رومانيًّا له في عهدته مئة جندي. هذا جاء إلى يسوع طالبًا الشفاء لغلامه الذي كان يعاني كثيرًا من جراء شلل شديد مؤلم. كان طلبه هذا تعبيرًا عن شفقة غير اعتياديّة، فمعظم الموظّفين مثله لا يُظهرون مثل هذا الاهتمام بخادم بسيط.

٨: ٧ـ٩ وعندما أبدى الرب يسوع رغبته في زيارة الخادم المريض، أظهر قائد المئة حقيقة إيمانه وعمقه، فقال ما معناه: "**يا سيّد لست مستحقًّا أن تدخل تحت سقفي**. وعلى كل حال لا ضرورة لذهابك إلى هناك، لأنّك تستطيع أن تشفيه إذ تقول **كلمة فقط**. فأنا أعرف شيئًا عن السلطان، لأنّي أتلقّى الأوامر من المشرفين عليّ، وأصدر الأوامر للذين تحت سلطاني، وأوامري مطاعة دائمًا. فكم بالحري تكون لكلماتك القوّة على شفاء مرض عبدي!".

٨: ١٠ـ١٢ **تعجّب** يسوع من إيمان هذا الأممي؛ وهذه إحدى المرّتين اللّتين تعجّب يسوع فيهما بالنسبة

للإيمان. فالحادثة الأخرى التي تعجّب فيها كانت عندما رأى عدم إيمان اليهود (مر ٦: ٦). قال إنّه لم يجد **إيمانًا بمقدار هذا في إسرائيل**، الشعب الذي اختاره الله بنعمته قديمًا. وهذا ما جعله يشير إلى أنّ الأمم سيجتمعون من أنحاء مختلفة من العالم ليستمتعوا بالشركة مع الآباء في الملكوت، بينما **يُطرح بنو الملكوت إلى الظلمة الخارجيّة** حيث يبكون ويصرّون بأسنانهم. **وبنو الملكوت** عبارة تشير إلى اليهود بالولادة حسب الجسد، الذين يعترفون بالله ملكًا عليهم، لكنّهم لم يرجعوا إلى الله أبدًا عن صدق. أمّا هذا المبدأ فيُطبّق في يومنا الحاضر أيضًا. فهناك أولاد كثيرون ولدوا وتربّوا في عائلات مسيحيّة مؤمنة، لكنّهم ـ وأسفاه ـ سيهلكون في الجحيم لأنّهم يرفضون المسيح، في حين أنّ من سكّان الأدغال مَن سيتمتّعون بالأمجاد السماويّة لأنّهم آمنوا برسالة الإنجيل.

٨: ١٣ ثمّ قال يسوع لقائد المئة، اذهب وكما آمنت ليكن لك. إنّ مكافأة الإيمان تأتي على قدر الثقة بشخص الله. وهكذا شُفي **غلام** قائد المئة مباشرة، على الرغم أنّ يسوع كان ما يزال بعيدًا عن المنزل. ويمكننا أن نرى في هذه الحادثة إشارة إلى خدمة يسوع الحالية للأمم؛ فهو يتعامل مع الأمم الذين لا امتيازات روحيّة لهم، فيشفيهم من شلل الخطية، مع أنّه ليس حاضرًا في الجسد معهم.

ج. *السلطان على الحمّى* (٨: ١٤، ١٥)

عندما دخل يسوع بيت بطرس، وجد **حماته مطروحة ومحمومة. فلمس يدها فتركتها الحمّى.** وعادة عندما تترك الحمّى شخصًا ما، يكون ضعيفًا بعد ذلك، أمّا هذا الشفاء فقد كان قويًّا وكاملاً، حتى إنّ حماة بطرس قدرت أن تترك الفراش وتقوم لتخدم الرب؛ وكان ذلك تعبيرًا مناسبًا للعرفان بالجميل لما قد صنعه لها يسوع المخلّص. وينبغي علينا نحن أيضًا أن نعمل مثلها، كلّما نلنا الشفاء، بأن نخدم السيّد بتكريس وقوّة جديدين.

د. *السلطان على الأرواح الشريرة والأمراض المتنوّعة* (٨: ١٦، ١٧)

ولمّا صار المساء وانتهي يوم السبت (أنظر مرقس ١: ٢١ـ٣٤)، اندفع إليه الشعب بمجموع غفيرة مقدّمين إليه ضحايا الأرواح الشرّيرة. كان هؤلاء الذين يستحقّون الشفقة مسكونين وتحت سيطرة الأرواح الشرّيرة. كثيرًا ما كانوا يُظهرون معرفة وقوّة فائقين، وفي أحوال أخرى كانوا يُعذّبون من قِبَل الشيطان. كان سلوكهم في بعض الأحيان يشبه سلوك المجانين، ولكنّ العلّة كانت شيطانيّة وذلك بسبب تأثير شيطاني وليس لمرض عقلي أو جسدي فيهم. ولقد أخرج يسوع تلك **الأرواح بكلمة** واحدة من فمه الطاهر.

شفى الرب يسوع أيضًا جميع المرضى، متمّمًا نبوّة إشعياء ٥٣: ٤ «**هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا**». وتستخدم الآية ١٧ كثيرًا من قبل الذين يثقون بالشفاء الإلهي بالإيمان ليبيّنوا أنّ الشفاء متضمّن في عمل المسيح الكفّاري، ولذلك باستطاعة المؤمن المطالبة بالشفاء الجسدي بالإيمان. لكنّ روح الله هنا يطبّق هذه النبوّة على خدمة الربّ المخلّص وهو على الأرض، وليس على عمل الصليب الكفّاري.

رأينا لغاية الآن في هذا الفصل أربع معجزات، وهي التالية:

١ ـ شفاء اليهودي الأبرص، في حضور المسيح.
٢ ـ شفاء غلام قائد المئة، والمسيح موجود على مسافة منه.
٣ ـ شفاء حماة بطرس، والمسيح موجود هناك في البيت.
٤ ـ شفاء المسكونين بالأرواح الشرّيرة والمرض، بحضور يسوع.

ويقترح جابلين *Gaebelein* أنّ هذا يمثّل أربع مراحل في خدمة الرب يسوع:

١ ـ المسيح في مجيئه الأوّل، يخدم الشعب الذي ينتمي إليه حسب الجسد.
٢ ـ تدبير الأمم حاليًّا، بغياب الرب يسوع شخصيًّا.
٣ ـ مجيئه الثاني، إذ يدخل البيت مسترجعًا علاقته بشعبه القديم، ويشفي ابنة صهيون المريضة.
٤ ـ الملك الألفي إذ يشفي كل المرض والمسكونين بالشياطين.

إنّ هذا التحليل المثير للتعاليم المقدّمة في المعجزات يجب أن يلفت انتباهنا إلى المعاني الخفيّة العميقة الموجودة في الأسفار المقدّسة؛ لكن يجب أن نتنبّه من خطر المغالاة في استخدام هذه الطريقة من طريق إقحام المعاني في النص إلى درجة تبدو معها مثيرة للسخرية.

هـ. *معجزة الرفض البشري* (٨: ١٨-٢٢)

رأينا المسيح وهو يمارس سلطانه على الأمراض والأرواح الشرّيرة بغير مقاومة تذكر. لكنّ المقاومة برزت فقط عند مقابلته للناس، رجالاً ونساءً، هذه معجزة الرفض البشري.

٨: ١٨ ـ ٢٠ عندما كان **يسوع** يستعدّ لعبور بحر الجليل من كفر ناحوم إلى الجانب الشرقي، تقدّم إليه كاتب واثق من نفسه، متعهّدًا أن يتبعه كل الطّريق. وفي جوابه له طالبه الرب بأن يحسب حساب النفقة، أي حياة إنكار النفس. «**فقال له يسوع: للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأمّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه**». ففي خدمة الرب يسوع العلنيّة لم يكن له بيت خاص به، لكن كانت توجد بيوت مفتوحة للترحيب به حيث كان يجد عادة مكانًا للنوم. يبدو كأنّ المعنى الحقيقي لكلماته روحيّ بالدرجة الأولى: فهذا العالم لا يقدر أن يوفّر له راحة حقيقيّة دائمة. كان عليه أن يعمل ولا يستريح حتى يكمّل العمل الذي جاء من أجله. ويصحّ هذا الأمر على أتباع المسيح أيضًا، فهذا العالم ليس مكان راحتهم، أو على الأقلّ يجب ألاّ يكون هكذا.

٨: ٢١ وها آخر يأتي بنيّة حسنة معبّرًا عن رغبته في اتّباع المسيح، لكن كان لديه أولوية أهم: «**يا سيّد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي**». ولا فرق إن كان أبوه قد توفّي أو كان ما يزال حيًّا؛ فالمشكلة الرئيسيّة مُعَبّر عنها بالكلمات المتناقضة: «**يا سيّد... لي... أولاً**». فقد وضع الذات قبل المسيح. ومع أنّه أمر مقبول تمامًا أن يُجري الإنسان دفنًا لائقًا لأبيه، إلا أنّه يصبح خطأ عندما تكون له الأسبقيّة على دعوة الربّ مخلّصنا.

٨: ٢٢ أجابه يسوع وكأنه يقول: "إنّ واجبك الرئيسي هو أن تتبعني. **دع الموتى روحيًّا يدفنون الأموات حرفيًّا**. إنّه باستطاعة غير المخلّص أن يعمل مثل هذا العمل. لكن هناك عمل أنت وحدك تستطيع أن تعمله. فأعط أفضل حياتك لما هو أبدي ودائم، ولا تضيّعها في الأمور التافهة".

لســنا نعلم كيف كانت ردود فعل هذين الشخصين على كلام يســوع، لكنّ الأرجح من النص أنّهما تركا المسيح ليســتريحا في العالم، حيــث يمكنهما أن يعانقــا الأصدقاء. وقبل أن نســرع لإدانتهما، علينا أن نفحص أنفسنا في ما يتعلّق بشرطَي التلمذة المذكورين في هذا النص.

و. السلطان على عناصر الطبيعة (٨: ٢٣ـ٢٧)

يُعــرّف بحر الجليــل بعواصفه المفاجئــة القويّة التي تضــرب مياهه فتحوّلها إلى زبد ماخض. فالرياح تندفع بقوّة في وادي الأردن آتيه من الشمال، زائدة سرعتها في المنحسر الضيّق. وعندما تهبُّ على مياه بحر الجليل تصبح الملاحة أمرًا خطرًا جدًا.

وفي هذه الحادثة، كان الرب يسوع يعبر من الجانب الغربي إلى الشرقي؛ وعندما هبّت العاصفة، **كان نائمًا** في السفينة. أمّا التلاميذ وقد أخذ فيهم الخوف كل مأخذ، **أيقظــوه** متوسّلين إليه أن يســاعدهم. ويجب الاعتراف بأنهم عرفــوا كيف يلجأون للشــخص الصحيح. أمّا الرب، فبعد أن وبّخهم على ضعف إيمانهم، **انتهر الرياح** والأمــواج. وإذ **صار هدوء عظيم**، **تعجّب** الرجال من أن عناصر الطبيعة أيضًــا أطاعت ذلك الراكب المتواضع. ولكم كان إدراكهم ضعيفًا، فلم يعرفوا أنّ خالق الكون وحافظه هو الذي كان معهم في السفينة ذلك اليوم.

يواجــه كل تلاميذ الــرب العواصــف إن عاجلاً أم آجــلاً. ويبــدو لنا في بعض الأحيــان كأنّ الأمواج ستبتلعنا. وما أحلاها من تعزية أن نعلم بأنّ يسوع معنا في الســفينة. "فلا مياه تســتطيع أن تبتلع السفينة التي يضطجع فيها ســيّد البحر والبرّ والسماء". وليس من يهدّئ عواصف الحياة مثل الرب يسوع.

ز. يسوع يشفي المسكونين بالأرواح الشرّيرة (٨: ٢٨ـ٣٤)

٨: ٢٨ **تقع «كورة الجرجســيّين»*** على الجانب الشرقي لبحــر الجليل. وعندما وصل يســوع إلى هناك، التقى رجلين مسكونين بالأرواح الشرّيرة، وكانت حالتهما عنيفة جدًّا. وكان هذان المسكونان يعيشان **في القبور**، وكان هياجهما شديدًا حتى إنّهما جعلا السفر إلى تلك المنطقة أمرًا غير مأمون.

٨: ٢٩ـ٣١ ولمّــا اقترب يســوع صرخا قائلــين: «**ما لنــا ولك يا يســوع ابــن الله، أجئــت إلى هنا قبــل الوقت لتعذّبنــا؟**» فقد عرفا من هو يســوع، وأنّه ســيهلكهم في النهايــة. فمن هذه الناحيــة كان لاهوتهم أصحّ من لاهوت كثيرين من العصريّين المتحرّرين. وإذ شــعروا أنّ المسيح ســيخرجهم من الرجلين، طلبوا أن يُرسَلوا إلى **قطيع** من الخنازير كان يرعى قريبًا من المكان.

٨: ٣٢ والغريــب في الأمــر أنّ الــربّ يســوع منحهم طلبتهــم. لكــن كيف ينزل الــرب القديــر عند رغبة الشــياطين؟ يجب أن نتذكّــر حقيقتين رئيســيّتين حتى نتمكن مــن فهم عمل الرب هذا. أولاً، أنّ الشــياطين يتجنّبــون حالــة التحرّر من الأجســاد، فهــم يريدون أن يســكنوا في النــاس، أو إذا تعــذّر ذلك، يســكنون في الحيوانــات أو أيّ مــن المخلوقات الأخــرى. ثانيًا، غرض الشــياطين هــو التخريب بــلا اســتثناء، فلو أنّ يســوع أخرجهم من المسكونين فقط، لشــكّلوا خطرًا على الناس الذين في تلك المنطقة. لكنّ الرب بســماحة لهــم أن يدخلوا في الخنازيــر، منع دخولهــم في الرجال

* قُرئــت في النــص اليوناني النقدي «الجدريّين». وقد يرد أحيانًا اسم المدينة مكان اسم المنطقة، والعكس صحيح.

والنساء، قاصرًا قوّتهم التخريبيّة على الحيوانات فقط. فإنّ الوقت للقضاء عليهم نهائيًا من قِبل الرب لم يكن قد أتى بعد. وحالما انتقلوا إلى الخنازير، **إذا قطيع الخنازير كلّه قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه.**

إنّ هذه الحادثة تُظهر أنّ الهدف للشياطين هو التخريب، وتبيّن كذلك أنّه يمكن لرجلين أن يسكنهما عدد من الشياطين يكفي لإهلاك ألفي رأس من الخنازير (مر٥: ١٣). يا لها من حقيقة راعبة!

٨: ٣٣، ٣٤ هرب الرعاة ورجعوا إلى المدينة فأخبروا بما حدث لهم. وكانت النتيجة أنّ المدينة كلّها قامت وخرجت لملاقاة يسوع، وطلبوا منه أن يترك تخومهم. ومنذ ذلك الوقت والانتقاد يوجّه إلى يسوع من أجل مذبحة الخنازير التي لا لزوم لها، وقد طُلب إليه أن ينصرف لأنّه أعطى للحياة البشرية قيمة أكثر من تلك التي للحيوانات. إن كان هؤلاء الجرجسيّون يهودًا فتربية الخنازير محرّمة عليهم. لكن سواء كانوا يهودًا أو لم يكونوا، فهم تحت دينونة لأنّهم أعطوا الخنازير قيمة أكبر من شفاء الربّ للمسكونين بالأرواح الشرّيرة.

ح. *السلطان على غفران الخطايا* (٩: ١-٨)

٩: ١ بعدما رفض الجرجسيّون الرب عبرَ بحر الجليل ثانية، وجاء إلى كفرناحوم التي كانت قد أصبحت مدينته خاصّة بعد محاولة أهل الناصرة لإهلاكه (لو٤: ٢٩-٣١). وهذا هو المكان الذي صنع فيه يسوع أقوى معجزاته.

٩: ٢ وجاء إليه أربعة رجال يحملون **مفلوجًا** على فراش بسيط. ويخبرنا مرقس أنّه بسبب الجمع نقب الرجال السقف ودلّوا السرير أمام يسوع (مر٢: ١-١٢). **فلمّا رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: «ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك».** ولنلاحظ أنّ الرب رأى إيمانهم، فالإيمان هو الذي حثّ هؤلاء الرجال على الإتيان بالمفلوج إلى يسوع، وهكذا امتدّ إيمان المُقعد إلى يسوع للشفاء. كافأ الرب هذا الإيمان، فقال للمفلوج أولاً، **مغفورة لك خطاياك** فالطبيب الأعظم أزال السبب قبل علاج الأعراض، فأعطى البركة العظمى أولاً. وهذا يطرح السؤال: هل شفى المسيح أي إنسان دون أن يمنحه الخلاص أيضًا؟

٩: ٣-٥ عندما سمع بعض الكتبة يسوع يعلن غفران خطايا الرجل، اتّهموه في داخلهم بالتجديف. فالخلاصة هي أنّ الله وحده هو الذي يستطيع أن يغفر الخطايا، وهم بالتأكيد لم يُسمعوا بأنّ يسوع هو الله. فقرأ يسوع، الكلّي المعرفة، أفكارهم؛ وانتهرهم على الشرّ الذي كان في قلوبهم بعدم الإيمان، ثمّ سألهم: **أيّما أيسر أن يُقال: مغفورة لك خطاياك؛ أم أن يُقال: قم وامشِ؟** في الواقع، إنّ قول الاثنين هو بنفس السهولة من الوجهة البشريّة، لكنّ إثبات القول بالعمل أصعب منه في الأمر الثاني من الناحية البشريّة، إذ يتطلّب برهانًا ظاهرًا، في حين أن التصريح الأوّل برهانه غير ظاهر.

٩: ٦، ٧ ولكي يُظهر الربّ للكتبة أنّ له **سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا** (ولذلك يجب تكريمه كالله)، تنازل لكي يصنع أمامهم معجزة يستطيعون رؤيتها. فالتفت إلى المفلوج وقال: **«قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك»**.

٩: ٨ ولمّا رآه الجمع راجعًا إلى بيته، حاملاً سريره، أظهروا انفعالين: خوفًا، وتعجُّبًا. فقد خافوا لأنّهم أدركوا يقينًا أنّهم في حضور افتقاد إلهي فريد. فمجّدوا الله لأنّه أعطى الناس سلطانًا مثل هذا.

لكن فاتهم المعنى الحقيقي للمعجزة؛ فالقصد من الشفاء الظاهر للمفلوج كان أن يثبت أنّ معجزة خفيّة قد حصلت له، وهي غفران خطاياه. كان عليهم أن يدركوا أن ما شاهدوه ليس عرضًا للسلطان المعطى من الله للبشر، بل حضور الله في وسطهم بشخص ربّنا يسوع المسيح. لكنّهم لم يفهموا، الأمرُ المؤسف جدًّا.

أمّا بالنسبة للكتبة، فنعرف ممّا يلي من أحداث، أنّهم تقسّوا أكثر في عدم إيمانهم وحقدهم.

ط. يسوع يدعو متى العشّار (٩: ٩ـ١٣)

٩: ٩ إنّ رواية متّى البسيطة والمتواضعة لقصّة دعوة الربّ له، تخفّف وقتيًّا من حدّة التوتّر الذي بدأ يزداد في الجوّ المحيط بالمخلِّص. كان العشّارون جباة ضرائب، ومتّى واحد منهم، مكروهين جدًّا عند اليهود. والسبب في ذلك يعود إلى عدم استقامتهم والضرائب الجائرة التي كانوا يفرضونها، وفوق كل شيء لسبب خدمتهم لمصالح الإمبراطوريّة الرومانيّة المتحكّمة بإسرائيل. عندما اجتاز يسوع من مكان الجباية، قال لمتّى: «اتبعني». وكان جواب متّى فوريًّا، فقام وتبعه، تاركًا وراءه عملاً معروفًا بعدم استقامته ليصبح في الحال تلميذًا ليسوع. وكما قال أحد الشرّاح، "فَقَدَ متّى عملاً مربحًا، لكنّه أمّن المصير؛ خسر دخلاً كبيرًا، لكنّه وجد الشرف. خسر ضمانًا مربحًا، لكنّه وجد مغامرة لم يكن يحلم بمثلها مطلقًا". ومن مكافآت الرب له أنّ أصبح واحدًا من الاثنى عشر، وكان له شرف كتابة الإنجيل الذي يُنسَب إليه.

٩: ١٠ إنّ الضيافة المذكورة هنا أقامها متّى في بيته تكريمًا ليسوع (لو٥: ٢٩). فقد كانت هذه طريقته في الاعتراف العلني بالمسيح، وكذلك في تعريف زملائه بالمخلِّص. لذلك يُفترَض أن يكون الضيوف من **العشارين والخطاة**.

٩: ١١ كانت العادة في تلك الأيّام أن يتّكئ المدعوّون على مساند أمام المائدة. **فلمّا رأى الفرّيسيّون** يسوع في شركة كهذه مع أدنياء المجتمع، ذهبوا إلى تلاميذه يتّهمونه بالمشاركة في ذنبهم؛ إذ يُعقل أن يأكل نبيّ من الله مع الخطاة.

٩: ١٢ **فلمّا سمع يسوع قال لهم**: «**لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى**». أمّا الفرّيسيون فكانوا يعتبرون أنفسهم أصحّاء ولا حاجة لهم إلى يسوع (كانوا في الواقع مرضى روحيّين ويحتاجون إلى الشفاء احتياجًا شديدًا). أمّا العشّارون والخطاة، فكانوا على النقيض منهم يرغبون في الاعتراف بحالتهم الحقيقيّة وفي طلب نعمة المسيح المخلِّصة. لذلك فالتهمة كانت صحيحة! لأنّ يسوع كان يأكل مع الخطاة. ولو أنّه أكل مع الفرّيسيّين لظلّت التهمة صحيحة، وربّما كانت أصحّ أيضًا. لو أن المسيح لم يأكل مع الخطاة في عالم مثل عالمنا، لكان أكل وحده دائمًا. لكن من المهمّ أن نتذكّر أنّه عندما كان يسوع يأكل مع الخطاة لم يكن ليشترك معهم في طريقهم الشرّيرة أو يكسر شهادته، بل كان ينتهز الفرصة ليدعو الناس إلى الحقّ والقداسة.

٩: ١٣ كانت مشكلة الفرّيسيّين أنّ قلوبهم بقيت قاسية وباردة بلا رحمة مع أنّهم كانوا يحفظون الطقوس اليهودية بدقّة عظيمة. لذلك رفضهم يسوع طالبًا منهم أن يتعلّموا معنى الكلمات التي قالها الرب، **«إنّي أريد رحمة لا ذبيحة»** (هو٦: ٦). فمع أنّ الله أنشأ نظام الذبائح، فهو لم يكن يريد أن تصبح الطقوس بديلاً عن البرّ الداخلي. فالله ليس إله طقوس، وهو لا يسرّ بالطقوس المنفصلة عن التقوى الشخصيّة، الأمر الذي كان الفرّيسيّون يفعلونه تمامًا. فقد كانوا يحفظون حرفيّة الشريعة، ولكن لم تكن عندهم أيّة شفقة على المحتاجين إلى معونة روحيّة. فقد كانوا يختلطون فقط بأصحاب البرّ الذاتي الذين على شاكلتهم.

وعلى النقيض من ذلك، فإنّ الرب يسوع قال لهم بالتحديد: «**لم آتِ لأدعو أبرارًا، بل خطاة إلى التوبة**». لقد حقّق بالتمام رغبة الله من جهة الرحمة والذبيحة أيضًا. فمن ناحية، لا وجود للأبرار في هذا العالم، إذًا قد جاء المسيح ليدعو كل الناس إلى التوبة. لكنّ الفكرة هنا، هي أنّ الذين يعترفون بأنفسهم أنهم خطاة هم وحدهم الذين يستفيدون من هذه الدعوة فالرب لا يُمكن أن يمنح الشفاء للمتكبّرين وأصحاب البرّ الذاتي وغير التائبين، مثل الفرّيسيّين.

ي. يسوع يُسأل عن موضوع الصوم (٩: ١٤-١٧)

٩: ١٤ من المحتمل أنّ يكون يوحنا المعمدان في هذا الوقت في السجن. وجاء تلاميذه إلى المسيح ليطرحوا أمامه مشكلة معيّنة، فهم غالبًا ما يصومون لكنّ تلاميذ يسوع لا يفعلون ذلك؛ ترى لماذا هذا الاختلاف؟

٩: ١٥ أجابهم الرب مستخدمًا توضيحًا جميلاً عن العريس وبني العرس. فالرب هو العريس وتلاميذه هم بنو العرس. وما دام هو معهم، فلا يوجد سبب للصيام الذي يدلّ على الحزن. لكن حين يُرفع العريس عن التلاميذ، عندئذ يصومون. وقد أخذ منهم يسوع في الموت والدفن، ومن حين صعوده إلى السماء، لم يزل غائبًا عنهم في الجسد. ومع أنّ كلام الرب يسوع هنا لا يأمر بالصوم، فهو يؤيّده حتمًا كممارسة تليق بالذين ينتظرون رجوع العريس.

٩: ١٦ إنّ السؤال الذي أثاره تلاميذ يوحنا دفع يسوع للإشارة إلى أنّ يوحنّا وضع نهاية لتدبير قديم، معلنًا حلول عصر النعمة الجديد، وبالتالي فلا يمكن خلط مبادئ كل من التدبيرين بعضهما مع بعض. فمحاولة خلط الناموس بالنعمة تشبه استخدام قطعة جديدة من القماش (لم تنكمش بعد) لترقيع ثوب عتيق. فعندما يُغسل الثوب، تنكمش الرقعة، وتنشقّ عن القماش العتيق. وبذلك يصير الخرق أردأ ممّا كان عليه. ويعلّق جابلين *Gaebelein* قائلاً: "إنّ المسيحيّة المتهوّدة التي تحاول أن تخفظ الناموس وتعزّز برّه، مع اعترافها بالنعمة والإنجيل، هي أقبح في نظر الله من شعب إسرائيل عندما كان يعبد الأوثان في القديم".

٩: ١٧ ويمكن أن يشبّه أيضًا الخلط بين الناموس والنعمة بوضع الخمر الجديدة في زقاق عتيقة. فإنّ الضغط الناشئ عن تخمّر الخمر الجديدة، يفجّر الزقاق العتيقة لأنّها قد فقدت مرونتها. إنّ الحياة التي في بشارة الإنجيل المفرحة، والحريّة التي فيها، تخربان الطقوس والطقسيّة وتشقّان زقاقها. ويوضح بِتنجِل *Pettingel* هذا الأمر جيّدًا إذ يقول:

وبهذا الشكل يحذّر الملك تلاميذه من خلط القديم بالجديد... ومع ذلك فهذا هو ما حصل في المسيحيّة على مدى العصور. فقد ترقّعت المسيحيّة باليهودية واعتُمدت هذه الأخيرة في الكنائس، والثوب العتيق أصبح يمثّل المسيحيّة التقليديّة. والنتيجة كانت خليطًا يسوده التشويش ليس هو اليهودية ولا هو المسيحيّة، لكنّه استبدال الأعمال الميتة بالثقة في الله الحيّ. فإنّ الخمر الجديدة التي تمثّل الخلاص المجاني، قد وُضعت في الزقاق العتيقة للناموسيّة؛ وماذا كانت النتيجة؟ انشقّت الزقاق وتلفت، والخمر انصبّت وضاع المشروب الثمين المعطي الحياة. فالناموس فقد هوله لأنّه اختلط بالنعمة، وفقدت النعمة جمالها وميزتها كنعمة لأنّها اختلطت بأعمال الناموس.

ك. السلطان لشفاء الأمراض المستعصية وإقامة الميت (٩: ١٨-٢٦)

٩: ١٨، ١٩ قاطع رئيس المجمع يسوع وهو يتحدّث عن تغيّر التدابير الإلهيّة ليخبره بأنّ **ابنته قد ماتت**. سجد الرجل قدّام الرب متوسّلاً إليه أن يذهب ويعيد إليها الحياة. كان مستغربًا أن يطلب رئيس مثل هذا معونة من يسوع، فمعظم القادة اليهود كانوا يخافون توبيخ زملائهم لهم وازدراءهم بهم إن هم فعلوا ذلك. لكنّ يسوع أكرم إيمان الرجل بالتوجّه مع تلاميذه إلى البيت حيث كانت ابنته موجودة.

٩: ٢٠ وها هو يُقاطَع مرّة أخرى! وكانت هذه المرّة من امرأة عانت **نزف الدم اثنتي عشرة سنة**. لم يكن يسوع ليتضايق قطّ من الذين يعترضونه هكذا. فلقد كان دائمًا متّزنًا، يسهل الوصول إليه والاجتماع به والتحدّث معه.

٩: ٢١، ٢٢ عجز الطبّ عن علاج هذه المرأة، وصارت حالتها تتدهور بسرعة (مر٥: ٢٦). وفي حالتها الخطرة هذه التقت بيسوع، أو على الأقل شاهدت الجموع محتشدة حوله، واندفعت بين الجموع ومسّت **هدب ثوبه**، لأنّها كانت تؤمن أنّ الربّ قادر على شفائها وأنّه يريد ذلك بالفعل. ويسوع لا يتجاهل الإيمان الحقيقي أبدًا. فالتفت إليها وأعلن لها أنّها قد شُفيت، ففي الحال **شفيت المرأة**، أوّل مرّة بعد اثنتي عشرة سنة.

٩: ٢٣، ٢٤ تعود بنا القصّة الآن إلى الرئيس الذي كانت ابنته قد ماتت. فلمّا وصل يسوع إلى البيت، كان النائحون المحترفون يولولون، الأمر الذي سمّاه أحدهم "الحزن المصطنع". أمر يسوع أن تُخلى الغرفة من الزائرين، معلنًا لهم أنّ الفتاة لم تمت لكنّها نائمة. ويعتقد معظم شرّاح الكتاب أنّ الرب يستعمل كلمة «نائمة» هنا مجازيًّا ليشير إلى الموت. لكنّ البعض يعتقدون مع ذلك أنّ الفتاة كانت في غيبوبة. ولكنّ هذا التفسير لا ينكر أنّ يسوع كان يستطيع أن يقيمها لو كانت ماتت فعلاً، إلاّ أنّه يشدّد على أنّ يسوع كان أمينًا لدرجة أنّه لم يُرد أن يأخذ الفضل في إقامتها في حين أنّها لم تكن قد ماتت فعلاً. وقد تمسّك السير روبرت أندرسون *Sir Robert Anderson* بهذه الفكرة، فأشار إلى أنّ أبا الصبيّة والآخرون قالوا بأنّها ماتت، أمّا يسوع فقال إنّها لم تمت.

٩: ٢٥، ٢٦ ومهما كان الأمر فقد أمسك الرب بيدها فحدثت المعجزة... **وقامت الصبيّة**. ولم يمضِ وقت طويل حتى انتشر خبر المعجزة في كل أنحاء المنطقة.

ل. السلطان على إعطاء البصر (٩: ٢٧ـ٣١)

٩: ٢٧، ٢٨ لمّا رحل يسوع من منطقة الرئيس، تبعه أعميان يطلبان الإبصار. وبالرغم من أنّ هذين الرجلين كانا أعميين، فقد كان عندهما تمييز روحي شديد. فناديا الرب «يا ابن داود» لأنّهما عرفا أنّه المسيّا الذي طال انتظاره والملك الشرعي. وقد عرفا أنّه عندما يأتي المسيّا المنتظر فأحد الإثباتات على مصداقيّته، هو أنّه سيعطي البصر للعميان (إش ٦١: ١*). ولمّا امتحن يسوع إيمانهما بسؤاله لهما هل يؤمنان بأنّه قادر أن يفعل هذا (أي يمنحهما البصر)، أجاباه بلا تردّد، نعم يا سيّد.

٩: ٢٩، ٣٠ وعندئذ لمس الطبيب العظيم أعينَهما وأكّد لهما أنّهما سيبصران لأنّهما آمنا وفي الحال انفتحت أعينهما فأبصرا جليًّا.

إنّ لسان حال البشر "الإبصار هو الإيمان" لكنّ الله يقول "الإيمان هو الإبصار"؛ فقد قال يسوع لمرثا: «ألم أقل لك إن آمنتِ ترين...؟» (يو ١١: ٤٠)، وقد ذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيّين أنّنا «بالإيمان نفهم...» (عب ١١: ٣)، وكتب يوحنّا يقول: «كتبت إليكم أنتم المؤمنين... لكي تعلموا...» (١يو٥: ١٣). فالله لا يرضى بالإيمان الذي يطالب بمعجزة مسبقة، فهو يريدنا أن نؤمن بكلّ بساطة لأنّه هو الله القدير.

لماذا حذّر يسوع الأعميين من أن يخبرا أحدًا بشفائهما؟ لقد قلنا في معرض شرحنا للآية ٨: ٤ إنه ربّما أراد الرب أن يتفادى أيّة حركة تهدف إلى تتويجه ملكًا قبل الأوان. فالناس كانوا غير تائبين بعد، والرب لن يملك عليهم حتى يولدوا من جديد. هذا مع العلم بأنّ حركة ثوريّة لصالح المسيح قد تجلب تدخُلاً من الحكومة الرومانيّة ضدّ اليهود. أضِف إلى ذلك أنّه كان على الربّ أن يذهب إلى الصليب قبل أن يتمكّن من الحكم ملكًا. فأيّ شيء يعوّق طريقه إلى الجلجثة، كان يتعارض مع خطّة الله المعيّنة سابقًا.

٩: ٣١ أمّا الرجلان فقد أذاعا خبر معجزة شفائهما. ذلك أنّهما كان يخالجهما شعور شديد بالعرفان بالجميل. وبينما نميل للتعاطف معهما ولإبداء الإعجاب بشهادتهما الحيّة، تبقى الحقيقة أنّهما عصيا أمر الرب بوضوح، وبلا شكّ سبّبا ضررًا أكثر من الفائدة، وذلك بإثارة حبّ الاستطلاع السطحي بدلاً من الاهتمام الذي يأتي بتأثير الروح القدس. فحتّى العرفان بالجميل ليس حجّة صالحة للعصيان.

م. السلطان لمنح مَلَكة النطق (٩: ٣٢ـ٣٤)

٩: ٣٢ أعطى يسوع أولاً حياة للأموات، ثمّ أعطى بصرًا للعميان، وها هو الآن يعطي كلامًا للأخرس. ويبدو أنّه يوجد تعاقب روحي في هذه المعجزات... فالحياة أولاً، ثمّ الفهم، وبعد ذلك الشهادة.

لقد ضرب روح شرّير هذا الرجل بالخرس. وكان هناك من اهتمّ بأن يحضره إلى يسوع. إنّ الرب يبارك هؤلاء الأتقياء المجهولين الذين كانوا أدوات طيّعة بين يديه للإتيان بالآخرين إليه!

٩: ٣٣ حالما خرج الروح الشرّير تكلّم الأخرس. ولا شكّ أنّه استخدم قوّة النطق التي استعادها في التسبيح والشهادة للشخص الذي أنعم عليه بالشفاء. وقد أدرك العامة من الشعب أن الأمّة كانت تشهد معجزات لم يسبق لها مثيل.

* حسب حاشية ترجمة RSV

٩: ٣٤ لكنّ الفرّيسيّين أجابوا بقولهم إنّه برئيس الشياطين يخرج الشياطين. وهذا ما وصفه يسوع لاحقًا بالخطية التي لا تُغفر (مت ١٢: ٣٢). إنّ عزو المعجزات التي صنعها يسوع بقوّة الروح القدس إلى قوّة الشيطان، هو تجديف على الروح القدس. فبينما كان الآخرون يتبركون بلمسة المسيح الشافية، حافظ الفرّيسيّون على موتهم الروحي وعماهم وخرسهم أيضًا.

٦ـ رُسل المسيح الملك يُرسلون إلى الأمّة القديمة (٩: ٣٥ - ١٠: ٤٢)

أ. الحاجة إلى فعلة للحصاد (٩: ٣٥ـ٣٨)

٩: ٣٥ يبدأ مع هذه الآية ما يُسمّى بالدورة الجليليّة الثالثة. فقد سافر يسوع إلى كل المدن والقرى مبشّرًا بالأخبار السّارة للملكوت التي تعلن أنّ يسوع هو الملك الآتي، وأنّه لو تابت الأمّة واعترفت به، فسيملك عليها. كان الرب يقدّم عرضًا صادقًا وحقيقيًّا للملكوت في ذلك الوقت. فماذا كان سيحدث لو إنّ الأمّة قبلت العرض؟ إنّ الكتاب المقدّس لا يجيب على هذا السؤال. ولكنّنا نعرف أنّ يسوع كان لا بدّ أن يموت، لكي يوفّر أساسًا للبرّ يستطيع الله بواسطته أن يبرّر الخطاة في جميع العصور.

وبينما كان المسيح يعلّم ويبشّر بالملكوت، كان أيضًا يشفي كل أنواع الأمراض. والمعجزات التي ميّزت المسيح في مجيئه الأوّل المتواضع، ستميّز مجيئه ثانيةً عندما يأتي بقوّة ومجد عظيم (قارن عبرانيين ٦: ٥ «قوّات الدهر الآتي»).

٩: ٣٦ ولمّا نظر الرب يسوع إلى الجموع وهم متضايقون وبلا معين، رآهم **كغنم لا راعي لها**؛ فتحنّن قلبه العظيم وأشفق عليهم. نعم، ليتنا نتثقّل أكثر فأكثر بالحاجة الروحيّة الموجودة عند الهالكين والمائتين. ويجب أن نصلّي باستمرار:

دعني أنظر إلى الجموع كما فعل مخلّصي يسوع
إلى أن تعتم عيناي من كثرة الدموع
دعني أرى القطيع الحائر
وأنا بالإشفاق ممتلي وأحبّهم من أجل حبّه.

٩: ٣٧ إنّ الحاجة هي إلى جهد كبير من الحصاد الروحي، ولكنّ **الفعلة قليلون**. وما تزال المشكلة قائمة حتى يومنا هذا، ويظهر أنّ هذه الحاجة هي دائمًا أعظم من العمل المطلوب.

٩: ٣٨ قال الرب يسوع للتلاميذ أن يطلبوا **من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده**. لنلاحظ هنا أنّ الحاجة لا تنشئ دعوة، فينبغي ألا يذهب الفعلة إلا إذا أُرسلوا.

المسيح ابنُ العليّ أرسلني
إلى البلدان الغارقة في الظلام.
تانك اليدان المثقوبتان هُما اللتان وُضِعتا عليّ
فكلّفتاني هذه المهمّة الجليلة.

فرانسيس بيفان ***Frances Bevan***

لم يعيّن يسوع من هو **ربّ الحصاد**. يظنّ بعضهم أنّه الروح القدس. وفي ١٠: ٥، نرى يسوع نفسه يرسل التلاميذ، لذلك يبدو واضحًا أنه هو نفسه الذي ينبغي أن نصلّي إليه لأجل تبشير العالم.

ب. دعوة التلاميذ الاثني عشر (١٠: ١ـ٤)

١٠: ١ أوصى الربّ تلاميذه في الآية الأخيرة من الفصل التاسع بأن يصلّوا طالبين المزيد من الفعلة. وينبغي للمؤمنين الذين يرفعون هذه الطلبة بإخلاص

أن يكونوا هم أنفسهم مستعدّين لكي يذهبوا إلى الحصاد. وهكذا نجد الربّ هنا يدعو **تلاميذه الاثني عشر**. كان قد سبق فاختارهم، لكنّه الآن يدعوهم إلى مهمّة تبشيريّة لأُمّتهم الخاصّة. وزوّدهم مع الدعوة سلطانًا على إخراج الأرواح الشرّيرة وشفاء كل أنواع الأمراض. وتظهر هنا شخصيّة الرب يسوع الفريدة بين البشر. فمع أنّه أُتيح لآخرين صنع المعجزات، لم يسبق لأيّ إنسان أن منح الآخرين السلطان لإجرائها.

١٠: ٢-٤ أمّا التلاميذ الاثنا عشر فهم:

١ - **سمعان الذي يقال له بطرس**؛ وكان رجلاً مندفعًا حتى التهوُّر، سخيّ القلب، حنونًا، وقائدًا بالفطرة.

٢ - **أندراوس**؛ أخوه؛ وقد عرّفه يوحنّا المعمدان إلى يسوع (يو ١: ٣٦، ٤٠)، ثمّ أتى هو بأخيه بطرس إلى المسيح، ومن ثمّ غدا عملُه أن يُحضر الناس إليه.

٣ - **يعقوب بن زبدي**؛ الذي قتله هيرودس في ما بعد (أع ١٢: ٢)؛ وهو أول من مات شهيدًا من الاثني عشر.

٤ - **يوحنا أخو يعقوب**؛ وهو أيضًا ابن زبدي. وهو التلميذ الذي كان يسوع يحبّه، ونحن مدينون له بفضل كتابة الإنجيل الرابع، وثلاث رسائل وسفر الرؤيا.

٥ - **فيلبّس**؛ وهو من بيت صيدا، وقد أحضر نثنائيل إلى يسوع. وينبغي أن نميّزه عن فيلبّس المبشّر المذكور في سفر أعمال الرسل.

٦ - **برثولماوس**؛ ويُعتقَد أنّه نثنائيل الذي رآه الربُّ أنّه «إسرائيليٌّ لا غش فيه» (يو ١: ٤٧).

٧ - **توما**؛ «المدعو التوأم»، والمعروف بأنّه "توما الشكّاك"، وقد قادته شكوكه إلى اعترافه الرائع بالمسيح (يو ٢٠: ٢٨).

٨ - **متّى**؛ الذي كان قبلاً عشارًا وهو كاتب هذا الإنجيل.

٩ - **يعقوب بن حلفى**؛ ولا نعرف عنه بالتحديد سوى القليل.

١٠ - **لبّاوس، الملقّب تدّاوس**؛ ويُعرف بيهوذا بن يعقوب (انظر لو ٦: ١٦)؛ ونجد في يوحنّا ١٤: ٢٢ القول الوحيد المنسوب له.

١١ - **سمعان القانويّ**؛ الذي يلقّبه البشير لوقا «بالغيور» (لو ٦: ١٥).

١٢ - **يهوذا الإسخريوطي**؛ وهو الذي سلّم الربّ.

ربّما كان التلاميذ في العشرينيّات من العمر عندما دعاهم الربُّ يسوع؛ وقد اختارهم من مسالك الحياة المختلفة. وإذ كانوا شبّانًا ذوي قدرة عاديّة، كانت عظمتهم الحقيقيّة تكمن في ارتباطهم بيسوع.

ج. *إرساليّة التلاميذ إلى أُمّتهم* (١٠: ٥-٣٣)

١٠: ٥، ٦ تتضمّن بقيّة الأصحاح الحالي تعليمات يسوع المختصّة بجولة التلاميذ التبشيريّة في بيت إسرائيل. وينبغي ألاّ نخلط بينها وبين الإرساليّة اللاّحقة للسبعين (لو ١٠: ١)، أو بينها وبين المأموريّة العظمى (مت ٢٨: ١٩، ٢٠). فهذه الإرساليّة كانت مهمّة موقّته ذات هدف محدّد وهو إعلان اقتراب ملكوت السّماوات. ومع أنّ هنا بعض المبادئ التي تبقى صالحة لشعب الله عبر العصور، فإنّ نقض الربّ يسوع لبعض منها في ما بعد يلغي صلاحيتها عبر

الزمن (لو ٢٢: ٣٥، ٣٦). أعطاهم الربّ في البداية إرشادًا للطريق: فينبغي لهم ألاّ يذهبوا إلى الأمم ولا إلى السامريين وهم عرق خليط يكرهه اليهود. فقد كانت خدمتهم في ذلك الوقت مقتصرة على **خراف بيت إسرائيل الضالة**.

١٠: ٧ أما رسالة التلاميذ فهي إعلان اقتراب **ملكوت السماوات**. فإذا رفض شعب إسرائيل الرسالة يُصبحون بلا عذر لأنّ الدعوة الرسميّة وجّهت إليهم بشكل خاص. واقتراب ملكوت الله هو في اقتراب شخص الملك منهم، لذا ينبغي أن تقرّر الأُمّة هل تقبله أو ترفضه.

١٠: ٨ أعطى الربّ تلاميذه براهين تثبت رسالتهم: **اشفوا مرضى، طهّروا برصًا، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين**. فإذ كان اليهود يطلبون آيات، تنازل الله بنعمته وأعطاهم آيات. أما من جهة الأجرة، فقد أوصى الرب مندوبيه بألاّ يأخذوا أجرًا. فقد جاءتهم البركات مجانًا وبالتّالي ينبغي لهم أن يوزّعوها مجانًا أيضًا.

١٠: ٩، ١٠ يجب على التلاميذ ألا يتزوّدوا مسبّقًا لرحلتهم. فقد كانوا يكرزون لأهل بيتهم أو لبني جنسهم. وكان المبدأ المتعارَف عليه عندهم أنّ **الفاعل مستحق طعامه**. لذلك لم يكن لازمًا لهم أن يأخذوا **ذهبًا ولا فضةً ولا نحاسًا، ولا مزودًا للطريق، ولا ثوبين، ولا أحذية ولا عصًا**. وربما كان المقصود هنا هو النّعال الإضافيّة والعصيّ الإضافيّة، فهو يسمح لهم بأخذ العصي إذا كانت عندهم من قبل (مر٦: ٨). فالفكرة هي أنّ حاجاتهم الشخصيّة ستؤمّن لهم يومًا فيومًا.

١٠: ١١ أمّا من ناحية مكان سكناهم فقد تعيّن عليهم عند دخولهم **أيّة مدينة أو قرية** أن يجدوا المضيف **المستحقّ** — وهو ذاك الذي يقبلهم كتلاميذ للربّ ويستمع بالتالي لرسالتهم. ومتى وجدوا ذلك المضيف ينبغي أن ينزلوا عنده طوال مدّة وجودهم في المدينة، بدلاً من انتقالهم إلى مكان آخر، ولو وجدوا ظروفًا معيشيّة أنسب.

١٠: ١٢-١٤ وإذا استقبلهم بيت ما وجب عليهم أن يسلّموا على أهل البيت مظهرين لطفًا وامتنانًا، علامة على قبولهم لتلك الضيافة. أما إذا رفض البيت إضافة رسل الربّ فالتلاميذ غير مُلزَمين الصلاة لأجل حلول سلام الله عليه. أي أنّهم لا يطلبون بركة الله على تلك العائلة. وليس ذلك فقط، بل كان ينبغي أن يوضحوا أيضًا عدم رضى الله بنفض **الغبار** عن أرجلهم: فالعائلة التي ترفض تلاميذ المسيح ترفض المسيح نفسه.

١٠: ١٥ نبّههم الربّ إلى أنّ رفضًا كهذا سوف يجلب على أصحابه في **يوم الدين** عقابًا أشرّ مما جلبته ضلالة **سدوم وعمورة** وفسادُهما على أهلها. وهذا يبرهن لنا أنه ستكون درجات من العقاب في الجحيم، وإلاّ فكيف تكون الحالة **أكثر احتمالاً** لبعضٍ ممّا تكون عليه لآخرين؟

١٠: ١٦ يقدّم الرب يسوع في هذا المقطع للاثني عشر مشورة تختصّ بسلوكهم في مواجهة الاضطهاد. فينبغي لهم أن يكونوا **كغنم في وسط ذئاب**، إذ هم محاطون بأُناس أشرار ينوون إهلاكهم. ويجب أن يكونوا **حكماء كالحيّات**، متجنّبين العثرات غير الضروريّة والوقوع في مواقف المهاودة أو المساومة. وينبغي أن يكونوا **بسطاء كالحمام**، متسلّحين بسلاح البرّ العملي والإيمان الصادق.

١٠: ١٧ ينبغي أن يحترسوا من اليهود غير المؤمنين الذين سيجرّونهم إلى المحاكم القضائيّة ويحضرونهم إلى مجامعهم. وسيكون الهجوم ضدّهم مدنيًّا ودينيًّا في الوقت عينه.

١٠: ١٨ وسوف يساقون أمام ولاة وملوك من أجل المسيح. لكنّ دعوة الله ستنتصر على شرّ الإنسان، "فمع أنّ الإنسان يمعن في شرّه، فإنّ الله يحقّق مقاصده". وفي الوقت الذي يبدو فيه التلاميذ كأنّهم مهزومون سيكون لهم الشرف العظيم في الشهادة أمام الحكّام والأمم. وسيجعل الله كل الأشياء تعمل معًا للخير. لقد عانت المسيحية من السلطات المدنيّة الكثير ولكن "لم ينفع أيٌّ تعليم أولئك المعيّنين للحكم كما نفعهم التعليم المسيحيّ".

١٠: ١٩، ٢٠ لن يحتاج التلاميذ للتدرّب على ما ينبغي قوله أمام المحاكم. فعندما يحين الوقت يعطيهم روح الله حكمة إلهيّة ليجيبوا بطريقة تمجّد المسيح وتُربك المشتكين عليهم وتُفشلهم. وينبغي أن نتجنّب في تفسيرنا للآية ١٩ موقفين متطرّفين. الأول هو الافتراض الساذج بأنّ المؤمن لا يحتاج البتّة لأن يحضّر نفسه مسبّقًا للخدمة التي يتولّاها. والثاني هو أنّ هذه الآية ليس لها أيّ صلة بيومنا هذا. فمن اللائق والمحبّذ أن يمكث الخادم أمام الله مصلّيًا ومنتظرًا أن يعطيه الكلمة الملائمة لمناسبة معيّنة. ولكن يصحّ القول أيضًا أنّه في وقت الأزمة يمكن لجميع المؤمنين أن يطالبوا الله بوعده في إعطائهم حكمة ليتكلّموا بإرشاد من روح الله وهكذا يكونون ناطقين بروح أبيهم.

١٠: ٢١ أنذر يسوع تلاميذه بأنّهم سيواجهون الغدر والخيانة. فسوف يسلّم الأخ أخاه، ويغدر الأب بابنه، ويبلّغ الأولاد ضدّ والديهم مسبّبين قتلهم.

ويصوّر ذلك ماكولاي *J.c.Macaulay* بقوله:

"إنّنا نتشارك في احتمال البغض من العالم... وينبغي ألاّ يتوقّع خادم الربّ أن يعامله العدوّ بشكل أفضل ممّا لقيه الربّ نفسه. وإن لم يكن للعالم ما يقدّمه ليسوع أفضل من الصليب فلن يقدّم عربة ملوكية لاتباعه؛ فإذا كانت له الأشواك فلن تكون لنا أكاليل الزهور... إنّما دعونا نحرص أن تكون بغضة العالم لنا حقًّا «من أجل اسم المسيح» وليس بسبب قباحات فينا أو أشياء لا تليق بالربّ الكريم الذي نمثّله".

١٠: ٢٢، ٢٣ سيكون التلاميذ مُبغَضين من الجميع — ليس من الجميع بغير استثناء بل من كل الشعوب والحضارات والقوميّات وطبقات الناس. «ولكنّ الذي يصبر إلى المنتهي فهذا يخلص». إذا فهمنا هذه الآية حرفيًّا فقد نستنتج أنّ الخلاص يُكتسب بالاحتمال والثبات. لكنّنا نعلم أنه لا يمكن أن تعني ذلك لأن الخلاص في كل الكتاب المقدّس يُقدّم عطيّة مجانيّة من نعمة الله ويُؤخذ بالإيمان (أف٢: ٨، ٩). ولا تعني الآية أن الذين يحافظون على أمانتهم للمسيح سيخلصون من الموت الجسديّ، لأنّ الآية السابقة تنبئ بمقتل بعض التلاميذ الأمناء. وهكذا فإنّ أبسط تفسير هو أن الاحتمال سيكون علامة الدمغة المميّزة للمخلصين بالحق. فالذين يصبرون حتى النهاية في أوقات الاضطهاد يُظهرون باحتمالهم أنهم مؤمنون حقيقيون. ويرد التصريح عينه في متى٢٤: ١٣ حيث نرى إشارة إلى بقيّة من اليهود الأمناء أثناء الضيقة، سيرفضون المساومة في ولائهم للرب يسوع، فصبرهم سيُظهر إذ ذاك أنهم تلاميذ حقيقيّون.

نجد في الفصول الكتابية التي تتحدّث عن المستقبل أنّ روح الله ينتقل في كثير من الأحيان من المستقبل القريب إلى المستقبل البعيد. فيمكن أن يكون للنبوة دلالة جزئية قريبة المدى كما أنّها تحتمل في الوقت نفسه تحقيقًا كاملاً بعيد المدى. فعلى سبيل المثل، قد يُدمج الكتاب مجيئي المسيح في مقطع واحد بغير أيّة إشارة واضحة لذلك (إش٥٢: ١٤، ١٥؛ مي٥: ٢-٤). ويُجري الرب يسوع هذا النوع من الانتقال النبوي في الآيتين ٢٢، ٢٣، فهو يحذّر الاثني عشر من الآلام التي سيحتملونها من أجل اسمه، ثم يبدو كأنّه يرى فيهم عينه من أتباعه الأمناء المكرسين في أثناء الضيقة العظيمة. وهكذا يقفز إلى المستقبل، من التجارب التي يحتملها المسيحيون الأوائل إلى تلك التي سيحتملها المؤمنون قبل ظهوره المجيد.

ويمكن أن يشير الجزء الأول من الآية ٢٣ إلى التلاميذ الاثني عشر، إذ يقول «**عندما يضطهدونكم في مدينة فاهربوا إلى الأخرى...**» فالتلاميذ لم يكونوا مجبرين على احتمال مضايقة الأعداء لهم إذا كانت لديهم طريقة شريفة للنجاة. "فالهروب من الخطر ليس خطأ، إلا إذا كان هروبًا من الواجب".

وينقلنا الجزء الأخير من الآية ٢٣ إلى الأمام، إلى الأيام التي تسبق مجيء المسيح للملك: «**فإني الحق أقول لكم: لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان**». ولا يمكن لهذا القول أن ينطبق على إرسالية الاثني عشر لأن ابن الإنسان قد سبق فأتى. ويفهم بعض معلمي الكتاب المقدس هذا كإشارة إلى خراب أورشليم سنة ٧٠ ميلادية. ولكن يصعب أن نرى في تلك الإبادة إشارة إلى «مجيء ابن الإنسان». إنّما يرجح أكثر أن نجد في قوله هنا دلالة على مجيئه العلني الثاني. فسيذهب إخوة المسيح من الأمناء في أثناء الضيقة العظيمة حاملين بشارة الملكوت. وسيكونون مضطهَدين وملاحَقين من أجله. لكن سيرجع الرب يسوع قبل أن يكلموا كل مدن إسرائيل لكي يدين أعداءه ويُقيم ملكوته.

قد يبدو أنه يوجد تناقض بين الآية ٢٣ ومت ٢٤: ١٤. فهنا يقول إنّه لن يكملوا كل مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان، فيما يقول هناك إنّ بشارة الملكوت سيُبشَّر بها في كل العالم قبل مجيئه الثاني. ولكن لا يوجد تناقض. فسوف يبشر بالإنجيل في كل الأمم مع أن البشارة لن تصل بالضرورة إلى كل فرد. لكن الرسالة ستلقى مقاومة شديدة، ويُضطهَد حاملوها بعنف ويقاوَمون بشدة من قِبَل الأُمَّة. وهكذا لن يكملوا مدن إسرائيل كلّها.

١٠: ٢٤، ٢٥ يتحيّر تلاميذ الرب دائمًا من ضرورة احتمال المعاملة السيئة. فإذا كان يسوع هو المسيح فلماذا يتألم أتباعه بدلاً من أن يحكموا؟ يعالج الربّ يسوع في الآيتين ٢٤، ٢٥ ارتباكهم ويجيبهم مذكّرًا إياهم بعلاقتهم به. فقد كانوا تلاميذه وهو **معلمهم**؛ هم عبيده **وهو السيد**؛ هُم أهل بيته وهو **رب البيت** فالتلمذة تعني اتباع المعلم وليس التفوق عليه. ويجب ألاّ يتوقع الخادم أن يعامل بأفضل من السيد. فإذا دعا الناس رب البيت المكرّم **بعلزبول** أو "بعلزبوب" ("بعل الذباب"، وكان من آلهة العقرونيين، وقد استخدم اليهود اسمها كناية عن الشيطان)، فسوف يصبُّون على أفراد أهل البيت إهانات أعظم. إذًا، تنطوي التلمذة على الاشتراك مع السيّد في مرفوضيّته.

١٠: ٢٦، ٢٧ أشار الرب على أتباعه ثلاث مرات بأن لا يخافوا (ع٢٦، ٢٨، ٣١). أولاً، ينبغي ألا يخافوا مما يبدو انتصارًا للأعداء عليهم، فدعوى الرب ستنتصر انتصارًا مجيدًا في يوم قريب. حتى ذلك الوقت كان الإنجيل ما يزال مكتومًا وتعاليمه مخفيّة نوعًا، لكن بعد قليل ينبغي للتلاميذ أن يذيعوا بجرأة رسالة المسيح التي ما تزال حتى الآن تُعلَن لهم سرًّا أي على انفراد.

١٠: ٢٨ ثانيًا، ينبغي ألا يخاف التلاميذ من غضب الناس المهلك. فأسوأ ما يمكن أن يفعله الناس هو أن يقتلوا **الجسد**. وموت الجسد ليس أكبر مأساة يواجهها المسيحي، إذ يعني أن نكون مع المسيح «وذاك أفضل جدًّا». إنه خلاص من الخطية والحزن والمرض والألم والفناء؛ وعتبة الانتقال إلى المجد الأبدي. فأسوأ شيء يمكن أن يفعله البشر بالإنسان هو بالحقيقة أفضل شيء يمكن أن يحصل لأولاد الله.

وينبغي ألاّ يخاف التلاميذ من الناس بل أن يهابوا **الله الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنّم**. فهذه أعظم خسارة: الانفصال الأبدي عن الله، وعن المسيح، وعن الرجاء. فإن الموت الروحي خسارة لا يمكن أن تقاس، وهلاك ينبغي تجنُّبه مهما كان الثمن.

إنّ كلمات الرب يسوع في الآية ٢٨ تذكّرنا بالقدّيس جون نوكس *John Knox* الذي كُتب على ضريحه: "هنا يرقد رجل عُرِف بمخافته الشديدة لله حتى إنه لم يخف وجه إنسان البتة".

١٠: ٢٩ يمكن للتلاميذ أن يثقوا بعناية الله بهم وسط البلوى المحرقة. ويعلّمنا الرب يسوع هذا الأمر من مثل العصفور الذي لا يُنسى. كان اثنان من هذه الطيور الرخيصة يباعان **بفلس**، ومع ذلك **لا يموت واحد منها بدون** (إرادة) الآب، أو بغير علمه أو خُفيةً عنه. وكما قال أحدهم: "إنّ الله يحضر جنازة كل عصفور".

١٠: ٣٠، ٣١ إن الله الذي يهتم اهتمامًا شخصيًّا بالعصفور الصغير، يعلم بدقّة عدد **شعور** رأس كل واحد من أولاده. وبضع شعراتٍ أقلُّ قيمةً من العصفور. وهذا يرينا أن شعبه ذو قيمة في عينيه أفضل من عصافير كثيرة، فلماذا يخافون؟

١٠: ٣٢ في ضوء الاعتبارات السابقة، أليس من المنطقي أن **يعترف** تلاميذ المسيح به **قدام الناس** بلا خوف؟ فكل عار وخزي يحتملونه سيكافأ بكثرة في السماء عندما يعترف الرب يسوع بهم أمام أبيه الذي في السماوات. إن الاعتراف بالمسيح هنا يتضمن الولاء بوصفه الرب والمخلِّص، والاعتراف به قولاً وفعلاً معًا. وقد قادت هذه الحقيقة معظم التلاميذ إلى اعترافهم المطلق بالرب بواسطة الاستشهاد.

١٠: ٣٣ أما إنكار المسيح على الأرض فسيُقابَل بالإنكار قدام الله في السماوات. وإنكار المسيح بهذه الصورة يعني رفض الإقرار بمطالبه في حياة كل منا. فالذين عبَّرت حياتهم عن أنّهم لا يعرفونه فسوف يسمعونه يقول لهم في النهاية: «لا أعرفكم». ولا يشير الرب إلى إنكاره بشكل عابر مثلما حدث مع بطرس، بل بالحري إلى إنكار يومي ودائم.

د. لا سلام بل سيف (١٠: ٣٤ـ٣٩)

١٠: ٣٤ ينبغي فهم كلمات الرب يسوع هنا على أنها استعارة تبدو فيها النتائج الظاهرة مجيئه كما لو كانت القصد البادي لذلك المجيء. فهو يقول إنه لم يأتِ ليلقي **سلامًا على الأرض بل سيفًا**. لقد أتى في الحقيقة ليصنع سلامًا (أف٢: ١٢ـ١٧)؛ وأتى لكي يخلّص العالم به (يو٣: ١٧).

١٠: ٣٥ـ٣٧ لكن الفكرة هنا هي أنه عندما يصمّم الأفراد على اتباع المسيح تنقلب عائلاتهم عليهم. فالأب الذي رجع للمسيح سيقاومه ابنه غير المؤمن، والأم المؤمنة تقاومها ابنتها غير المؤمنة، وستكون الحماة المولودة من جديد مكروهة من كنّتها غير المؤمنة. لذلك سينبغي الاختيار بين المسيح والعائلة. ولن يُسمَح لرُبُط الطبيعة بأن تجعل تلميذ المسيح يحيد عن ولائه للرب. فينبغي أن يتقدّم يسوع المخلّص على الأب والأم والابن والابنة. فالضيق والنزاع والتغرُّب عن العائلة هي جميعًا من تكاليف التلمذة. وغالبًا ما تكون هذه المعاداة أكثر مرارة من جميع المقاومات التي تواجه في سائر مجالات الحياة.

١٠: ٣٨ يوجد شيء آخر غير العائلة يمكن أن يسلب المسيح مكانه الشرعي ألا وهو محبة الإنسان لذاته. لذلك أضاف الرب يسوع: «**من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني**». كان الصليب وسيلة لتنفيذ حكم الإعدام. فحمل الصليب واتّباع المسيح هو العيش في حياة مكرسة تمامًا لشخصه لدرجة يستهان معها حتى بالموت نفسه. وليس جميع تلاميذ الرب مدعوّين لبذل حياتهم في سبيل الرب، ولكنّهم جميعهم مدعوُّون لأن يقدّروه تقديرًا يكونون معه مستعدّين للتضحية حتى بحياتهم.

١٠: ٣٩ ينبغي أن تغلب محبة المسيح غريزة الدفاع عن النفس. **فمن وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجل المسيح يجدها**. فالإنسان مُجرَّب بالتشبُّث بحياته من طريق محاولته تجنُّب الألم والخسارة الناجمة عن التكريس الكامل. لكن هذا هو أكبر إتلاف للحياة: أن ينفقها الإنسان في إرضاء الذات. فأعظم استخدام للحياة هو بذلها في خدمة المسيح. والشخص الذي يضيّع **حياته** في تكريسها للرب سيجدها في كمالها الحقيقي.

هـ. كأس ماء بارد (١٠: ٤٠ـ٤٢)

١٠: ٤٠ لن يرفض الجميع رسالة التلاميذ، فسيعترف بعض بهم أنّهم مندوبو المسيح، وسوف يقبلونهم مُظهرين لهم كل إكرام. ومع أن التلاميذ سيكونون محدودي القدرة على مكافأة هذا اللطف، يجب عليهم ألاّ يقلقوا؛ فكل ما يُعمَل من أجلهم سيُعتبر كأنه معمول من أجل الرب نفسه، وسيكافأ تبعًا لذلك.

إن قبول تلميذ المسيح معادل لقبول المسيح نفسه، وقبول المسيح هو مثل قبول الآب الذي أرسله، لأن الرسول يمثّل الذي أرسله. وقبول السفير الذي يمثل الحكومة التي فوّضت إليه تمثيلها يعتبر بحد ذاته إقامة علاقة دبلوماسية طيّبة مع بلاده.

١٠: ٤١ كل **من يقبل نبيًّا لأنّه نبي فأجر نبي يأخذ**. ويعلق بيرسون *A.T. Pierson* على ذلك بالقول:

> كان اليهود يعتبرون أجر النبي أنه الأعظم؛ فبينما كان الملك يحكم باسم الرب والكاهن يخدم

باسم الرب، كان النبيُّ يأتي من عند الرب ويعطي التعليمات للكاهن والملك معًا. ويقول المسيح إنه إذا اقتصرت خدمة المرء على قبول نبي لكونه نبيًّا فالأجر عينه الذي يُعطى للنبي سيُعطى له إذا قدّم للنبي معونة. فكّر في هذا الأمر إذا كان عندك ميل لانتقاد أحد خدّام الربّ! فإذا ساعدته ليتكلم كناطق بلسان الله وشجعته في ذلك ستحصل على جزء من أجرته؛ أما إذا أعقته في إتمام عمله والقيام بخدمته فستخسر أجرك. فمساعدة من يعمل الصلاح هي أمر عظيم وينبغي ألاّ تنظر إلى ثيابه وحالته وحركاته وصوته؛ بل يجب أن تنظر إلى أبعد من ذلك وتقول: "هل يوجّه رسالة لي أنا؟ أليس هذا الرجل نبيًّا من لدن الله لخير نفسي؟" فإذا كان كذلك، فاقبله وعظّم كلمته وعمله تنل جزءًا من أجرته.

ومن يقبل بارًّا باسم بار فأجر بارّ يأخذ. إن الذين يحكمون على الآخرين على أساس الجاذبية الطبيعيّة أو الوفرة المادية يخفقون في أن يدركوا أن القيم الأخلاقية غالبًا ما تكون مخفية وراء مظهر متواضع. والطريقة التي يُعامِل بها إنسان تلميذ المسيح العامي البسيط هي الطريقة عينها التي بها يُعامِل الرب نفسه.

١٠: ٤٢ لن يذهب سُدىً أي لطف أو معروف نحو أتباع الربّ يسوع. فحتى **كأس الماء البارد** إذا أعطيت لتلميذ ما لأنه من أتباع الرب سيكون أجرها عظيمًا.

وهكذا يختم الرب يسوع توصياته الخاصة للاثني عشر مقلّدًا إياهم شرفًا ملكيًا. صحيح أنهم سيجدون مقاومة ويُرفَضون ويُقبَض عليهم ويحاكَمون ويُسجَنون وربما يُقتَلون، إنّما يجب ألاّ ينسوا أبدًا أنهم ممثّلو الملك وأن امتيازهم المجيد هو التكلّم باسمه والعمل لأجله.

٧ـ المعارضة والرفض يتزايدان (ص١١، ١٢)

أ. يوحنا المعمدان في السجن (١١: ١ـ١٩)

١١: ١ وبعدما أرسل يسوع التلاميذ الاثني عشر في إرساليّة خاصّة موقّتة إلى بيت إسرائيل. **انصرف من هناك ليعلّم ويكرز في مدن الجليل** حيث كان التلاميذ يعيشون سابقًا.

١١: ٢، ٣ وكان **يوحنا** المعمدان قد أُلقي في السجن في ذلك الوقت من قِبَل هيرودس. ولما كان مثبّط الهمّة وشاعرًا بالوحشة، ابتدأ يتساءل: إن كان يسوع هو المسيّا حقًّا، فلماذا سمح لنذيره أن يضعف وتفتر همّته في السجن؟ لقد عانى يوحنا، كالكثير من رجال الله العظماء، هبوطًا موقّتًا في الإيمان. لذلك أرسل اثنين من تلاميذه ليسأل هل يسوع هو بالحقيقة الذي تنبّأ عنه الأنبياء أو على الشّعب أن ينتظروا آخر.

١١: ٤، ٥ أجاب **يسوع** مذكّرًا يوحنا بأنّه يصنع المعجزات المُتنبأ عنها للمسيح: **العمي يبصرون**(إش٣٥: ٥)، **والعرج يمشون** (إش٣٥: ٦)، **والبرص يُطهّرون** (إش٥٣: ٤؛ قارن متى٨: ١٦، ١٧)، **والصمّ يسمعون** (إش٣٥: ٥)، **والموتى يقومون** (هذه لم يُتنبأ بها عن المسيّا، لكن كانت أعظم من المعجزات الأخرى). ولقد ذكّر يسوع يوحنا أيضًا بأنّ الإنجيل يُبشّر به **للمساكين** تحقيقًا للنبوّة المتعلّقة بالمسيّا في إشعياء٦١: ١. إنّ قادة الدين العاديّين، كثيرًا ما يحصرون خدمتهم بالأغنياء والأرستقراطيّين، لكنّ المسيّا جاء حاملاً البشارة إلى المساكين.

١١: ٦ أضاف مخلّصنا قائلاً: «**وطوبى لمن لا يعثر فيّ**».

لـو جاءت هـذه الكلمات على لسـان شـخص آخر لكانـت بمثابة تفاخر من جانبـه وعلامة غرور وادعاء. لكنّها على شـفتي يسوع تعبّر تعبيرًا صحيحًا عن كماله الشـخصي. وبدلاً من أن يظهر المسيّا كقائد عسكري مُفعَم بالقـوة، جاء كنجار متضع، فـإنّ لطفه ووداعته وتواضعه هي صفات لم تتلاءم مع صورة المسيّا المحارب. وقد يشكّ الناس الذين ينقادون وراء الرغبات الجسديّة في اسـتحقاق يسـوع لأن يكون ملـكًا. ولكنّ بركة الرب تستقرّ على الذين أدركوا، بالبصيرة الروحيّة، أنّ يسوع الذي من الناصرة هو المسيّا الموعود به.

ويجب ألاّ نفسّـر العدد ٦ على أنّـه توبيخ ليوحنا المعمـدان. فإنّ كل واحد يحتاج لمن يثبّت إيمانه ويقوّيه وقت الحاجـة. فـإنّ الضعف المؤقت للإيمان شـيء، والتعثّر بشـخص الـرب وهويّته على نحو دائم شـيء آخـر. هـذا ولا تتوقّـف حياة شـخص مـا بمجملها علـى فصل واحد منها. فعندمـا نتطلّع إلى حياة يوحنا المعمدان بمجملها، نجد سجلاً حافلاً بالأمانة والمثابرة.

١١: ٧، ٨ حالمـا **ذهب** تلميذا يوحنا بكلمات يسـوع التي فيها إعادة طمأنة وتأكيد، استدار الرب إلى **الجموع** موجّهًـا كلمات مـدح ومّاجة عن يوحنـا المعمدان. وكانت هذه الجموع قـد تجمّعت في البريّة عندما كان يوحنا يبشّر هناك. ولماذا تجمّعوا؟ **أليَنظروا** إنسانًا مثل **قصبـة** متمايلة، **تحركها** مختلف رياح الفكر البشـري؟ بالطبع لا. فلقد كان يوحنا مبشّـرًا شـجاعًا لا يخاف أحـدًا، وكان ضميرًا حيًّا، يفضّـل الألم على الصمت والموت على الاستسلام. ثمّ هل **خرجوا** لينظروا إنسانًا لابسًـا ثيابًا ناعمة؟ بالطبع لا! فلقد كان يوحنا رجل الله البسـيط الذي كانت حياته المتقشّـفة بمثابة توبيخ للناس المنغمسين في الأمور الدنيويّة على نحو شنيع.

١١: ٩ هـل خرجوا لينظروا **نبيًّا**؟ بالطبع، فلقد كان يوحنـا نبيًّا، وفي الواقع أعظم من كل الأنبياء. لم يلمّح الرب هنا إلى أنه كان أعظم بالنسـبة إلى شـخصيّته أو فصاحته أو قدرته على الإقناع، لكنّه كان أعظم بسبب مركزه كممهّدٍ لطريق المسيح الملك.

١١: ١٠ وهذا واضح في العدد ١٠، فيوحنا كان إتمامًا لنبوّة ملاخي التي تقول بأنّه الرسول الذي يسبق الرب ويهيّـئ الشـعب لمجيئه (ملا ٣: ١). لقـد تنبأ آخرون بمجيء المسـيح، لكـنّ يوحنـا كان هو المختـار لكي يعلـن وصوله الفعلي. وقد قيـل: "فتح يوحنا الطريق للمسيح، وخرج بعد ذلك من طريق المسيح".

١١: ١١ «**لكنّ الأصغر في ملكوت الله أعظم منه**». تبرهن هـذه العبارة على أنّ يسـوع كان يتحدّث عن الامتياز الذي ليوحنا، وليس عن شـخصيّته. **فالأصغر في ملكوت السماوات** قد لا يملك صفات أفضـل ممّا امتلكه يوحنا، لكنّـه في الحقيقة يمتلك امتيازًا أعظم. فكون الإنسـان مواطنًـا في الملكـوت هـو أعظـم من إعلانـه وصول الملكـوت. وقد كان امتياز يوحنا عظيمًا إذ هيّأ الطريق للرب، لكنّه لم يعِش حتى يتمتّع ببركات الملكوت.

١١: ١٢ ومنـذ بدايـة خدمـة يوحنـا ولغايـة وضعه في السـجن، عانى «**ملكوت السماوات**»اغتصابًا. فلقد عارض الفرّيسـيّون والكتبة الملكوت بقـوّة. والملك هيرودس قام بـدوره ليقمع الملكوت من طريق القبض علـى المبشّـر بـه. وهـذه العبـارة: «... **والغاصبون**

يختطفونه»، قابلة لتفسيرين: أولاً، أنّ أعداء الملكوت عملوا كل ما في وسعهم ليأخذوا الملكوت بغية تدميره. فإنّ رفضهم ليوحنا أنذر برفضهم للملك نفسه، وهكذا للملكوت. ولكنّ العبارة قد تعني أنّ أولئك الذين كانوا مستعدّين لمجيء الملك تجاوبوا بقوّة مع الإعلان واجتهدوا بكلّ ما أوتوا من قوّة للدخول. وهذا هو المعنى الوارد في لوقا ١٦: ١٦، «كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا، ومن ذلك الوقت يُبَشَّر بملكوت الله، وكل واحد يغتصب نفسه إليه». وهنا يصوّر الملكوت كمدينة محاصرة، وكل فئات الناس تضرب عليه من الخارج محاولة الدخول. فإنّ بعض العنف الروحي قد يكون ضروريًا أحيانًا.

وبغضّ النظر عن أي المعنيين قد نختار، فالفكرة هنا في أنّ تبشير يوحنا واجه ردّ فعل عنيفًا بالإضافة إلى الانتشار الواسع والتأثيرات العميقة التي تحقّقت.

١١: ١٣ «لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا»، فلقد تنبأ كل الكتاب في العهد القديم من سفر التكوين إلى ملاخي عن مجيء المسيّا. وعندما ظهر يوحنا على مسرح التاريخ لم يكن دوره الفريد مجرد التنبؤ، بل كان تحقيقًا لكل النبوات المتعلّقة بمجيء المسيح أوّل مرّة.

١١: ١٤ ولقد تنبأ ملاخي أنه قبل ظهور المسيح، سوف يأتي إيليا كممهّد له (ملا ٤: ٥، ٦). فلو كان الشعب مستعدًّا لقبول يسوع كالمسيح، لكان يوحنّا قد أدّى دور **إيليا**. ولم يكن يوحنا المعمدان إيليا "العائد بالتناسُخ"، فهو أنكر أنه إيليا في يوحنا ١: ٢١. لكنّه تقدّم أمام المسيح بروح إيليا وقوّته (لو ١: ١٧).

١١: ١٥ لم يقدِّر جميع الناس يوحنا المعمدان، ولم يفهموا المدلول العميق لخدمته. لذلك أضاف الرب قائلاً: **«من له أذنان للسمع فليسمع»**. وبكلمة أخرى: انتبهوا، فلا يفوتكم مدلول ما تسمعون. فلو أن يوحنا حقّق النبوّة المتعلّقة بإيليا، إذًا لكان يسوع هو المسيّا الموعود به. لذلك كان يسوع يثبت من جديد حقّه بأنّه مسيح الله، وبشهادته هذه عن يوحنا المعمدان، فإن قبول الواحد يمكن أن يؤدّي إلى قبول الآخر.

١١: ١٦، ١٧ ولكنّ **الجيل** الذي كان يسوع يتحدّث إليه لم يكن مهتمًّا بقبول أي واحد منهما. فاليهود الذين كان لهم الامتيازات بأن يروا مجيء ملكهم المسيّا، لم يكن عندهم ميل له ولا للمبشِّر به، فلقد كانا بمثابة أحجية أو مشكلة محيّرة. وشبّههم يسوع بأولاد مشاكسين عنيدين: **«وبمن أشبّه هذا الجيل، يشبه أولادًا جالسين في الأسواق»**، لم يريدوا أن يقنعوا بأيّ عرض أو اقتراح. فإن أراد أصدقاؤهم أن يزمّروا لهم حتى **يرقصوا**، رفضوا ذلك؛ وإن أراد أصدقاؤهم أن ينوحوا لهم، رفضوا أن يندبوا أو **يلطموا**.

١١: ١٨، ١٩ لقد **جاء يوحنا** في حياة التقشف، فاتهمه اليهود بأنّ به شيطانًا. ولكن بالمقابل جاء **ابن الإنسان** يأكل ويشرب بطريقة عاديّة، فإن كان زهد يوحنا هو ما جعلهم غير مرتاحين له، فبالتأكيد سيكونون مسرورين بطريقة يسوع العاديّة في الأكل والشرب ولكن لا، فقد قالوا عنه إنّه **«إنسان أكول وشرّيب خمر، محبّ للعشارين والخطاة»**. وبالطبع لم يكن يسوع ليكثر من الأكل والشرب، لذلك كانت تهمتهم مصطنعة تمامًا. نعم كان **صديقًا للعشارين والخطاة**، ولكن ليس بالطريقة التي كانوا يقصدونها، فلقد صادق يسوع

الخطاة حتى يخلّصهم من خطاياهم، ولكنّه لم يشترك معهم أو يوافقهم عليها.

«**والحكمة تبرّرت من بنيها**»: والرب يسوع هو الحكمة المتجسّدة طبعًا (١كو١: ٣٠). ومع أنّ غير المؤمنين قد يفترون عليه فهو يتبرّأ في أعماله وفي حياة أتباعه. وبالرغم من أنّ جمهور اليهود رفضوا أن يعترفوا به كالمسيّا الملك، فإنّ رسالته قد تثبّتت بالكامل بواسطة معجزاته والتغيير الروحي الذي حصل في تلاميذه المكرّسين.

ب. *الويلات على مدن الجليل غير التائبة* (١١: ٢٠-٢٤)

١١: ٢٠ كلما عظم الامتياز عظمت المسؤوليّة معه. فلم يكن للمدن الأخرى امتياز كبير مثلما كان لكورزين وبيت صيدا وكفرناحوم. فقد سار ابن الله المتجسّد في أزقّتها المغبرّة، وعلّم شعبها المنعّم عليه، وعمل معظم قوّاته داخل أسوارها. لكنّهم أمام هذا الإثبات الكبير، رفضوا بكل عناد أن يتوبوا. فلا عجب والحالة هذه، أن يلفظ الرب عليهم أكثر الأحكام صرامة.

١١: ٢١ لقد ابتدأ **بكورزين وبيت صيدا**. وكانت هذه المدن قد سمعت توسلات المحبة من الله المخلّص، ومع ذلك رفضوه وانصرفوا عنه. ورجع بفكره إلى صور وصيداء اللتين وقعتا تحت قضاء الله بسبب شرّهما وعبادتهما للأوثان. فلو كان لسكانهما امتياز رؤية معجزات يسوع، لكانت نفوسهم قد اتضعت أمامه في توبة عميقة صادقة. **لذلك فإن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر احتمالاً** يوم الدين مما لكورزين وبيت صيدا.

١١: ٢٢ والكلمات «**حالة أكثر احتمالاً يوم الدين**»، تشير إلى أنه ستكون هناك درجات من العقاب في الجحيم، تمامًا كما ستكون هناك درجات من المكافأة في السماء (١كو٣: ١٢-١٥). إن الخطية الوحيدة التي تؤدي بالناس إلى الجحيم، هي رفضهم الخضوع ليسوع المسيح (يو٣: ٣٦). ولكنّ عمق المعاناة في الجحيم يتوقّف على مدى رفض الامتيازات، والانغماس في الخطية.

١١: ٢٣، ٢٤ قليلة هي المدن التي نالت عناية مثل **كفرناحوم**. فلقد أصبحت موطن يسوع بعد رفضه من الناصرة (٩: ١؛ قارن مرقس ٢: ١-١٢)، وصنع هناك بعض معجزاته الخارقة التي تعتبر أدلّة قاطعة على كونه المسيّا. فلو كان لسدوم الشريرة، عاصمة الشذوذ الجنسيّ، هذا الامتياز، لكانت قد تابت وأُنقذت من الهلاك. ولكنّ امتياز كفر ناحوم كان أعظم، لذلك كان على شعبها أن يتوب ويعترف بالرب بسرور. ولكنّ كفر ناحوم أهملت يوم افتقادها. كانت خطية سدوم في الضلال والانحراف عظيمة، ولكن لا توجد خطية أعظم من رفض كفرناحوم لابن الله القدوس. لذلك، سوف لا تُعاقب سدوم بمثل الشدّة التي ستعاقب بها كفر ناحوم في يوم الدينونة. وكما هي مرتفعة **إلى السماء**، بسبب الامتياز الذي لها الآن، **ستهبط إلى الهاوية** في يوم الدين. وإذا كان هذا صحيحًا بالنسبة لكفر ناحوم، فكم يكون بالأكثر بالنسبة للأماكن التي يتوافر فيها الكتاب المقدس، وحيث يذاع الإنجيل، وحيث لا عذر إلا لعدد قليل من الناس؛ إن وُجدوا.

كانت في أيّام الرب يسوع أربع مدن كبيرة في الجليل: كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم وطبريّة. وقد نطق الرب بالويلات على المدن الثلاث الأولى منها، ولكن ليس على طبريّة. فماذا كانت نتيجة

ذلـك؟ تدمّـرت كورزين وبيت صيـدا تدميرًا كاملاً حتى أنّ موقعها أصبح غير معروف، وموقع كفر ناحوم ليـس محدّدًا، أما طبريّة فما زالت قائمة. وتحقيق النبوّة غير العاديّ هذا هو دليل آخر على معرفة المخلّص غير المحدودة، وعلى وحي الكتاب المقدّس.

ج. *رد فعل المخلّص على الرفض* (١١: ٢٥-٣٠)

١١ : ٢٥، ٢٦ لم يكـن لمـدن الجليل الثلاث عيون ترى ولا قلب يحب مسيح الله. فلقد عرف الرب أنّ موقفهم كان دليـلاً منذرًا بالرفض على نطاق أوسـع. فكيف تفاعل مع عدم توبتهم؟ ليس بالمرارة ولا بالسخرية ولا بالحقد ولا بالانتقام، ولكنّـه بالحريّ رفع صوته إلى الله بالشـكر لأنّه لا يمكن لشـيء أن يفشّل مقاصده الإلهيّة وقـال: «**أحمـدك أيّهـا الآب، ربّ السـماء والأرض، لأنّك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال**».

يوجد احتمالان سـوء فهم يجـب تجنّبهما. أولاً، أنّ يســوع لم يكن يعبّر عن سروره بالقضاء المحتوم على مدن الجليـل. وثانيًا، أنّه لم يقصد أنّ الله منع النور عن الحكماء والفهماء على نحو متعمّد مستبدّ.

لقد كان لتلك المدن كل الفرص للترحيب بالرب يسوع، ولكنّهم رفضوا الخضوع له تعمّدًا، ولمّا رفضوا النـور منع الله عنهم النور. لا تسـقط خطط الله أبدًا، فـإن كان أهـل الفكـر لا يؤمنـون، فالله يعلن نفسـه للقلوب المتّضعة، وهو يشـبع الجياع خيرات ويصرف الأغنياء فارغين (لو ١: ٥٣).

فالذين يحسـبون أنفسـهم أنّهم حكمـاء وفهماء لدرجـة أنّهم لا يدركـون حاجتهم للمسـيح، يُبتلون بالعمى كقضـاء إلهيّ. ولكنّ الذيـن يعترفون بجهلهم يحصلـون على إعـلان مـن «المذّخر فيه جميـع كنوز الحكمة والعلم» (كو ٢: ٣). لقد شـكر يسوع الآب السـماويّ على ترتيبه أنّه إذا لم يُرِد بعضهم أن يقبلوه، فسـيقبله آخـرون. وفي مواجهة الكفـر الهائل وجد الرب تعزية في خطّة الله المهيمنة وفي قصده الإلهي.

١١ : ٢٧ كل شيء قد دفع إليّ المسيح من أبيه. قد يكون هذا ادعاءً كاذبًا لو جاء من شـخص آخر، ولكن لأنّه من الرب يسـوع فهو إعلان بسـيط للحق. من ذلك الوقـت، والمعارضة تتزايد وتتعاظم. لم يظهر المسـيح أنّه ممسـك بزمام الأمور، لكنّه كان كذلك. فلقد كان برنامـج حياته يتحـرّك على نحو لا يقـاوَم نحو انتصار نهائيّ مجيـد. «**وليس أحـد يعرف الابـن إلا الآب**». في شخص المسيح سرّ لا يمكننا إدراكه، فإنّ اتحاد الطبيعة الالهيّة والطبيعة البشريّة في شخص واحد ينشئ مسائل يصعب على العقل البشـريّ حلّها. فمثلاً هناك مسألة الموت، فالله لا يمكن أن يموت، ومع ذلك يسوع هو الله وقد مات فعلاً. ونعلم أيضًا أنّ طبيعتيه الإلهيّة والبشريّة لا تنفصـلان، ولذلك فعلى الرغم من أنّنا نسـتطيع أن نعرفه ونحبّه وأن نتّكل عليه، تبقى الحقيقة هي أنّ الآب وحده يستطيع أن يفهم الابن فهمًا حقيقيًّا.

وأمّا أسرار اسمك العظيمة
فتتعدى مفهوم الخليقة
والآب العظيم وحده
الابن يستطيع معرفته
مستحق أنت يا حمل الله
أن تجثو لك كل الركب

يوشيا كُندَر *Josiah Conder*

«ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له»، فالآب أيضًا لا يمكن حدّه بالفكر، وفي النهاية فإن الله وحده قادر بعظمته أن يفهم الله. فالإنسان لا يستطيع أن يعرفه بقوّته أو بذكائه، ولكنّ الربّ يسوع يستطيع أن يعلن الآب وهو يفعل ذلك لأولئك الذين يختارهم هو، وإن كل من يعرف الابن يعرف الآب أيضًا (يو١٤: ٧).

علينا أن نعترف بعد كل ما قلناه أنّه إن كنّا نطلب شرحًا للعدد ٢٧، فإننا نتعامل مع حقائق أعلى من مستوى إدراكنا، فنحن كمن ينظر في مرآة تعلوها غشاوة، ولن تستطيع عقولنا المحدودة، حتى في الأبديّة، أن تقدّر عظمة الله تقديرًا كاملاً، أو تفهم سرّ التجسّد. قد يساورنا تفكير في الاختيار الاعتباطي لعدد قليل من المفضّلين عندما نقرأ أنّ الآب معلّن لأولئك الذين يختارهم الابن فقط. ولكنّ العدد التالي يحمينا من تفسير كهذا. فالربّ يسوع يوجّه دعوة شاملة إلى جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ليأتوا إليه للراحة. وبكلمات أخرى فإنّ أولئك الذين يختارهم ليعلن لهم الآب، هم أولئك الذين يثقون به ربًّا ومخلّصًا. وإذ نفحص هذه الدعوة التي لا حدود لرقّتها، ليتنا نتذكّر أنّها صدرت بعد الرفض الصارخ ليسوع من مدن الجليل المنعّم عليها. فلا يمكن لكراهيّة الإنسان وعناده أن يطفئا محبّة المسيح ولا نعمته. قال أ. ج. ماكلين *A.J.Maclain*:

"مع أنّ أمّة إسرائيل تحرّكت نحو محنة القضاء الإلهي، نجد الملك في كلمته الأخيرة يفتح باب الخلاص الشخصيّ على مصراعيه، وبذلك يبرهن على أنّه إله كل نعمة، حتى في بداية القضاء".

١١: ٢٨ تعالوا. إنّ مجيء الإنسان معناه أن يؤمن (أع١٦: ٣١)، ويقبل (يو١: ١٢)، ويأكل (يو٦: ٣٥)، ويشرب (يو٧: ٣٧)، وينظر (إش٤٥: ٢٢)، ويعترف (١يو٤: ٢)، ويسمع (يو٥: ٢٤، ٢٥)، ويدخل من الباب (يو١٠: ٩)، ويفتح الباب (رؤ٣: ٢٠)، ويلمس هدب ثوبه (مت٩: ٢٠، ٢١)، ويقبل هبة الله الأبديّة في المسيح يسوع ربّنا (رو٦: ٢٣).

إليّ. إنّ غرض الإيمان ليس كنيسة أو عقيدة أو رجل دين، وإنّما هو المسيح الحيّ. هذا وإنّ الخلاص هو في شخص، فأولئك الذين لهم يسوع قد خلصوا بعمل الله فيهم.

يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال. ينبغي أن يعترف الإنسان أنّه مُتعَب تحت حمل الخطايا لكي يأتي إلى يسوع بالحق. فالذين يعترفون بأنّهم هالكون هم الذين يخلصون فقط، لأنّ الإيمان بيسوع المسيح تسبقه التوبة إلى الله.

وأنا أريحكم. لاحظ أنّ الراحة هنا هي عطيّة، فهي لا تُكتسب ولا تُؤخذ بالاستحقاق. إنّها "راحة الخلاص" التي تأتي من التحقّق بأنّ المسيح أكمل عمل الفداء على صليب الجلجثة. إنّها "راحة الضمير" التي تأتي بعد التحقّق من أنّ جزاء الخطية قد تحمّله المسيح إذ دفع الثمن مرّة واحدة وإلى الأبد وأنّ الله لن يطالب بالقصاص مرّة ثانية.

١١: ٢٩ تتغيّر الدعوة في العددين ٢٩، ٣٠ من الخلاص إلى الخدمة.

«**احملوا نيري عليكم**». وهذا يعني إخضاع النفس لمشيئته، وتسليم القيادة في حياتنا لرب الحياة (رو١٢: ٢،١).

«**وتعلّموا منّي**». وبينما نعترف بربوبيّته في كل مجالات حياتنا، يدرّبنا في طرقه.

«**لأنّي وديع ومتواضع القلب**». المعلّم الصالح وديع ومتواضع، على عكس الفرّيسيّين الذين كانوا قساة ومتكبّرين. والذين يحملون نيره يتعلّمون كيف يأخذون المركز الأصغر.

«**فتجدوا راحةً لنفوسكم**». ليست الراحة هنا راحة الضمير، بل راحة القلب التي نلقاها عندما نأخذ مركز الاتضاع أمام الله والإنسان، وهي أيضًا الراحة التي يختبرها الإنسان في خدمة المسيح عندما يكفّ عن تعظيم نفسه.

١١: ٣٠ «**لأن نيري هيّن وحملي خفيف**». وهنا أيضًا يوجد تباين لافت للنظر بين الرب والفريسيين. فقد قال يسوع عنهم أنّهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحرّكوها بإصبعهم (مت٢٣: ٤). إنّ نير يسوع هيّن، لأنّه لا يثير الغضب ولا يبلي العنق. ولقد اقترح أحدهم مرّة أنّه لو كان عند يسوع لافتة على دكّان نجارته، لكان الناس يقرأون عليها: "لديّ أنيار على القياس تمامًا". نعم إنّ حمله خفيف، ولكنّ هذا لا يعني أنّه لا توجد مشاكل أو تجارب أو متاعب أو قلوب تتوجّع في الحياة المسيحيّة؛ بل يعني أنّه ليس علينا أن نتحمّلها وحدنا، فنحن مشدودون إلى نير ذاك الذي يعطينا نعمة كافية لكلّ أوقات الحاجة، فخدمته ليست عبوديّة، بل هي حريّة كاملة. يقول جُويت *J.H. Jowett*:

> إنّ خطأ المؤمن الجسيم هو أن يحمل حمل الحياة مشدودًا لطوق واحد على عنقه، لأنّ الله لم يقصد أن يحمل الإنسان حمله بمفرده. من أجل ذلك يتعامل المسيح بواسطة النير فقط، فالنير هو رباط رقبة لاثنين والرب يسوع نفسه يريد أن يكون واحدًا من الاثنين، وهو يريد أن يشترك في متاعب أعمالنا المزعجة. إنّ سرّ السلام والانتصار في الحياة المسيحيّة يكمن في خلع طوق الذات وقبول نير المسيح المريح.

د. يسوع هو ربّ السبت (١٢: ١-٨)

١٢: ١ يسجّل هذا الأصحاح أزمة الرفض المتزايدة. فلقد أصبح حقد الفريسيّين المتصاعد وعداؤهم في استعداد للفيضان الذي فتحت أبوابه قضيّة السبت. ففي ذلك السبت، ذهب يسوع مع تلاميذه بين الزروع، فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون. وكانت الشريعة تسمح لهم بأكل السنابل من حقل الجار، ما داموا لا يستعملون منجلاً (تث٢٣: ٢٥).

١٢: ٢ ولكنّ الفريسيين الذين يهتمّون بصغائر الأمور الناموسيّة اتهموهم بأنّهم كسروا السبت. وبالرغم من أنّ ذلك الاتهام لم يكن محدّدًا، فقد كانوا كمن يتّهم التلاميذ بالأمور التالية: (١) بالحصاد (قطف السنابل)، (٢) والدرس (فرك السنابل في أيديهم)،(٣) والتذرية (فصل الحبوب من العصافة).

١٢ : ٣، ٤ وردّ يسوع شكواهم السخيفة بتذكيره لهم بحادثة مرّت في حياة داود. ففي أحد الأيام لما كان داود في البريّة، ودخل هو ورجاله إلى بيت الله **وأكلوا خبز التقدمة**، وهو عبارة عن اثني عشر رغيفًا من الخبز التذكاريّ الذي لا يحلّ أكله لأحد غير الكهنة. ولم يكن داود ولا رجاله من الكهنة، ومع ذلك لم يجد الله عيبًا فيهم من أجل هذا العمل، لماذا؟

ذلك لأنّ ناموس الله لم يُقصَد به إنزال الصعوبات على شعبه الأمين. فلم يكن خطأ داود أنّه ذهب إلى البريّة إذ رفضته أمّة خاطئة، فلو كان قد أُعطي مكانه الشرعيّ، لما أكل هو ولا أتباعه من خبز التقدمة. فالله سمح بعمل ممنوع في ظروف أخرى لأنّه وُجدت خطية في إسرائيل.

إنّ التشابه واضح هنا: فالرب يسوع كان الملك الشرعيّ، ولكنّ الأمّة لم ترد أن تعترف به بوصفه السيّد المطلق. فلو أعطي مكانه الصحيح لما اضطرّ أتباعه للأكل بهذه الطريقة في يوم السبت، أو حتى في أي يوم آخر من أيام الأسبوع. كأنّ التاريخ يعيد نفسه، ولم يوبّخ الرب تلاميذه لأنّهم لم يفعلوا خطأ ما.

١٢ : ٥ لقد ذكّر يسوع الفريسيين بأنّ الكهنة يدنّسون السبت بذبحهم الحيوانات وتقديمها كذبائح، والقيام أيضًا بواجبات أخرى في خدمتهم (عد٢٨ : ٩، ١٠)، ومع ذلك كانوا أبرياء لأنهم انشغلوا في خدمة الله.

١٢ : ٦ عرف الفريسيون أنّ الكهنة كانوا يشتغلون كل سبت في الهيكل دون أن يدنّسوه، فلماذا إذًا كانوا ينتقدون التلاميذ الذين عملوا ما عملوه في حضور من هو أعظم من الهيكل؟ ويمكن أن نقرأ جواب المسيح لهم بهذه الطريقة: «**إنّ ههنا** (شيئًا) **أعظم من الهيكل**». والمقصود بالشيء هو ملكوت الله، الحالّ في شخص الملك.

١٢ : ٧ ولكنّ الفريسيين لم يفهموا قلب الله البتة، ففي هوشع ٦ : ٦ قال الله: «**إني أريد رحمة لا ذبيحة**»، وهو بذلك يضع الشفقة قبل الطقوس، وهو يفضّل أن يرى شعبه يقطف السنابل في يوم السبت ليشبع جوعه، على حفظ اليوم بطريقة صارمة مثل هذه لفرض ضيق على الجسد. فلو أدرك الفريسيون هذا الأمر، لما دانوا التلاميذ. ولكنّهم كانوا يحرصون على الشكليّات الخارجيّة، ويضعونها فوق مصلحة الإنسان.

١٢ : ٨ وأضاف المخلّص قائلاً: «**فإنّ ابن الإنسان هو رب السبت أيضًا**». فهو الذي أسّس الشريعة في المقام الأول، لذلك فهو المؤهّل لإعطاء معناها الحقيقي. يقول إ.و. روجرز *E.w. Rogers*:

> يبدو هنا وكأنّ متى، متعلّمًا من الروح، يقدّم في عرض سريع أسماء الرب يسوع ووظائفه الكثيرة: فهو ابن الإنسان، ورب السبت، وعبدي، وحبيبي، وابن داود، وأعظم من الهيكل، وأعظم من يونان، وأعظم من سليمان. وهو يفعل هذا لكي يظهر شناعة خطية رفضه وعدم إعطائه حقوقه.

وقبل التقدم إلى الحادثة التالية، وهي شفاء يسوع لليد اليابسة يوم السبت، نتوقف لنُقدّم عرضًا قصيرًا للتعليم الكتابي المختصّ بالسبت.

حفظ السبت

لقد كان يوم الراحة، وسوف يكون دائمًا، اليوم السابع من الأسبوع (يوم السبت). فقد استراح الله في اليوم السابع، بعد ستة أيّام من الخلق (تك ٢: ٢). وهو لم يوصِ الإنسان بحفظ يوم السبت في ذلك الوقت، مع أنّه يمكن أن يكون قد قصد المبدأ الواجب اتباعه، وهو يوم راحة من كل سبعة أيام.

ولقد أُمرت الأمة القديمة بحفظ السبت عندما أُعطيت الوصايا العشر (خر ٢٠: ٨-١١).

وكان تشريع السبت مختلفًا عن الوصايا التسع الباقية، فقد كان تشريعه طقسية، فيما كانت الوصايا الأخرى أدبية أو أخلاقية. وكان السبب الوحيد الذي يمنع العمل يوم السبت هو أن الله قال ذلك. أما الوصايا الأخرى فكانت تتعلّق بالأمور الخاطئة في جوهرها.

لم يكن المقصود من منع العمل يوم السبت تطبيقه على: خدمة الله (مت ١٢: ٥)، أو الأعمال الواجبة عن ضرورة (مت ١٢: ٣، ٤)، أو أعمال الرحمة (مت ١٢: ١١، ١٢). هذا وإننا نجد تسعًا من الوصايا العشر مكررة في العهد الجديد، لا كناموس بل كتعليم للمسيحيين الذين يعيشون تحت النعمة. والوصية الوحيدة التي لم يوصَ بها المسيحيون في العهد الجديد، هي الخاصة بالسبت، بل بالحري يعلّم بولس أنّ المسيحيّ لا يمكن أن يُدان إذا لم يحفظ السبت (كو ٢: ١٦).

إن اليوم المميّز في المسيحيّة هو اليوم الأول من الأسبوع؛ فقد قام الرب يسوع من الأموات في ذلك اليوم (يو ٢٠: ١)، برهانًا على أن عمل الفداء قد أُكمل وقُبل عند الآب. وفي يوم الرب التالي، التقى الرب يسوع مع تلاميذه (يو ٢٠: ١٩، ٢٦). وقد أعطي الروح القدس في اليوم الأول من أيام الأسبوع (أع ٢: ١، راجع لا ٢٣: ١٥، ١٦). وقد اعتاد التلاميذ الأولون أن يجتمعوا فيه لكي يكسروا الخبز، مُعلنين موت الرب (أع ٢٠: ٧). وهو اليوم المعيّن من الله، الذي فيه يخزن المؤمنون مالاً لعمل الرب (١كو ١٦: ١، ٢).

جاء يوم الراحة أو اليوم السابع، في نهاية أسبوع من التعب؛ أما يوم الرب الذي هو يوم الأحد، فيبدأ معه الأسبوع بمعرفة التي تولّد راحة في القلب، وهي أن عمل الفداء قد أكمِل. إن يوم السبت يحيي ذكرى الخليقة، أما يوم الرب فهو مرتبط بالخليقة الجديدة. ويوم السبت يوم مسؤوليّة، أما يوم الرب فهو يوم امتياز.

لا يحفظ المسيحيون يوم الرب كوسيلة لكسب الخلاص أو الحصول على القداسة، ولا خوفًا من العقاب. ولكنّهم يخصّصونه للرب بدافع تكريس نابع عن محبتهم للذي أسلم نفسه لأجلهم، ونستطيع أن نفرز هذا اليوم بطريقة خاصة لعبادة المسيح وخدمته، لأنّنا أُعتِقنا من الروتين، أي من شؤون الحياة الدنيوية.

ليس صحيحًا أن نقول إن يوم السبت قد تغيّر إلى يوم الرب، فالسبت (بمعنى الراحة) هو يوم السبت، أما يوم الرب فهو يوم الأحد، والسبت كان ظلاً، أما الجوهر فهو المسيح (كو ٢: ١٦، ١٧). وقيامة المسيح سجّلت بداية جديدة كان يوم الرب دليلاً عليها.

لقد حفظ يسوع يوم السبت كيهودي أمين يعيش تحت الناموس (بالرغم من اتهامات الفريسيين له بعكس ذلك)، وقد حرّر السبت من الأحكام والتنظيمات الزائفة التي غلّفته بقشورها.

هـ. يسوع يشفي في يوم السبت (١٢: ٩ـ١٤)

١٢: ٩ ومن بين الزروع ذهب يسوع إلى المجمع. ويخبرنا البشير لوقا بأن الكتبة والفريسيين كانوا هناك يراقبونه، ليجدوا عليه شكاية (لو٦: ٦، ٧).

١٢: ١٠ وكان في المجمع **إنسان يده يابسة**؛ دليل صامت على عدم قدرة الفريسيين على تقديم المساعدة له. حتى ذلك الوقت كانوا يعاملونه بفتور وتجاهل، ولكنه أصبح فجأة ذا قيمة عندهم إذ رأوه وسيله يصطادون بها يسوع. فقد عرفوا أن المخلّص كان دائمًا ميّالاً إلى التخفيف من بؤس الإنسان، فإذا شفى في يوم السبت، فسوف يمسكونه بجرم التعدي الذي يستحق العقاب، حسب ظنّهم. لذلك بدأوا بإثارة مماحكة ناموسية: «**هل يحل الإبراء في السبوت؟**».

١٢: ١١ وأجاب المخلّص بسؤالهم: هل يقيمون أحد خرفانهم إذا سقط في حفرة في يوم السبت. وهم يفعلون ذلك طبعًا، ولكن لماذا يفعلونه؟ ربّما كانت حجّتهم أنّه عمل رحمة، ولكنْ هناك اعتبار آخر وهو أن الخروف ذو قيمة ماليّة، وهم لا يريدون أن يتعرّضوا للخسارة الماديّة، ولو في يوم السبت.

١٢: ١٢ لقد ذكّرهم الرب يسوع بأن **الإنسان أفضل من الخروف**، فإذا كان يحق التعامل مع الحيوان بالرحمة، فكم يكون أحق بالحري صنع الخير مع الإنسان في يوم السبت.

١٢: ١٣، ١٤ لما أوقع يسوع قادة اليهود في حفرة جشعهم، شفى اليد اليابسة. ولما قال للإنسان أن يمدّ يده، عمل الإيمان مع الإرادة البشريّة، وهنا كوفئت الطاعة بالشفاء، **وعادت اليد صحيحة كالأخرى** بعمل الخالق العجيب. ربما نفتكر أن الفريسيين كانوا قد ابتهجوا لأن الإنسان، الذي لم يكن عندهم قوة ولا رغبة في مساعدته، قد شُفي. لكن على العكس، فبدلاً من ذلك غضبوا على يسوع غضبًا شديدًا وتآمروا على قتله. ولكنْ لو كان لأي منهم يد يابسة، لفرح إذا ما نال شفاءها في أي يوم من أيام الأسبوع.

و. شفاء للجميع (١٢: ١٥ـ٢١)

١٢: ١٥، ١٦ علم يسوع أفكار أعدائه وانصرف، إلا أنه، حيثما ذهب، اجتمعت الجموع من حوله، وحيثما اجتمع المرضى **شفاهم جميعًا**. ولكنه أمرهم أن لا يظهروا أعمال شفائه المعجزيّة، لا لكي يحمي نفسه من الخطر، بل لكي يتجنّب أيّة حركة تهدف لجعله بطلاً شعبيًّا ثوريًّا. لأنه يجب حفظ الجدول الإلهي للعمل كما هو. فقد كانت ثورته آتية، ولكن ليس بسفك دم الرومان، بل بسفك دم نفسه.

١٢: ١٧، ١٨ لقد جاءت خدمته الكريمة تحقيقًا لنبوّة **إشعياء** (٤١: ٩، ٤٢: ١ـ٤). فقد رأى **النبي** المسيّا كالفاتح الوديع. وهو يصوِّر يسوع بوصفه الخادم الذي اختاره الرب، والحبيب الذي سُرّت به نفس الله. وهو الذي سيضع الله روحه عليه، وهذه نبوة تمّت عند معمودية يسوع. وسوف تتجاوز خدمته تخوم إسرائيل، فهو **يخبر الأمم بالحق**. وهذه الأخيرة كان لها صفة غالبة، خاصة عندما علا صوت كلمة «لا» من شعب إسرائيل.

١٢: ١٩ لقد سبق إشعياء فتنبأ بأن المسيّا سوف لا يخاصم ولا يصيح ولا يُسمع صوته في الشوارع. وبكلمات أخرى فإنه لن يكون سياسيًا مثيرًا للاضطراب مهيّجًا للعامة. يكتب ماكلين *McClain* فيقول:

"لن يرتقي الملك الذي هو خادم الله عرش عظمته الشرعي بأية وسيلة عادية من طريق القوة الجسدية، أو بالزعامة السياسية للعامة، ولا حتى بواسطة القوات الخارقة للطبيعة التي تحت إمرته".

١٢: ٢٠ «**قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مُدخّنة لا يُطفئ**». فهو لا يدوس على المطرود أو الفقير المُعدم لكي يحقق أهدافه. ولكنّه يشجّع ويقوّي منكسري القلوب، والمظلومين المضطهدين. وهو ينفخ حتى في شرارة من الإيمان لكي تصبح لهيبًا. وسوف تستمر خدمته حتى **يُخرج الحق إلى النصرة**. فلن تنطفئ عناية محبته المتواضعة بالآخرين بسبب كراهيّة الناس وجحودهم.

١٢: ٢١ «**وعلى اسمه يكون رجاء الأمم**». لقد صيغ هذا التعبير في إشعياء هكذا: «وتنتظر الجزائر شريعته» (إش٤٢: ٤)، والمعنى واحد إذ تشير «الجزائر» إلى الأمم. وهم يصوّرون كمن ينتظرون ملكهم، حتى يكونوا رعاياه الموالين له. وقد أثنى كل من ليلي وكلايست *Lilly & Kleist* على هذا الاقتباس من إشعياء قائلين:

هذه الآية هي جوهرة من جواهر الإنجيل، صورة بارعة الجمال للمسيح، يصوِّر فيها إشعياء وحدة المسيح مع الآب، وإرساليته لتعليم الأمم، ولطفه في التعامل مع البشرية المتألمة، ونصرته الأخيرة؛ فلا رجاء للعالم إلا في اسمه. فالمسيح، مخلِّص العالم، ليس معبَّرًا عنه هنا بمصطلحات فلسفية جافّة، ولكنّه مكسو بغنى التصوير البيانيّ الشرقي الخصائص.

ز. *الخطية التي لا تُغفر* (١٢: ٢٢ـ٣٢)

١٢: ٢٢ـ٢٤ عندما شفى يسوع مجنونًا **أعمى وأخرس**، ابتدأ عامة الناس يفكّرون جديًّا أنه يمكن أن يكون هو **ابن داود**، مسيح الأمّة، وهذا ما أغضب الفريسيين. ولما كانوا غير قادرين على احتمال أي تفكير متعاطف مع يسوع، انفجروا يتّهمونه بأن المعجزة قد صنعت بقوة **بعلزبول، رئيس الشياطين**. وكان هذا الاتهام البغيض هو أول اتهام علني بأن الرب يسوع كان يعمل بقوة الأرواح الشريرة.

١٢: ٢٥، ٢٦ ولما قرأ يسوع **أفكارهم تقدّم** ليكشف حماقتهم، فأشار إلى أن **كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت**. فلو كان هو يُخرِج الشياطين بقوة رئيس الشياطين، لكان الشيطان عاملاً ضدّ نفسه، وهذا منافٍ للمنطق.

١٢: ٢٧ كان عند الرب جواب آخر مُفحم للفريسيين. فإن بعض زملائهم من اليهود، المعروفين بمن يطردون الأرواح الشريرة، ادّعوا بأن لهم سلطانًا على إخراج الشياطين. ولم يُقرّ يسوع بذلك ولم ينكره، بل استخدمه ليظهر إذا كان هو يخرج الشياطين ببعلزبول، فإن أبناء الفريسيين أو زملاءهم يفعلون ذلك أيضًا. أما الفريسيون فلم يقروا بذلك، إلا أنهم

لم يستطيعوا أن يفلتوا من منطق البرهان والحجة، فإن زملاءهم يمكن أن يدينوهم من أجل التلميح بأنهم يخرجون الشياطين كعملاء لإبليس. قال سكوفيلد *Scofield*:

"كان الفريسيون يسرعون في رفض أي تلميح إلى القوة الشيطانية، إذا كان الأمر مختصًّا بهم أو بأولادهم. ولكن على أساس ادّعائهم بأن المسيح كان يخرج الشياطين ببعلزبول، فإن أبناءهم قد يحكمون عليهم بأنهم متقلّبون، لأنه إذا كانت القوة المستخدمة لإخراج الشياطين شيطانية، فالذي يستخدم تلك القوة يكون متحدًا مع مصدرها".

١٢: ٢٨ والحقيقة طبعًا هي أن يسوع كان يخرج الشياطين بروح الله. فقد عاش كل حياته على الأرض كإنسان بقوة الروح القدس. فلقد كان هو المسيّا الممتلئ بروح الله الذي تنبأ عنه إشعياء (إش ١١: ٢؛ ٤٢: ١؛ ٦١: ١ـ٣). لذلك قال للفريسيين: «**ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله**». لقد كان هذا الإعلان بمثابة ضربة قاضية، إذ افتخروا بمعرفتهم اللاهوتية، ومع ذلك فقد أقبل ملكوت الله عليهم لأن الملك كان في وسطهم، ولم يدركوا حتى وجوده!

١٢: ٢٩ إن الرب يسوع هو الذي هزم إبليس وانتصر عليه، وهو أبعد ما يكون عن أن يتحد معه. وهو يشرح ذلك في قصة الرجل القوي، فالرجل **القوي** هو إبليس، وبيته **وأمتعته** هي الأرواح الشريرة. ويسوع هو الذي **يربط القوي، ويدخل بيته، وينهب أمتعته**. وفي الواقع حدث ربط الشيطان على مراحل. فلقد ابتدأ في أثناء خدمة يسوع العلنيّة، وتأمّن بطريقة حاسمة بموت المسيح وقيامته. وسوف يتحقق بشكل أكمل في أثناء الملك الألفيّ للمسيح (رؤ ٢٠: ٢). وفي النهاية، سيغدو حقيقة أبدية عندما يُلقى الشيطان في بحيرة النار (رؤ ٢٠: ١٠). ولا يبدو الشيطان في الوقت الحاضر مربوطًا، فهو ما زال يمارس قوة معتبرة، ولكن قدره المحتوم قد تقرر، وزمانه صار قصيرًا.

١٢: ٣٠ حينئذ قال يسوع: «**من ليس معي فهو عليّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرّق**». فقد أظهر موقف الفريسيين المليء بالتجديف أنهم لم يكونوا معه، بل كانوا ضدّه وبرفضهم أن يحصدوا معه، كانوا يبعثرون الحَبّ. لقد اتهموا يسوع بأنه يخرج الشياطين بقوة إبليس، فيما كانوا هم في الواقع خدّامًا لإبليس، ويطلبون أن يفشّلوا عمل الله. قال يسوع في إنجيل مرقس ٩: ٤٠ «... من ليس علينا فهو معنا». وقد يبدو هذا نقضًا صريحًا للكلمات الواردة هنا في متى ١٢: ٣٠. ولكنّ الصعوبة تهون عندما نرى أن الأمر في متّى يتعلّق بالخلاص. فالإنسان يكون إمّا مع المسيح، وإمّا ضدّه، ولا حياد. أما في مرقس، فالأمر يتعلّق بالخدمة، فهناك اختلافات شاسعة بين تلاميذ يسوع، خلافات في شركة الكنيسة المحليّة، وفي النظم والمناهج، وفي تفسير التعاليم. ولكن القاعدة هنا هي أنه إذا لم يكن الإنسان ضد الرب، فهو معه، وبناءً على ذلك ينبغي أن يُحتَرَم.

١٢: ٣١، ٣٢ تسجّل هذه الأعداد أزمة في معاملات المسيح مع قادة إسرائيل. فلقد اتهمهم بارتكاب الخطية التي لا تُغفَر: التجديف على الروح القدس،

أي باتهام يسوع بأنه صنع معجزاته بقوة إبليس، بدلاً من قوة الروح القدس. وكان هذا في الواقع تسمية الروح القدس ببعلزبول رئيس الشياطين. نعم يوجد غفران لأنواع أخرى من خطايا التجديف؛ فالإنسان ربما يتكلم حتى ضد **ابن الإنسان ويُغفَر له**. ولكن التجديف **على الروح القدس** هو الخطية التي ليس لها غفران، **لا في هذا العالم ولا في العالم الألفي الآتي**. وعندما قال يسوع «هذا العالم»، كان يتكلم عن أيام خدمته العلنية على الأرض. واليوم يوجد شك كبير في مسألة هل يمكن ارتكاب الخطية التي لا تُغفَر في أيامنا هذه، لأن يسوع ليس حاضرًا بالجسد يصنع المعجزات.

ليست الخطية التي لا تغفر هي خطية رفض الإنجيل نفسها، فربما يرفض الإنسان المخلّص بازدراء لسنين، ثم يتوب، ويؤمن، ويخلص. (وبالطبع إذا مات في عدم إيمانه، فسيظل بلا غفران). وليست الخطية التي لا تغفَر هي خطية الارتداد نفسها، فالمؤمن ربما يذهب بعيدًا عن الرب، ومع ذلك يُستعاد إلى الشركة في عائلة الله.

هذا ويسيطر القلق على كثيرين لخوفهم من أنهم قد ارتكبوا الخطية التي لا تغفَر. فحتّى لو أمكن ارتكاب هذه الخطية في أيامنا، فإن حقيقة وجود القلق في هذا الشأن هي دليل على أن الإنسان غير مذنب. فالذين ارتكبوها كانوا قساة لا يلينون في معارضتهم للمسيح. فلم يكن عندهم وخز ضمير من جهة إهانة الروح القدس، ولا تردد من جهة التآمر على قتل ابن الله. ولم يُظهروا أي ندم أو توبة.

ح. *الشجرة تُعرَف من ثمرها* (١٢: ٣٣-٣٧)

١٢: ٣٣ كان على الفريسيين أيضًا أن يعترفوا بأن الرب صنع خيرًا بطرده الأرواح الشريرة، ولكنهم اتهموه بأنه شرير. وهنا يكشف الرب يسوع تقلّبهم وعدم ثباتهم، فيقول: "قرّروا أنتم: إذا كانت **الشجرة جيّدة، فثمرها** يكون **جيدًا**. والعكس بالعكس". فهو شفى المرضى والعمي والصم والخرس، وأخرج الشياطين، وأقام الموتى. فهل يمكن لشجرة رديّة أن تصنع ثمرًا جيّدًا كهذا؟ مستحيل، بكل ما في الكلمة من معنى! فلماذا إذًا رفضوا بإصرار وعناد أن يعترفوا به؟

١٢: ٣٤، ٣٥ السبب في ذلك هو أنهم كانوا **أولاد الأفاعي**. فإن شرهم ضد ابن الإنسان، الذي تبرهن عليه كلماتهم المليئة بالحقد، كان يتدفق من قلوبهم الشريرة. أما القلب الشرير فيعبّر عن نفسه بالتجديف والتعصب والظلم.

١٢: ٣٦ وقد حذّرهم يسوع برزانة (وهو يحذّرنا نحن أيضًا) قائلاً إنّ الناس **سوف يعطون حسابًا عن كل كلمة بطّالة** يتفوّهون بها. لأن الكلمات التي يتكلّم بها الناس، تُعتبر مقياسًا صحيحًا لحياتهم، وهي تشكّل أساسًا مناسبًا للإدانة أو التبرئة. فكم ستكون إدانة الفريسيين عظيمة، بسبب الكلمات الرديئة والمليئة بالازدراء التي تكلموا بها ضد ابن الله القدّوس.

١٢: ٣٧ «**لأنك بكلامك تتبرّر وبكلامك تُدان**». لقد دُفع الجزاء عن الحديث البطّال، بالنسبة للمؤمنين، بموت المسيح؛ ومع ذلك فإن كلامنا البطّال غير المُعترَف به وغير المغفور، ستنجم عنه خسارة مكافآت أمام كرسي المسيح.

ط. آية يونان النبيّ (١٢: ٣٨-٤٢)

١٢: ٣٨ بالرغم من كل المعجزات التي صنعها يسوع، فقد أظهر **الكتبة والفريسيون** تهورًا إذ سألوه آية، موحين بذلك استعدادهم للإيمان به إذا أثبت لهم أنّه المسيّا. ولكنّ رياءهم كان واضحًا، فإن لم يؤمنوا نتيجة للمعجزات الكثيرة، فلماذا يقتنعون بسبب معجزة واحدة أخرى؟ فإنّ الموقف الذي يتطلّب آيات معجزيّة كشرط للإيمان غير مَرضيّ عند الله. وكما قال يسوع لتوما: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩). فالمشاهدة تأتي بعد الإيمان في عُرف الله.

١٢: ٣٩ لقد خاطبهم الرب واصفًا إيّاهم بالجيل الشرّير والفاسق. **جيل شرير**، لأنهم تعاموا عن رؤية مسيحهم، وجيل **فاسق**، لأنهم ارتكبوا خيانة روحيّة ضد إلههم. فإن الله خالقهم، الشخص الفريد الذي يجمع بين الألوهيّة المطلقة والبشريّة الكاملة، وقف في وسطهم متكلّمًا إليهم، ومع ذلك تجاسروا أن يطلبوا منه آية.

١٢: ٤٠ قال لهم باختصار إنه لن **تُعطَى لهم آية إلا آية يونان النبيّ**، مشيرًا إلى موته، ودفنه، وقيامته. فاختبار يونان الذي ابتلعه الحوت ثمّ قذفه (يون ١: ١٧؛ ٢: ١٠)، سبق فصوّر آلام المسيح وقيامته. فإنّ قيامته من الأموات كانت ذروة المعجزات وخاتمتها في خدمته للأمة القديمة. **وكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال**، هكذا تنبّأ الرب بأنه سيكون **في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال**، وهذا أنشأ مشكلة. فإذا كان يسوع، حسب المعتقد العام، قد دُفن يوم الجمعة بعد الظهر وقام يوم الأحد صباحًا، فكيف يمكن أن يُقال إنه كان في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؟ والإجابة هي أنّه، في الحساب اليهوديّ، يُحتسب أيّ جزء من النهار أو الليل فترة كاملة. "النهار والليل يشكّلان أُونة *onah* وجزء الأونة كأنه الكل" (قول يهودي).

١٢: ٤١ لقد صوّر يسوع معصية القادة اليهود بشيئين متباينين. أولاً، كان امتياز الأمميين الذين في **نينوى** أقل بكثير من امتياز اليهود أيّام المسيح، ومع ذلك فعندما **سمعوا منادَاة يونان، تابوا** بحزن عميق. وسوف **يقومون في الدين ليدينوا** الجيل الذي كان في أيام يسوع، لأنهم فشلوا في أن يقبلوا من هو **أعظم من يونان**، أي ابن الله المتجسّد.

١٢: ٤٢ وثانيًا، فإن **ملكة التيمن** (سبأ)، وهي أممية، وخارجة عن نطاق الامتياز اليهودي، قد سافرت من الجنوب وتكبّدت مشقّة السفر وتكاليفه، لأجل مقابلة سليمان. أما اليهود الذين كانوا في أيام يسوع فلم يكن عليهم أن يسافروا، إذ جاء من السماء إلى تخومهم الصغيرة ليكون لهم المسيّا الملك. ومع ذلك، فلم يكن له مكان في حياتهم، مع أنه **أعظم من سليمان** بما لا يُقاس. فالملكة الأمميّة سوف تدينهم عند الدينونة، لأجل هذه اللامبالاة المتعمدة.

يُقدَّم الرب يسوع في هذا الأصحاح، على أنه أعظم من الهيكل (ع ٦)؛ وأعظم من يونان (ع ٤١)؛ وأعظم من سليمان (ع ٤٢). فهو "أعظم من الأعظم وأفضل بكثير من الأفضل".

ي. عودة الروح النجس (١٢: ٤٣ـ٤٥)

١٢: ٤٣، ٤٤ والآن يقدّم يسوع، مستخدمًا الأمثال، مُلَخَّصًا لسيرة الأمة اليهودية غير المؤمنة، ماضيًا حاضرًا ومستقبلاً. فالإنسان يمثّل الأمة اليهودية، والروح النجس يمثّل عبادة الأوثان التي تميّزت بها الأمة من وقت عبوديّتها في مصر حتى سبي بابل (الذي شفى إسرائيل من عبادة الأوثان). وكأنّ الروح النجس قد خرج من الإنسان، فمنذ نهاية السبي حتى اليوم لم يعبد الشعب اليهودي الأوثان، فهم مثل بيت فارغ، مكنوس ومزيّن.

وقد طلب المخلِّص قبولاً في ذلك البيت الفارغ منذ أكثر من ألف وتسعمائة سنة. كان هو الساكن الشرعيّ، وسيّد البيت، ولكن الشعب لم يسمح له بالدخول قطّ. ومع أنهم لم يعبدوا الأوثان في ما بعد، فهم لم يريدوا أن يعبدوا الله الحقيقي أيضًا. يتحدث البيت الفارغ عن الفراغ الروحي، وهي حالة خطرة، كما تُظهر النتيجة. أنّ الإصلاح لا يكفي، فلا بد من قبول المخلِّص أيضًا بعمل إيجابي.

١٢: ٤٥ سيأتي يوم يقرّر فيه روح الوثنيّة أن يرجع إلى البيت، **ومعه سبعة أرواح أخر أشرّ منه**. ولما كان العدد ٧ هو عدد الكمال، فربما أشار هذا إلى الوثنيّة في شكلها المكتمل المتطوّر. وهذا يتطلّع إلى المستقبل، إلى الضيقة العظيمة، حينما تتعبّد الأمّة المرتدّة لضدّ المسيح. إنّ إحناء الرأس لإنسان الخطية والتعبد له كإله، لهو أبشع أنواع الوثنيّة التي أذنبت بها الأمة في الماضي. ولهذا **تصير أواخر ذلك الإنسان أشرّ من أوائله**. سيعاني شعب إسرائيل العاصي الأهوال من العقوبات المروّعة في الضيقة العظيمة، وسوف تفوق معاناته تلك التي كانت في سبي بابل. وسوف يهلك تمامًا القسم الوثني من الأمّة، عند مجيء المسيح الثاني.

«**هكذا يكون أيضًا لهذا الجيل الشرير**». إنّ الجيل المرتد، الرافض للمسيح، الذي احتقر ابن الله في مجيئه أوّل مرّة، هو نفسه سيعاني دينونة شديدة في مجيئه ثاني مرّة.

ك. أمّ المسيح وإخوته (١٢: ٤٦ـ٥٠)

تصوّر لنا هذه الأعداد حادثة جرت على ما يبدو في مكان عام، حين أتت عائلة يسوع لتتحدّث معه. فلماذا جاؤوا؟ يعطينا مرقس الجواب عن هذا. فإنّ بعضًا من أصدقاء يسوع قرّروا أنه مختل (مر٣: ٢١، ٣١ـ٣٥)، وربما جاءت عائلته لتأخذه في هدوء (انظر أيضًا يو٧: ٥). وعندما قالوا للرب **هوذا أمّك وإخوتك واقفون خارجًا طالبين أن يكلموك**، أجاب الرب بسؤاله لهم: «**من هي أمي ومن هم إخوتي؟**» وبعد ذلك مدّ يده نحو تلاميذه وقال: «**من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي**».

كان هذا التصريح المروّع حافلاً بالمغزى الروحي، وأظهر نقطة تحوّل واضحة في تعامل يسوع مع الشعب اليهودي. فمريم وأولادها كانوا يمثّلون الأمّة الإسرائيلية، ولهم قرابة دم مع يسوع. ولغاية الآن، كان يسوع قد حصر خدمته بخراف بيت إسرائيل الضالّة. ولكنّ الأمر صار واضحًا، فإنّ خاصّته لم تقبله، وبدلاً من احترام المسيّا الذي جاء من أجلهم، اتّهمه الفرّيسيّون بأنّه تحت سيطرة إبليس.

ونجد يسوع هنا يعلن نظامًا جديدًا للأمور. فمن

ذلك الوقت فصاعدًا، لم تعد ارتباطاته بالشعب القديم عاملاً رئيسيًّا في خدمته. ومع أن قلبه المحبّ كان يريد أن يستمر في مناشدة بني جنسه حسب الجسد، إلا أنّ هذا الأصحاح الثاني عشر يُظهر انقطاعًا واضحًا في العلاقة بذلك الشعب. فالنتيجة الآن أصبحت واضحة، وهي أنّ الشعب اليهودي لا يقبله، لذلك اتجه نحو الذين يقبلونه. فإنّ الاعتبارات الروحيّة ستحلّ محلّ قرابة الدم. والطاعة لله سوف تأتي بالرجال والنساء، سواء من اليهود أم من الأمم، إلى علاقة حيويّة به.

وقبل أن نترك هذه الحادثة، علينا أن نذكر نقطتين تتعلّقان بأمّ يسوع. فأولاً، يتضّح لنا أنّ مريم لم تكن تتمتّع بمركز خاص يعطيها امتيازًا للدخول إلى محضر الرب بشكلٍ يختلف عن باقي الناس.

وثانيًا، إنّ ذكر إخوة يسوع ينقض التعليم القائل بأنّ مريم ظلّت دائمة البتوليّة بعد ولادة يسوع. فالمفهوم ضمنًا على الأرجح هو أنّ هؤلاء كانوا أولاد مريم الحقيقيين، ولذلك فهم إخوة الربّ من أمّه. وتدعم هذا الرأي شواهد كتابيّة أخرى، مثل مز٦٩: ٨؛ مت١٣: ٥٥؛ مر٣: ٣١، ٣٢؛ مر٦: ٣؛ يو٧: ٣،٥؛ أع١: ١٤؛ ١كو٩: ٥؛ غل١: ١٩.

٨- الملك يعلن فترة انتقالية جديدة للملكوت بسبب رفض إسرائيل (اص١٣).

أمثال ملكوت السماوات

لقد وصلنا إلى نقطة تأزّم في إنجيل متى. فقد أشار الرب إلى أنّ الروابط الروحيّة يجب أن تحلّ محلّ العلاقات الأرضيّة، حتى أنّ الأمر لم يعد موضوع الولادة في عائلة يهودية، بل هو موضوع الطاعة لله الآب. فإنّ الفريسيين والكتبة، برفضهم الملك، قد رفضوا بالطبيعة الملكوت أيضًا. وقدّم الرب يسوع، بواسطة سلسلة من الأمثال، عرضًا مسبقًا لشكلٍ جديد يمكن أن يتّخذه الملكوت أثناء الفترة بين رفضه وظهوره النهائيّ كملك الملوك وربّ الأرباب. وتبتدئ ستة من هذه الأمثال بهذه الكلمات، «يشبه ملكوت السماوات...»

دعونا نراجع الملكوت كما هو مدروس في الأصحاح الثالث لكي ننظر إلى هذه الأمثال بالمنظار الصحيح. فإنّ ملكوت السماوات هو المجال الذي يُعترَف فيه بسيادة الله. وله وجهان: (١) إعلان إيمان خارجي يتضمّن كل الذين يدّعون معرفة سيادة الله؛ ثمّ (٢) حقيقة داخليّة تتضمّن فقط أولئك الذين يدخلون الملكوت من طريق الرجوع إلى المسيح. ويوجد الملكوت في خمس مراحل: (١) مرحلة العهد القديم التي فيها جاءت عنه النبوّة؛ (٢) المرحلة التي فيها كان «قريبًا» أو حاضرًا بحضور الملك؛ (٣) المرحلة الانتقاليّة، التي تتكوّن من أولئك الذين يعترفون بخضوعهم له، بعد رفض الملك وعودته إلى السماء؛ (٤) ظهور الملكوت أثناء الملك الألفي؛ (٥) الملكوت الأبدي النهائي. وتتوافق كل إشارة للملكوت في الكتاب المقدّس مع واحدة من هذه المراحل. والمرحلة التي يناقشها الأصحاح الثالث عشر هي المرحلة الثالثة الانتقاليّة. ففيها يكون الملكوت في حقيقته (أي المؤمنون الحقيقيّون) قد تكوّن من شعب

واحد هو الكنيسة، وذلك بدءًا من يوم الخمسين وحتى الاختطاف. وهذا هو وجه الشبه الوحيد بين الملكوت والكنيسة، وفيما عدا ذلك لا يوجد تماثُل ولا وحدانيّة.

والآن نلقي نظرة على الأمثال، وفي ذهننا هذه الخلفيّة التي استعرضناها.

أ. مثل الزارع (١٣: ١ـ٩)

١٣: ١ خرج يسوع من البيت حيث كان قد شفى المسكون بالأرواح الشريرة، **وجلس** عند بحر الجليل. ويرى كثيرون من دارسي الكتاب المقدّس أنّ البيت يصوِّر أمّة إسرائيل والبحر يصوِّر الأمم. وهكذا فإنّ تحرّك الربّ يرمز إلى قطع العلاقة بإسرائيل؛ وفي أثناء الفترة الانتقاليّة سيبشّر الأمم بالملكوت.

١٣: ٢ ولما اجتمع إليه جموع كثيرة عند البحر، دخل السفينة وابتدأ يعلّم الشعب **بأمثال** والمثل عبارة عن قصّة مع تعليم روحيّ أو أخلاقيّ يُفهم ضمنًا، ولا يكون دائمًا بشكل مباشر. وتخبرنا هذه الأمثال السبعة الآتية، كيف سيكون الملكوت أثناء الفترة ما بين مجيء الربّ الأول ومجيئه الثاني.

فالأمثال الأربعة الأولى قيلت للجماهير؛ أمّا الثلاثة الأخيرة فقد قيلت للتلاميذ. وقد شرح الرب المثلين الأوّلين والمثل السابع للتلاميذ، تاركًا لهم ولنا تفسير ما بقي بواسطة مفاتيح الرموز التي قد أعطانا إيّاها.

١٣: ٣ يختص المثل الأوّل بزارع بذر بذوره في أربعة أنواع تربة مختلفة. وكما هو متوقّع، فإنّ النتائج جاءت مختلفة في كل حالة.

١٣: ٤ـ٨

	التربة	النتائج
١ـ	قاسية: **الطريق**	**الطيور** أكلت البذور.
٢ـ	طبقة ترابيّة رقيقة فوق ترسّبات صخريّة	نمت البذور بسرعة، ولكن بلا أصل فأحرقتها الشمس وجفّت.
٣ـ	أرض مليئة **بالشوك**	نمت البذور بسرعة، لكن كان الاستمرار في النمو مستحيلاً بسبب **الشوك**
٤ـ	**أرض جيّدة**	نمت البذور بسرعة، كبرت وأعطت محصولاً: **بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين**

١٣: ٩ وقد ختم يسوع المثل بتحذير تخصيصيّ: «**من له أذنان للسمع فليسمع**». فقد قدّم في المثل رسالة مهمّة للجموع، ورسالة مختلفة للتلاميذ. ويجب ألا يخطئ أحد فهم مغزى كلماته.

ولما كان الرب بنفسه يفسّر المثل في الأعداد ١٨ـ٢٣، فسنضع فضولنا جانبًا إلى أن نصل إلى تلك الفقرة.

ب. القصد من الأمثال (١٣: ١٠ـ١٧)

١٣: ١٠ كان التلاميذ متحيّرين من أنّ الرب يكلّم الشعب بلغة الأمثال غير الواضحة. لذلك طلبوا إليه أن يفسّر طريقته.

١٣: ١١ لقد ميّز يسوع في إجابته، بين الجموع العاصية والتلاميذ المؤمنين. وكانت تلك الجموع،

وهي عيّنة عن الأمّة، رافضة له بشكل واضح، رغم أنّ رفضها لن يكتمل حتى الصليب. ولن يُسمَح لهم بأن يعرفوا **أسرار ملكوت السماوات**، في حين أنّ أتباع الرب الحقيقيين يحصلون على المساعدة لفهمها.

«السرّ» في العهد الجديد هو حقيقة لم يعرفها الإنسان من قبل، وهذا السرّ لا يقدر الإنسان أن يتعلّمه بعيدًا عن الإعلان الإلهيّ، ولكنّه قد أُعلن الآن. وتُعتبَر أسرار الملكوت حتى الآن حقائق غير معروفة تتعلّق بالملكوت في شكله الانتقالي. هذا وإنّ حقيقة اتخاذ الملكوت شكلاً انتقاليًّا كانت بحد ذاتها سرًّا لغاية الآن. وتصف الأمثال بعض ملامح الملكوت، في فترة غياب الملك. ولذلك يسمّي البعض هذا بـ"الشكل السرّي للملكوت"، ليس لأنّه يوجد فيه سرّ، ولكن ببساطة لأنّه لم يكن معروفًا قبل ذلك الوقت.

١٣: ١٢ ولربّما يبدو استبداد في إخفاء هذه الأسرار عن الجماهير وإعلانها للتلاميذ. لكنّ الرب يقدّم السبب: «**فإنّ من له يُعطى ويُزاد، وأمّا من ليس له فالذي عنده سيُؤخذ منه**.» لقد آمن التلاميذ بالرب يسوع، لذلك أخذوا قُدرة على كسب المزيد. فلأنّهم قبلوا النور مُنحوا نورًا أكثر. ومن ناحية أخرى، فإنّ الأمّة اليهودية رفضت المسيح نور العالم، لذلك لم يُمنَع عنهم المزيد من النور فحسب، بل خسروا أيضًا ما كان لهم من بصيص. فالنور المرفوض يُحرَمه الإنسان.

١٣: ١٣ يشبّه متى هنري *Matthew Henry* الأمثال بعمود السحاب والنار الذي كان ينير لإسرائيل في الوقت الذي كان فيه يربك المصريين. كانت الأمثال تُعلَن لأولئك الذين كانوا يهتمّون بإخلاص، لكنّها "تشكّل إزعاجًا فقط لأولئك الذين كانوا يعادون يسوع".

لذلك لم يكن الأمر مجرّد استئثار من جهة الرب يسوع، وإنّما كان ببساطة تعبيرًا عن المبدإ المتضمَّن في كل الحياة، فإنّ العمى المتعمَّد يتبعه عمى ناشئ عن القضاء الإلهي. لهذا السبب كان يتكلّم إلى اليهود بأمثال. ولقد عبّر وُدرِنج *W.C. Woodring* عن الأمر بهذا الشكل: "لم يحصلوا على نور الحق، لأنّه لم تكن عندهم محبّة الحق". لقد تظاهروا بأنّهم يسمعون كلمة الله، ولكن "كلمة الله" الحيّ كان في وسطهم، ولم يريدوا أن يطيعوه. كانوا غير مستعدّين لإدراك حقيقة التجسد الرائعة، لذلك فقد زالت عنهم القدرة على الفهم.

١٣: ١٤، ١٥ لقد كانوا تحقيقًا حيًّا لنبوّة إشعياء ٦: ٩، ١٠ بأن **قلب** إسرائيل قد **غلظ**، وأصبحت آذانهم غير حساسة لصوت الله. وقد رفضوا عمدًا أن **يبصروا بعيونهم**، إذ عرفوا أنّهم لو أبصروا وفهموا، وتابوا، لشفاهم الله. ولكنّهم في مرضهم وحاجتهم رفضوا مساعدته، لذلك كان عقابهم أنّهم يسمعون ولا يفهمون، ويبصرون ولا يرون.

١٣: ١٦، ١٧ كان التلاميذ يتمتّعون بامتياز عظيم، لأنّهم كانوا يبصرون ما لم يبصره أحد من قبل، فقد اشتاق الأنبياء والأتقياء في العهد القديم أن يكونوا أحياء عند مجيء المسيّا، لكنّ رغبتهم لم تتحقق. أما التلاميذ، فكان لهم الامتياز في أن يعيشوا في تلك الفترة، فترة التغيير المفاجئ في التاريخ، ويروا المسيح، ويشهدوا معجزاته، ويسمعوا التعليم الفريد الخارج من شفتيه.

ج. *شرح مثل الزارع (١٣: ١٨ـ٢٣)*

١٣: ١٨ يتقدّم الرب الآن إلى شرح مثل الأنواع الأربعة من التربة، بعد أن شرح السبب في استخدامه للأمثال. وهو لا يعيّن هويّة الزارع، ولكننا متأكّدون من أنّه يشير إليه شخصيًّا (١٣: ٣٧)، أو إلى أولئك الذين يبشرون برسالة الملكوت. وهو يعرّف البذور بأنّها كلمة الله (١٣: ١٩). وأنواع التربة تمثّل الذين يسمعون الرسالة.

١٣: ١٩ يمثّل الطريق الناس الذين لا يقبلون الرسالة. فهم يسمعون الإنجيل ولكنّهم لا يفهمونه، لا لأنّهم لا يستطيعون، ولكن لأنّهم لا يريدون. والطيور صورة لإبليس، فهو يخطف البذور من قلوب السامعين، وهو يتعامل معهم في العقم الذي اختاروه لأنفسهم. وقد كان الفريسيّون سامعين من هذا النوع الذي تمثّله التربة القاسية.

١٣: ٢٠، ٢١ لما تحدّث يسوع عن التربة الصخريّة، كان في فكره طبقة رقيقة من التربة تغطّي إفريزًا من الصخر. وهذا يمثّل الناس الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها بفرح. ففي بادئ الأمر يمكن للزارع أن يُعجَب بنفسه، إذ إن تبشيره ناجح جدًّا. ولكنّه سريعًا ما يتعلّم درسًا عميقًا، وهو أنّه ليس جيّدًا أن تُستقبَل الرسالة بابتسامات وهتافات. فلا بدّ أولاً من حدوث تبكيت على الخطية، وانسحاق قلب، وتوبة. فمن الأفضل أن ترى باحثًا، يسير باكيًا في طريقه إلى الجلجثة، من أن تراه يتقدّم نحو المنبر في الكنيسة مشرقًا مبتهج القلب. فالأرض السطحية تنتج اعترافًا سطحيًّا، حيث لا عمق في الجذور. وعندما يُمتحن الإيمان بالشمس الحارقة، شمس **الضيق والاضطهاد**، يقرّر صاحبه أنّ الأمر لا يستحقّ، فيترك إيمانه وخضوعه للمسيح.

١٣: ٢٢ وتمثّل الأرض المليئة بالشوك فئة أخرى، وهم الذين يسمعون بطريقة سطحيّة. فهم يظهرون من الخارج بأنّهم رعايا حقيقيون للملكوت، ولكن مع الوقت يخنق **همّ هذا العالم وغرور الغنى** اهتمامهم وشوقهم، فلا يوجد ثمر لله في حياتهم. ويصوّر لانج *Lang* هذا الأمر بقصّة ابن لأب محبّ للمال، عنده تجارة كبيرة. سمع هذا الابن كلمة الرب في صباه، ولكنّه انهمك في التجارة بشدّة، وكان عليه أن يختار بسرعة بين إرضائه لربّه أو لأبيه. هكذا كان الشوك في التربة عندما زُرعت البذور، ونبتت، وكانت اهتمامات العالم وغرور الغني في متناول اليد. فسقط في رغبات أبيه، وكرّس نفسه بالكامل للتجارة، وتقدّم ليصبح رأسًا للمؤسسة التجارية. وبعدما تحسّنت أحواله كثيرًا اعترف بأنّه أهمل الأمور السماوية، وكان على وشك أن يتقاعد عندما عبّر عن رغبته في أن يجتهد أكثر في الأمور الروحية. ولكن الله لا يُشمَخ عليه، فقد تقاعد الرجل ومات فجأة بعد أشهر قليلة، وترك ثروة قدرها تسعون ألف جنيه، وحياه ضائعة روحيًّا. فقد خنق الشوك الكلمة، وأصبحت بلا ثمر.

١٣: ٢٣ تمثّل **الأرض الجيّدة** المؤمن الحقيقي. **فهو... يسمع الكلمة** ويقبلها ويفهمها من طريق طاعته لما يسمع. ومع أن هؤلاء المؤمنين لا يعطون كميّة **ثمر** متساوية، إلا أنّهم يظهرون بثمارهم أنّ حياتهم سماويّة. الثمر هنا هو الأرجح إظهار للخُلق المسيحي، وليس نفوسًا تُربَح للمسيح. فعندما تُستعمَل الكلمة «ثمر» في العهد الجديد، فهي تشير عمومًا إلى ثمر الروح (غل٥: ٢٢، ٢٣).

فماذا قصد الرب أن يقول للجموع من خلال هذا المثل؟ لقد حذّر هذا المثل بوضوح من خطر الاستماع بغير طاعة. وكان معدًّا أيضًا لتشجيع الأفراد على قبول الكلمة بإخلاص، ثمّ البرهنة على حقيقتهم بصنع ثمر لله. أما بالنسبة للتلاميذ، فقد حضّرهم المثل، هم وأتباع يسوع في المستقبل، للحقيقة المختلفة التي تُثبط الهمّة، وهي أنّ عددًا قليلاً نسبيًا من الذين يسمعون الرسالة، يخلصون حقيقة. وهذا المثل يُنقذ أتباع المسيح الأوفياء من التضليل الذي يقول بأن العالم كلّه سوف يتحوّل إلى المسيح من خلال انتشار الإنجيل. ولقد تحذّر التلاميذ أيضًا في هذا المثل من أعداء الإنجيل الثلاثة: (١) الشيطان (الطيور — الشرير)؛ (٢) الجسد (الشمس الحارقة — ضيق أو اضطهاد)؛ (٣) العالم (الشوك — هموم هذا العالم وغرور الغنى).

وأخيرًا يُعطي التلاميذ رؤيا بالنسبة للنتائج الكبيرة التي نحصل عليها من جرّاء الاستثمار في الشخصيّة الإنسانيّة: ثلاثين ضعفًا، أي إنتاج ثلاثة آلاف في المئة، وستين ضعفًا، أي إنتاج ستة آلاف في المئة، ومائة ضعفٍ، أي إنتاج عشرة آلاف في المئة من الاستثمار. ولا توجد في الواقع طريقة لقياس نتائج حالة واحدة من حالات اعتناق المسيحية اعتناقًا صادقًا. فقد أثمر معلّم مدرسة أحد غير مشهور بأن ربح للمسيح دوايت ل. مودي، ثمّ ربح مودي بدوره آخرين، وهكذا بدأ معلّم مدرسة الأحد سلسلة من ردود الفعل التي لن تتوقّف.

د. *مثل الحنطة والزوان* (١٣: ٢٤ـ٣٠)

كان المثل السابق تمثيلاً حيًّا للحقيقة التي تقضي بأنّ ملكوت السماوات يشمل الذين يقدّمون للملك خدمة الشفاه فقط، والتلاميذ الحقيقيين أيضًا. فإنّ الأنواع الثلاثة الأولى من التربة، تصوّر الملكوت في دائرته الأوسع، أي اعتراف الإيمان الظاهري. أما النوع الرابع من التربة فيمثّل الملكوت في دائرته الصغرى، أي الذين قد رجعوا إلى المسيح بحقّ.

١٣: ٢٤ـ٢٦ والمثل الثاني — مثل الحنطة والزوان — يقدّم الملكوت في هذين الوجهين. فالحنطة تصوّر المؤمنين الحقيقيين، أما الزوان فهو الذين يعترفون بالإيمان اعترافًا شكليًّا فقط. ويشبّه يسوع الملكوت بإنسان زرع زرعًا جيّدًا في حقله. **وفيما الناس نيام جاء عدوّه وزرع زوانًا في وسط الحنطة ومضى.** ويقول آنجر *Unjer*، "إنّ معظم الزوان الشائع الموجود في حقول الأرض المقدّسة ذو حسك وشوك، وهو عشب سام، وغالبًا ما لا يمكن تمييزه من الحنطة عندما ينمو الاثنان معًا ويورقان. ولكن عندما تتكوّن السنابل، يمكن أن يُميّز بينهما بسهولة".

١٣: ٢٧، ٢٨ لما رأى الخدم الزوان مختلطًا بالحنطة، سألوا ربّ البيت كيف حدث ذلك، فعرف حالاً أنه من صنع عدوّ. وكان الخدم مستعدّين لقلع الزوان حالاً.

١٣: ٢٩، ٣٠ ولكن الزارع طلب منهم أن ينتظروا حتى الحصاد، عندئذ يمكن للحصّادين أن يفصلوا بينهما. فتُجمّع الحنطة إلى المخازن، أما الزوان فيُحرق.

فلماذا أمر الزارع بهذا التأخير في الفصل بينهما؟ لأنّ جذور الحنطة والزوان تكون في الطبيعة مضفورة بشدّة حتى إنه يكون من المستحيل عمليًّا قلع الزوان دون قلع الحنطة معه.

وقد شرح الربّ هذا المثل في الأعداد ٣٧-٦٢، لذلك سنؤجّل التعليق عليها حتى نصل إليها.

هـ. مثل حبّة الخردل (١٣: ٣١، ٣٢)

وبعد ذلك شبّه المخلّص الملكوت بحبّة الخردل التي يصفها بأنّها أصغر جميع البذور، وهي الأصغر حسب معرفة سامعيه، فإذا زرع الإنسان واحدة من هذه البذور، فهي تنمو وتصير شجرة، وهذا نموّ غير اعتيادي. فإنّ نبات الخردل يكون عادة مثل عليّقة، لا شجرة. وهذه الشجرة تكون كبيرة بما فيه الكفاية، حتى إنّ **طيور السماء تتآوى في أغصانها**.

تمثّل حبّة الخردل البداية المتواضعة للملكوت. ففي بادئ الأمر كان الملكوت صغيرًا نسبيًّا ونقيًّا بسبب الاضطهاد. ولكن تحت رقابة الدولة وحمايتها، شهد الملكوت نموًّا غير طبيعيّ. ثمّ جاءت الطيور وعشّشت فيه. وكلمة «الطيور» المستعملة هنا هي نفسها الكلمة الواردة في العدد ٤، وقصد يسوع بـ«الطيور» الشرير ونشاطه (ع١٩). فلقد أصبح الملكوت مكانًا يعشّش فيه الشيطان وعملاؤه. فإنّ مظلة العالم المسيحيّ اليوم تغطّي أنظمة الذين ينكرون المسيح، مثل المذهب الوحدوي (الذين يرفضون التثليث)، وجماعة العلم المسيحي، والمذهب المورمونيّ، وشهود يهوه، والكنيسة التي تُدعَى الاتحاديّة (المونيّة moonies).

لقد سبق الرب هنا وحذّر التلاميذ من أنّه، في أثناء غياب الملك، سوف يختبر الملكوت نموًّا غير عاديّ. فعليهم ألا ينخدعوا، وألا يعادلوا النمو بالنجاح، لأنه نمو غير صحّيّ. فمع أنّ البذرة الصغيرة تصبح شجرة كبيرة غير عاديّة، فإنّ ضخامتها تصير مأوى للأرواح الشريرة، وسجنًا لكلّ روح شرّير وقذر، وقفصًا لكل طائر نجس وكريه (رؤ١٨: ٢).

و. مثل الخميرة (١٣: ٣٣)

وبعد ذلك شبّه الربّ **الملكوت** بالخميرة التي **خبّأتها امرأة في ثلاثة أكيال دقيق**، وفي النهاية اختمر الجميع. والتفسير الشائع لهذا هو أنّ الدقيق يشير إلى العالم، والخميرة هي الإنجيل الذي يُبَشَّر به في العالم حتى يخلص الجميع. ومع ذلك فإنّ هذا الفكر يتناقض مع الكتاب المقدّس، ومع التاريخ، ومع الأحداث الجارية.

ترمز الخميرة للشرّ في الكتاب المقدّس دائمًا. ولقد فهم ذلك شعب الله في القديم، عندما أمرهم الله أن يعزلوا الخمير من بيوتهم (خر١٢: ١٥). فإذا أكل أحد شيئًا مختمرًا من اليوم الأول إلى اليوم السابع لهذا العيد، عيد الفطير، تُقطَع تلك النفس من الشعب.

وحذّر يسوع من خمير الفريسيين والصدوقيين (مت١٦: ١٢)، وخمير هيرودس (مر٨: ١٥). وفي كورنثوس الأولى ٥: ٦-٨ تُعرّف الخميرة بأنّها خميرة الشر والخبث، والنص الذي في غلاطية ٥: ٩ يُظهر أنّ الخمير يعني التعليم الباطل. وعلى وجه العموم، فإنّ الخمير يعني إمّا تعليمًا شريرًا، وإمّا سلوكًا شريرًا.

لذلك، ففي هذا المثل يحذّر الرب من قوة الشرير المنتشرة في ملكوت السموات والعاملة فيه. ويُظهِر مَثَل حبة الخردل الشر في صفة الملكوت الخارجيّة؛ بينما يُظهِر هذا المثل الفساد الذي قد يحدث فيه من الداخل.

باعتقادنا أنّ العجين في هذا المثل يمثّل طعام شعب الله، كما هو موجود في الكتاب المقدس. والخمير هو التعليم الشرير. والمرأة هي نبية مزيّفة تعلّم

وتضلّل (رؤ٢: ٢٠). أليس أمرًا يستدعي الانتباه أن تكون نساء قد أسّسن عدّة عبادات مزيّفة؟ ومع أنّهنّ ممنوعات، حسب الكتاب المقدّس، أن يُعلّمن في الكنيسة (١كو١٤: ٣٤؛ ١تي ٢: ١٢)، فإنّ بعضًا منهنّ أخذن سلطة التعليم وحقّه بتحدٍّ وجرأة، وقد غششن طعام شعب الله بالبدع الهدّامة.

ويقول بروكس *J.H. Brookes* :

"إذا قام اعتراض بأن المسيح لن يشبّه ملكوت السماوات بما هو شرير، فيكفينا أن نجيب بأنّه شبّه الملكوت بما يجمع بين الزوان والحنطة، وما يجمع بين السمك الرديء والسمك الجيّد، وما يتّسع للعبد الشرير (مت١٨: ٣٢)، وما يضُم إنسانًا هالكًا ليس عليه لباس العرس (مت٢٢: ١ـ١٣)".

ز. استخدام الأمثال تحقق للنبوّات (١٣: ٣٤، ٣٥)

لقد تحدّث يسوع في الأمثال الأربعة الأولى إلى **الجموع**، واستخدم الرب لهذه الطريقة في التعليم، حقّق نبوّة آساف في مزمور ٧٨: ٢ القائلة بأنّ المسيّا سوف يتكلّم **بأمثال**، ويذيع أمورًا كانت في طيّ الكتمان منذ **تأسيس العالم**. فهذه الملامح التي لملكوت السماوات في شكله الانتقالي، والتي كانت مخفاة حتى أوّل الدهر الحاضر، قد أُعلنت اليوم.

ح. شرح مثل الزوان (١٣: ٣٦ـ٤٣)

١٣: ٣٦ لقد وجّه الرب حديثه الباقي إلى **تلاميذه داخل البيت**. وربّما يمثّل التلاميذ هنا، البقيّة المؤمنة من الأمّة المُستعادة. وتجديد الإشارة هنا إلى البيت يذكّرنا بأنّ الله لم يرفض شعبه إلى الأبد، شعبه الذي عرفه من قبل (رو١١: ٢).

١٣: ٣٧ اعتبر يسوع نفسه أنّه هو الزارع، في تفسيره لمثل الحنطة والزوان. فلقد كان يزرع مباشرة أثناء خدمته على الأرض، واستمرّ يزرع من خلال خدّامه في الأجيال اللاحقة.

١٣: ٣٨ الحقل هو العالم، فمن المهم أن نشدّد على أنّ الحقل هو العالم وليس الكنيسة. والزرع الجيّد هو **بنو الملكوت**. وقد يبدو أمرًا غريبًا ومتناقضًا أيضًا أن يُظنّ أنّه يمكن زرع كائنات بشريّة حيّة في الأرض. ولكنّ الفكرة هنا هي أنّ أبناء الملكوت هؤلاء قد زرعوا في العالم. فلقد زرع يسوع العالم في أثناء خدمته العلنيّة بتلاميذه، الذين كانوا أتباعًا مخلصين لملكوته.

والزوان هو بنو الشرير. فالشيطان عنده تزييف لكل حقيقة إلهيّة. وهو يزرع العالم بأولئك الذين يشبهون التلاميذ، ويتكلمون مثلهم إلى حد ما، ولكنّهم ليسوا رعايا حقيقيين للملك.

١٣: ٣٩ العدو هو إبليس، فهو عدو الله وعدو كل شعب الله. **والحصاد هو انقضاء العالم**، أي انتهاء عصر الملكوت في شكله الانتقالي، والذي سيحدث عندما يأتي يسوع المسيح ثانية في قوّة ومجد ليحكم كملك، فالرب لا يشير إلى انتهاء عصر الكنيسة، كما أنّ إدخال الكنيسة هنا يؤدي إلى ارتباك وتشويش.

١٣: ٤٠ـ٤٢ الحصّادون هم الملائكة (انظر رؤ١٤: ١٤ـ٢٠). ففي أثناء مرحلة الملكوت الحاضرة لم يتمّ عزل الحنطة عن الزوان بل مسموح لهما أن ينمُوَان معًا. ولكن عند مجيء المسيح الثاني سيجمع الملائكة كل أسباب الخطية وكلّ فاعلي الشرّ، **ويطرحونهم في أتون** النار حيث البكاء وصرير الأسنان.

١٣: ٤٣ إنّ رعايا الملكوت الأبرار، الذين سيكونون على الأرض في أثناء الضيقة العظيمة، سوف يدخلون ملكوت أبيهم ليستمتعوا بملك المسيح الألفي. وحينئذ يضيئون **كالشمس**، أي إنّهم يتألقون في المجد. ومرّة ثانية، يضيف يسوع هذا التحذير المبطّن: «**من له أذنان للسمع فليسمع**»

إنّ هذا المثل لا يبرِّر، كما يعتقد قومٌ خطأً، قبول الأشرار في الكنيسة المحليّة. فلنتذكّر أنّ الحقل هو العالم وليس الكنيسة. فالكنائس المحليّة أخذت وصيّة صريحة بقطع شركتها عن كل المشتركين بأشكال معيّنة للشرّ (١كو٥: ٩-١٣). ويعلّم المثل ببساطة أنّ ملكوت السماوات في شكله السريّ يتضمّن الحقيقيّ والتقليديّ، الصادق والزائف، وسوف تستمرّ هذه الحالة حتى نهاية هذا الدهر. وحينئذ سوف يفصل ملائكةُ الله، المؤمنين الحقيقيّين عن المزيّفين فيُؤخَذ المزيّفون في الدينونة، ويُترَك الحقيقيّون ليتمتّعوا بملك المسيح المجيد على الأرض.

ط. *مثل الكنز المُخفى* (١٣: ٤٤)

لقد علّمت كل الأمثال، لغاية الآن، أنّه سيكون هناك الصالح والشرّير في الملكوت، الرعايا الأبرار وكذلك الأشرار. ويرينا المثلان التاليان أننا سنجد طبقتين من الرعايا الأبرار: (١) اليهود الذين آمنوا قبل عصر الكنيسة وبعده؛ (٢) اليهود والأمم الذين آمنوا في الدهر الحاضر.

وفي مثل الكنز، يشبّه يسوع **الملكوت بكنز مُخفى في حقل، وجده إنسان فأخفاه، ومن فرحه باع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل.**

واقتراحنا هو أنّ ذلك الإنسان يمثّل الرب يسوع نفسه. (فقد كان هو الإنسان الذي في مثل الحنطة والزوان ـ ع٣٧). ويمثّل الكنز البقيّة التقيّة من اليهود المؤمنين، مثل الذين كانوا في أثناء خدمة المسيح على الأرض، والذين سيكونون أيضًا بعد اختطاف الكنيسة. (انظر مزمور ١٣٥: ٤) حيث يُدعى الشعب في القديم شعب الله الخاص. فقد كانوا مخبّئين في الحقل بمعنى أنّهم مشتّتون في العالم، وهم في الحقيقة غير معروفين عند أحد سوى الله. ويظهر يسوع كالذي اكتشف هذا الكنز، ويلي ذلك ذهابه إلى الصليب وإعطاؤه كل ما كان عنده لكي يشتري العالم (٢كو٥: ١٩؛ ١يو٢: ٢) حيث كان الكنز مخفي. والأمّة المفديّة ستخرج من الخفاء عندما يبرز المسيح المُنقِذ ويقيم الملكوت المنتظر منذ زمن طويل.

يُطبَّق هذا المثل أحيانًا على الخاطئ الذي يترك كل شيء لكي يجد المسيح الذي هو الكنز العظيم. لكنّ هذا التفسير يناقض تعليم النعمة الذي يؤكّد أنّ الخلاص مجانيّ (إش٥٥: ١؛ أف٢: ٨، ٩).

ي. *مثل اللؤلؤة الكثيرة الثمن* (١٣: ٤٥، ٤٦)

ويُشبّه الملكوت أيضًا بتاجر يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة كثيرة الثمن. ضحّى بكلّ ما عنده واشتراها.

في الترنيمة التي تقول: "وجدت اللؤلؤة الكثيرة الثمن"، الذي يجد هو الخاطئ، واللؤلؤة هي المخلِّص. ولكنّنا نعترض على هذا، إذ إنّ الخاطئ ليس عليه أن يبيع كلّ شيء ولا أن يشتري المسيح. لأننا نؤمن بالحري أنّ التاجر هو الرب يسوع **واللؤلؤة الكثيرة الثمن** هي الكنيسة. ففي الجلجثة باع يسوع كل ما كان عنده ليشتري هذه اللؤلؤة.

وكما أنّ اللؤلؤة تتكوّن داخل محارة بسبب الآلام الناتجة عن الإثارة (نتيجة دخول جسم غريب)، كذلك تكوّنت الكنيسة من الطعنة التي طُعن بها جنب المخلّص، ومن الجروح التي جُرِح بها جسمه.

والأمر اللافت للانتباه في مثل الكنز كون الملكوت مشبّهًا بالكنز نفسه. ولكن هنا لا يشبّه الملكوت باللؤلؤة، بل بالتاجر. فلِمَ هذا الاختلاف؟

كان التشديد في المثل السابق على الكنز، أي اليهود المفديّين. فالملكوت مرتبط إلى حد بعيد بالأمّة القديمة. إذ كان أصلاً مقدّمًا إلى تلك الأمّة، وفي شكل مستقبليّ سيكون اليهود رعايا الملكوت الأساسيين.

والكنيسة كما ذكرنا ليست الملكوت، لكن كل الذين في الكنيسة يُحتسبون في الملكوت في شكله الانتقالي، لكن ليس كل الذين في الملكوت هم في الكنيسة. وسوف لا تكون الكنيسة في الملكوت في شكله المستقبلي بل سوف تشترك في الملك مع المسيح فوق الأرض الجديدة. والتشديد في المثل الثاني هو على الملك نفسه وعلى الثمن الباهظ الذي دفعه لكي يتودّد للعروس ويفوز بها وهي التي ستشاركه في مجده يوم استعلانه.

وكما أنّ اللؤلؤة تطلع من البحر كذلك فإن الكنيسة، التي تُسمّى أحيانًا عروس المسيح الأمميّة، تتكوّن في غالبيّتها من الأمم. وهذا لا يتغاضى عن حقيقة وجود يهود مؤمنين بالمسيح ضمنها، لكنّه يصرّح فقط بأنّ الصفة الغالبة للكنيسة هي أنّ شعبها مدعوّ من الأمم على اسم المسيح. وفي أعمال الرسل ١٥: ١٤ يثبّت يعقوب هذا الأمر على أنّه قصد الله الرئيسيّ في الزمن الحاضر.

ك. مثل الشبكة (١٣: ٤٧-٥٠)

١٣: ٤٧، ٤٨ في المثل الأخير من السلسلة، يُشبّه الملكوت **بشبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع من السمك**، وعندما صنّف الصيّادون السمك **جمعوا الجياد إلى أوعية وأما الأردياء فطرحوها خارجًا**.

١٣: ٤٩، ٥٠ ويفسّر الرب المثل فيقول إنّ الزمن هو **انقضاء العالم**، أي نهاية زمن الضيقة العظيمة، وهو وقت المجيء الثاني للمسيح. والصيّادون هم **الملائكة**، والسمك الجيّد هو الأبرار، أي المخلّصون من اليهود والأمم معًا. والسمك الرديء هو **الأشرار**، أي غير المؤمنين من كل الأجناس. وهنا يحدث الفصل كما رأينا في مثل الحنطة والزوان (الأعداد ٢٤-٣٠؛ ٣٧-٤٣). فالأبرار يدخلون ملكوت أبيهم، بينما يُلقَى الأشرار في مكان النار حيث **البكاء وصرير الأسنان**. ولكن هذه ليست الدينونة النهائية بعد، فهذا الحكم يحدث في مستهلّ الملك الألفيّ، أما الحكم النهائيّ فيحدث بعد انقضاء الألف السنة (رؤ ٢٠: ٧-١٥).

ويعلّق جابلين *Gaebelein* على هذا المثل فيقول:

> لقد طُرحت الشبكة في البحر الذي يمثّل الأمم كما رأينا سابقًا. ويشير المثل إلى التبشير بالبشارة الأبديّة، كما سيحدث في أثناء الضيقة العظيمة (رؤ ١٤: ٦، ٧). عزل الجياد عن الأردياء أمر ستقوم به الملائكة. وهذا كلّه لا يمكن أن يشير إلى الوقت الحاضر ولا إلى الكنيسة، ولكن إلى الوقت الذي يُقام فيه الملكوت. وعندئذ تُستخدَم الملائكة، كما يظهر بوضوح في سفر الرؤيا. وسيُلقى الأشرار في أتون النار، وسيبقى الأبرار في الأرض للملك الألفيّ.

ل. كنز الحقل (١٣: ٥١، ٥٢)

١٣: ٥١ وعندما انتهى السيّد المعلّم من الأمثال، سأل تلاميذه هل فهموا، فأجابوا: «نعم». وربّما أدهشنا هذا، أو حتى جعلنا نغار منهم قليلاً. فربّما لا نستطيع أن نجيب بنعم بمثل هذه الثقة.

١٣: ٥٢ ولأنهم فهموا كان عليهم أن يُفيدوا الآخرين. فينبغي أن يكون التلاميذ قنوات للبركة وليس نهايات لها. فقد أصبح الاثنا عشر الآن كتبة مدرّبين في ملكوت السماوات، أي معلّمين للحق ومفسّرين له. كانوا مثل ربّ البيت الذي يخرج من كنزه جُددًا وعتقاء. فقد كان عندهم مستودع غنيّ في العهد القديم، مما يمكن أن ندعوه بالحقّ القديم. وقد أخذوا من تعليم المسيح للأمثال ما هو جديد بكل ما في الكلمة من معنى. فصار عليهم أن ينقلوا هذا الحق المجيد من مستودع المعرفة الشاسع إلى الآخرين.

م. رفض يسوع في الناصرة (١٣: ٥٣-٥٨)

١٣: ٥٣-٥٦ ولما أكمل يسوع هذه الأمثال، ترك شواطئ الجليل وذهب إلى الناصرة في آخر زيارة له هناك. ولما كان **يعلّمهم في مجمعهم، بُهتوا** من حكمته ومعجزاته الشائعة. وهو لم يكن بالنسبة لهم سوى ابن النجّار. فقد عرفوا أنّ **أمّه تُدعَى مريم... وأنّ إخوته يعقوب، ويوسي، وسمعان، ويهوذا...** وأنّ **أخواته** كنّ يعشن هناك في الناصرة! فكيف يقدر واحد من أبناء بلدهم أن يتكلّم هكذا، ويعمل تلك الأمور التي أصبح مشهورًا بسببها؟ كان ذلك يحيّرهم، ووجدوا أنّ تمسّكهم بجهلهم، أيسر عليهم من معرفة الحق.

١٣: ٥٧، ٥٨ هكذا كانوا يعثرون به. وهذا ما جعل يسوع يبيّن لهم أن كرامة النبيّ الحقيقي تأتي بوجه عام بعيدًا عن وطنه. فإن أهل منطقته وأقرباءه المقرّبين سمحوا لألفتهم أن تنتج عداوة. فلقد أعاق عدم الإيمان عمل المخلّص في الناصرة على نطاق كبير، فشفى مرضى قليلين هناك (مر٦: ٥). ولم يكن ذلك لأنه لم يستطع أن يعمل الأعمال، فإنّ شرّ الإنسان لا يستطيع أن يمنع قوّة الله من العمل. لكنّه لم يرد أن يبارك شعبًا لا يرغب في الحصول على البركة، ولا أن يلبّي احتياجات من ليس عندهم شعور بالحاجة، ولا أن يشفي أناسًا استاؤوا ممن أخبرهم بأنّهم مرضى.

٩- نعمة المسيح التي لا تكلّ تُقابَل بالعداء المتزايد (١٤: ١-١٦: ١٢)

أ. قطع رأس يوحنا المعمدان (١٤: ١-١٢)

١٤: ١، ٢ وصلت أخبار خدمة يسوع إلى مسامع هيرودس رئيس الربع، وهو الابن السيئ السمعة لهيرودس الكبير، وقد كان معروفًا أيضًا بهيرودس أنتيباس، وهو الذي أمر بإعدام يوحنا المعمدان. فلما سمع عن معجزات المسيح بدأ ضميره يبكّته، فقد كانت ذكرى النبيّ الذي قطع رأسه ماثلة أمامه دائمًا. فقال لغلمانه: «**هذا هو يوحنا المعمدان. قد قام من الأموات ولذلك تُعمَل به القوّات**».

١٤: ٣ ونجد في الأعداد ٣-١٢ ما هو معروف في أدب الكتابة بالالتفاف الأدبيّ، إذ يقطع متى سرد القصّة ليراجع الظروف التي أحاطت بموت يوحنا.

١٤: ٤، ٥ كان هيرودس قد هجر امرأته، وكان يعيش في علاقة زنى وفجور مع **هيروديّا** امرأة فيلبس أخيه.

ولم يستطيع يوحنا، كنبي من الله، أن يدع هذا الأمر يمر دون انتهار. فأشار بإصبعه إلى هيرودس بسخط وجسارة، وشجب فجوره.

للذلك غضب الملك جدًّا بما يكفي لقتل يوحنا. ولكنّ ذلك لم يكن مناسبًا من الناحية السياسيّة، فقد كان الشعب ينظر إلى يوحنا كنبيّ، وكان من الممكن أن يقاوم، وربّما بعنف، مسألة إعدام يوحنا. لذلك فقد شفى الطاغية غليله إلى لحظة، بوضع المعمدان في السجن. "إنّ الأشرار يحبّون الديانة بالطريقة نفسها التي يحبون بها الأسود، فإما أن تكون ميته وإمّا وراء القضبان؛ وهم يخشون الديانة عندما تقطع الربط وتبتدئ بتحدّي ضميرهم".

١٤: ٦ـ١١ سرّت ابنة هيروديّا الملك هيرودس برقصها في يوم ميلاده، حتى أنّه وعدها، بتهوّر، أن يعطيها أيّ شيء أرادته. وإذ لقّنتها أمّها الشهوانية الوحشية، طلبت بطريقة وقحة، **رأس يوحنا المعمدان**... **على طبق!** وكان غضب الملك على يوحنا قد خمد بعض الشيء في ذلك الوقت؛ ولربما أُعجِب بالنبيّ لشجاعته واستقامته. ولكنّه على الرغم من أنه كان متأسّفًا، شعر بأن عليه أن يحقّق وعده. وصدر الأمر، وقُطِع رأس يوحنا، ومُنِحت الفتاة الراقصة طلبها الشنيع.

١٤: ١٢ لقد عمل تلاميذ يوحنا دفنًا مهوبًا لجسد معلّمهم، **ثمّ أتوا وأخبروا يسوع**. لم يستطيعوا أن يذهبوا إلى من هو أفضل ليصبّوا عنده حزنهم وسخطهم. ولا استطاعوا أن يتركوا لنا مثلاً أفضل من ذلك. فعلينا نحن أيضًا في أوقات الاضطهاد والظلم والمعاناة والأسى أن نأتي إلى يسوع ونخبره بها. أما بالنسبة إلى هيرودس، فإنّ جريمته انتهت، ولكنّ ذكراها باقية أبدًا. فعندما سمع بنشاطات يسوع، عادت القصة المحزنة بكاملها تتردّد عليه على نحو مستمر مزعج.

ب. إشباع الخمسة الآلاف (١٤: ١٣ـ٢١)

١٤: ١٣، ١٤ وعندما سمع يسوع أنّ هيرودس اضطرب بسبب معجزاته الشائعة، **انصرف من هناك في سفينة إلى** موضع خلاء على بحر الجليل. ويمكننا أن نتأكّد من أنّه لم يذهب بسبب الخوف، فهو يعلم أنّه لا يمكن أن يحدث له شيء قبل أن تأتي ساعته. لكننا لا نعلم السبب الرئيسي الذي من أجله انصرف، مع أنّه يوجد سبب أقلّ وهو أنّ تلاميذه رجعوا لتوّهم من إرساليّتهم التبشيريّة (مر٦: ٣٠؛ لو٩: ١٠)، وكانوا في حاجة إلى فترة هدوء وراحة.

ومع ذلك اجتمعت الجموع من المدن، **وتبعوه مشاة**. ولما ذهب إلى شاطئ البحر كانوا ينتظرونه، فبدأ رُبّنا الشفوق يعمل في الحال، **وشفى مرضاهم** لأنّه كان أبعد من أن يتضايق بسبب اقتحامهم.

١٤: ١٥ ولما صار المساء، أي بعد الساعة الثالثة بعد الظهر، شعر تلاميذه بأنّ أزمة ما سوف تحدث. فقد كان هناك شعب غفير، ولا شيء لهم ليأكلوا. فطلبوا إلى يسوع أن يصرف الناس إلى القرى، حيث يستطيعون الحصول على طعام. كم كانت معرفتهم بقلب المسيح ضعيفة، وإدراكهم لقوّته ضئيلاً!

١٤: ١٦ـ١٨ ولكنّ الرب أكّد لهم أنّه **لا حاجة لهم** إلى ذلك. فلماذا يترك الشعب ذاك الذي يفتح يده فيشبع كل حيّ؟ عندئذ فاجأ تلاميذه بقوله لهم: «**أعطوهم أنتم ليأكلوا**»، فاندهشوا إذ من أين يعطونهم ليأكلوا؟ وقالوا: «**ليس عندنا ههنا إلاّ خمسة أرغفة وسمكتان**». وكانوا قد

نسوا أنّ عندهم يسوع أيضًا. فقال لهم يسوع بطول أناة، «**ائتوني بها إلى هنا**». واقتصر دورهم على هذا فقط.

١٤: ١٩ـ٢١ وبإمكاننا أن نتخيّل الرب وهو يوجّه **الجموع للاتكاء على العشب**. من ثمّ يأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ويشكر ويكسر ويعطي التلاميذ للتوزيع. كان هناك ما يكفي ويفيض. فلمّا شبع الجميع، جمع التلاميذ **اثنتي عشرة قفّة مملوءة** مما تبقى. وكان ما تبقّى بعدما انتهى يسوع أكثر مما كان عندما ابتدأ. ومما يدعو للعجب أنّه كان يوجد سلّة لكلّ واحد من التلاميذ القليلي الإيمان. وكان عدد الآكلين بين ١٠ آلاف و١٥ ألفًا (٥ آلاف رجل غير النساء والأطفال).

وتعتبر هذه المعجزة درسًا روحيًا للتلاميذ عبر الأجيال. فإنّ الجموع الجائعة حاضرة دائمًا. وهناك دائمًا مجموعة من التلاميذ عندها موارد تبدو ضئيلة. ثمّ هناك دائمًا المخلّص الشفوق الرحوم. لكن عندما يكون التلاميذ مستعدّين لتسليمه كل ما عندهم مهما كان صغيرًا، فهو سيضاعفه ليطعم الآلاف. وأمّا الفرق البديهي فهو أنّ **الخمسة آلاف** رجل الذين أكلوا في الجليل أشبعوا جوعهم لوقت قصير، وأمّا أولئك الذين يشبعون بالمسيح الحيّ فسيشبعون إلى الأبد (انظر يوحنا ٦: ٣٥).

ج. *يسوع يمشي على البحر* (١٤: ٢٢ـ٣٣)

لقد أكّدت المعجزة السابقة للتلاميذ أنّهم كانوا يتبعون الذي يستطيع أن يزوّدهم بالوفرة لسدّ احتياجاتهم. والآن تعلّموا أنّ ذلك الشخص، يستطيع أن يحميهم ويقوّيهم أيضًا.

١٤: ٢٢، ٢٣ وبينما كان **يسوع** يصرف الجموع، قال لتلاميذه أن **يدخلوا السفينة ويسبقوه** إلى الجانب الآخر من البحيرة. **ثمّ صعد إلى الجبل ليصلّي. ولمّا صار المساء**، أي بعد الغروب، **كان هناك وحده**. (كان يوجد «عشاءان» أو «مساءان» بحسب الحساب اليهودي الأوّل مشار إليه في عدد ١٥، ويبتدئ في منتصف العصر، والآخر مشار إليه هنا وهو عند الغروب).

١٤: ٢٤ـ٢٧ أثناء ذلك، كانت **السفينة** قد ابتعدت عن الشاطئ، **وصارت في وسط البحر معذّبة من الأمواج**. ولما كانت الأمواج تضرب السفينة، رأى يسوع المأزق الذي كان التلاميذ فيه. فذهب إليهم **في الهزيع الرابع من الليل** (بين الثالثة والسادسة صباحًا)، **ماشيًا على البحر**. فلما ظنّ التلاميذ **أنّه خيال** ذُعروا. ولكنّهم سمعوا للتوّ صوت سيّدهم وصديقهم، يعيد طمأنينتهم قائلاً: «**تشجعوا، أنا هو، لا تخافوا**».

وكم يصحّ هذا على اختبارنا الشخصي! فإننا كثيرًا ما تصدمنا الرياح، ونتحيّر ويصيبنا اليأس والفشل. وقد يبدو لنا المخلّص بعيدًا، لكنّه يصلّي من أجلنا كل الوقت. وعندما يبدو الليل حالكًا، فهو يكون قريبًا جدًّا منّا. وكثيرًا ما نخطئه في ذلك الوقت ونضغط زر الذعر والخوف؛ وعندئذ نسمع صوته المعزّي، ونتذكّر أنّ الأمواج التي تسبّبت في إزعاجنا هي تحت قدميه.

١٤: ٢٨ لمّا سمع بطرس ذلك الصوت المعروف عنده والمحبّب لقلبه، تحرّكت مشاعره وتدفّقت حماسته، فقال له: «**يا سيّد، إن كنت أنت هو فمُرني أن آتي إليك على الماء**». ومع أنّ بطرس قال: «إنْ» علامة على إيمانه القليل، نرى في طلبه الجريء علامة على ثقته العظيمة

بالرب. فلقد كان بطرس يشعر بأنّ أوامر يسوع، تمنح القدرة لكلّ ما يأمر به.

١٤: ٢٩-٣٣ وحالما قال يسوع: «**تعال**» **قفز بطرس** من السفينة وابتدأ يمشي إليه. وما دامت عيناه على يسوع، كان قادرًا أن يفعل المستحيل؛ ولكن منذ اللحظة التي صار فيها منشغلاً بالريح الشديدة، ابتدأ يغرق. فصرخ بذعر شديد: «**يا رب نجني!**» فمدّ يسوع يده وأمسك به، وعاتبه بلطف على قلّة إيمانه وادخله إلى السفينة. وحالما دخل يسوع السفينة، **سكنت الريح**، وصار اجتماع عبادة في السفينة مع التلاميذ الذين قالوا ليسوع: «**بالحقيقة أنت ابن الله**».

إنّ الحياة المسيحيّة، نظير المشي على الماء، مستحيلة بشريًّا. ولكن يمكن أن نحياها بقوّة الروح القدس. فطالما ننظر إلى يسوع فقط بعيدًا عن أيّ شيء آخر (عب١٢: ٢)، فإننا نستطيع أن نختبر حياة خارقة للطبيعة. ولكننا في اللحظة التي ننشغل فيها بنفوسنا أو بالظروف التي تمرّ فيها، نبتدئ نغرق، فعندئذٍ علينا أن نصرخ إلى المسيح ليردّنا ويقوينا روحيًّا.

د. *يسوع يشفي في جنيسارت* (١٤: ٣٤-٣٦)

رست السفينة عند **جنيسارت**، إلى الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل. وحالما عرف الشعب مكان يسوع طافوا بالمنطقة **وأحضروا إليه جميع المرضى لكي يلمسوا هدب ثوبه فقط؛ وجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء**. وبذلك أخذ كل أطبّاء المنطقة إجازة من عملهم. ولفترة قصيرة على الأقلّ لم يعد هناك مرضى. فقد اختبرت المنطقة كلّها الصحّة والشفاء بزيارة الطبيب العظيم لها.

هـ. *النجاسة هي من الداخل* (١٥: ١-٢٠)

كثيرًا ما يُشار إلى أنّ متّى لا يتبع ترتيبًا زمنيًّا في الأصحاحات الأولى. ولكن من الأصحاح ١٤ حتى النهاية تُقدَّم الأحداث بقدر كبير من التتابع الزمني.

وفي الأصحاح ١٥، يظهر ترتيب موافق للتدابير الإلهيّة. فأوّلاً، المحاحكة المستمرّة والمضايقة من قبل الفريسيين والكتبة (ع١-٢٠) تشيران مسبقًا إلى رفض المسيّا. ثانيًا، إيمان المرأة الكنعانيّة (ع٢١-٢٨) يصوّر خروج الإنجيل إلى الأمم في العصر الحاضر. وأخيرًا شفاء الجموع الغفيرة (ع٢٩-٣١) وإشباع الأربعة آلاف (ع٣٢-٣٩) يشيران إلى العصر الألفي القادم بما فيه من صحة وازدهار على مستوى العالم.

١٥: ١، ٢ كان الكتبة والفريسيّون صارمين في اجتهادهم لاصطياد المخلّص. فجاء وفد مفوّض منهم **من أورشليم**، يتّهمون تلاميذه بالنجاسة، لأكلهم بأيدٍ غير مغسولة، متعدّين بذلك تقليد الشيوخ. يجب أن نفهم ما تشير إليه الكلمة "طاهر" والكلمة "نجس" لكي نقدِّر هذه الواقعة، وعلينا أيضًا أن نعرف ما قصده الفريسيون بالغسل. إنّ المفهوم الكامل للتعبيرين، طاهر ونجس، يرجع إلى العهد القديم. والنجاسة التي اتُّهم بها التلاميذ كانت أمرًا طقسيًّا بكلّ ما في الكلمة من معنى. فإذا لمس إنسان جسدًا ميتًا مثلاً، أو أكل أشياء معيّنة فقد تنجّس بحسب الشريعة، وصار غير مؤهّل للعبادة طقسيًّا. وقبل أن يقترب من الله، يتطلّب منه الناموس أن يمارس فريضة للتطهير.

ولكنّ الشيوخ كانوا قد أضافوا التقاليد إلى طقوس التطهير. فعلى سبيل المثل أصرّوا على أنّ

اليهوديّ يجب أن يغسل يديه قبل الأكل متّبعًا عمليّة معقّدة للتطهير. فهو لا يغسل يديه فقط، بل أيضًا الذراعين حتى المرفق. أما إذا كان راجعًا من السوق، فيفرض عليه أن يستحمّ حسب الطقوس. هكذا انتقد الفريسيون التلاميذ لفشلهم في حفظ الأمور المعقّدة المتعلّقة بالغسل والموصوفة في التقليد اليهودي.

١٥: ٣ـ٦ ذكّر الرب يسوع منتقدية بأنهم تعدّوا وصيّة الله بسبب تقليد الشيوخ. ذلك لأنّ الناموس أوصى الناس أن يكرموا والديهم، بما في ذلك دعمهم ماديًّا إذا تطلّب الأمر. ولكنّ الكتبة والفريسيين (وآخرين كثيرين) لم يريدوا أن ينفقوا مالاً لإعانة والديهم المسنّين، لذلك اخترعوا تقليدًا به يتجنّبون أن يتحمّلوا مسؤوليتهم هذه فعندما يسألهم والدوهم المساعدة، كانوا يتلون عليهم ببساطة كلمات مثل هذه: "كلّ ما عندي من مال يمكن أن أعولكما به قد كُرِّس لله، ولذلك لا أستطيع أن أقدّمه لكما"، وبتلاوتهم لهذه الكلمات يحرّرون أنفسهم من المسؤوليّة الماليّة نحو والديهم. فقد أبطلوا باتباعهم لهذا التقليد الملتوي كلمة الله التي أوصتهم بالعناية بوالديهم.

١٥: ٧ـ٩ لقد حقّقوا بواسطة تحريفهم الخدّاع للكلام نبوّة إشعياء ٢٩: ١٣. إذ كانوا يُكرمون الله بشفاههم، ولكن قلبهم كان مبتعدًا عنه بعيدًا. فلم تكن عبادتهم ذات قيمة لأنّهم أعطوا الأولوية الكبرى لتقاليد الناس عوضًا عن كلمة الله.

١٥: ١٠، ١١ وإذ تحوّل يسوع إلى الجمع، تفوّه بكلمات ذات دلالة عظيمة، فأعلن أنّه ليس ما يدخل الفم ينجّس الإنسان بل الذي يخرج منه. وقليلاً ما نقدّر الصفة الثوريّة التي ينطوي عليها هذا التصريح. فبحسب أنظمة اللاويين، كان ممكنًا للإنسان أن يتنجّس عن طريق ما يدخل الفم. كان محرّمًا على اليهود أن يأكلوا لحم حيوان لا يجترّ ولا يشقّ ظلفًا. وكان محرّمًا عليهم أن يأكلوا سمكًا ليس له زعانف وحراشف. فلقد أعطى الله تعليمات تفصيليّة عن أنواع الطعام الطاهرة والنجسة.

وبهذا مهّد معطي الشريعة الطريق لإبطال كل النظام الخاص بالنجاسة الطقسيّة. فقال إنّ الطعام الذي أكله تلاميذه بأيد غير مغسولة، لم ينجّسهم، ولكنّ رياء الكتبة والفريسيين كان مصدر النجاسة الحقيقيّة.

١٥: ١٢ـ١٤ ولما أخبر التلاميذ يسوع أن **الفريسيين نفروا بسبب شجبه لهم**، أجابهم مشبّهًا إيّاهم بغرس **لم يغرسه الآب السماوي**. فقد كانوا زوانًا لا حنطة. وسوف يُقتلعون هم وتعليمهم في آخر الأمر، بمعنى أنّهم سوف يهلكون. ثمّ أضاف قائلاً: «**اتركوهم. هم عميان قادة عميان**». ومع أنّهم كانوا يصرّحون بأنّهم مراجع في الأمور الروحيّة، فقد كانوا عميانًا من جهة الحقائق الروحيّة، كما كان الشعب الذي يقودونه. لذلك كان لا بُدّ لهم أن يسقطوا، القادة والأتباع جميعًا، في حفرة.

١٥: ١٥ لا شكّ أنّ التلاميذ اهتزّوا لهذا التعليم الذي يقلب كل ما كانوا قد تعلّموه عن الأطعمة الطاهرة والنجسة. وكان ذلك بمثابة مثل لهم، أي أنّه كان قصة غامضة ومبهمة، وقد عبّر بطرس عن تساؤلاتهم عندما طلب تفسيرًا.

١٥: ١٦، ١٧ تعجّب الرب في البداية من بطء فهمهم، ثمّ شرح لهم أنّ النجاسة الحقيقيّة هي أخلاقيّة، وليست

جسديّة. فإنّ الأطعمة الصالحة للأكل ليست في ذاتها طاهرة أو نجسة. ففي الحقيقة، ليس شيء مادّي رديئًا في ذاته، ولكن سوء استخدام الشيء هو الخطأ. فالطعام الذي يأكله الإنسان **يدخل الفم، ويمضي إلى الجوف لهضمه**، ثمّ إنّ الفضلات التي لم تُمتَصّ بعد الهضم، تُطرَد من الجسم. فكيانه الأخلاقي لا يتأثّر بشيء، بل جسده فقط. ونحن نعرف اليوم أنّ: «كلّ خليقة الله جيّدة، ولا يُرفَض شيء إذا أُخِذ مع الشكر، لأنّه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة» (١تي٤: ٤، ٥). لا تتحدّث هذه الفقرة عن النباتات السامّة طبعًا، بل عن الطعام المعيّن من الله للاستهلاك البشريّ، فالكل جيّد ويجب أن يُتناول بالشكر. أمّا إذا كان شخص ما حسّاسًا لأنواع معيّنة من الأطعمة، أو لا يتقبّل بعضها، فلا يأكل منها، ولكننا على وجه العموم نستطيع أن نأكل كُلّ ما يؤكل، ولنا التأكيد أنّ الله يستخدم الطعام لتغذيتنا جسديًّا.

١٥: ١٨ فإذا كان الطعام لا ينجّس، فما الذي ينجّس إذًا؟ أجاب يسوع: «**ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذاك ينجّس الإنسان**». **والقلب هنا**، ليس هو العضو الذي يضخّ الدم، بل هو المصدر الفاسد للدوافع والرغبات البشريّة. وهذا الجزء من طبيعة الإنسان الأخلاقيّة، يُظهِر نفسه بواسطة أفكار نجسة، ثمّ بكلمات فاسدة، وأيضًا بأفعال شرّيرة.

١٥: ١٩، ٢٠ إنّ بعض الأشياء التي تنجّس الإنسان **هي الأفكار الشريرة، القتل، الزنى، الفسق، السرقة، شهادة الزور، والتجديف** (والكلمة اليونانية للتجديف تتضمّن تشويه سمعة الآخرين).

لقد كان الفرّيسيّون والكتبة مهتمّين إلى حد بعيد بالمحافظة على طقوس غسل الأيدي بتفاخر وعناية مترفة. ولكنّ حياتهم الداخليّة كانت ملوّثة. فقد كانوا يكبّرون الصغائر ويتغاضون عن الأمور ذات الأهمية الحقيقيّة. كان بإمكانهم أن ينتقدوا التلاميذ لعدم حفاظهم على التقاليد البشريّة، وفي الوقت ذاته يخطّطون لقتل ابن الله محمّلين أنفسهم ذنب كل الخطايا المذكورة في العدد ١٩.

و. أمميّة تأخذ بركة من أجل إيمانها (١٥: ٢١ـ٢٨)

١٥: ٢١، ٢٢ انصرف يسوع إلى نواحي صور وصيداء على شاطئ البحر المتوسّط. وعلى حد علمنا كانت هذه هي المرّة الوحيدة في خدمته العلنية، التي ذهب فيها إلى خارج المنطقة اليهودية. وهنا في فينيقية، طلبت منه **امرأة كنعانيّة** أن يشفي ابنتها التي كانت مسكونة بروح شرير.

ومن الضروري أن ندرك أنّ هذه المرأة لم تكن يهودية بل أمميّة. فلقد كانت من نسل الكنعانيّين القدامى الذين يُعرفون بانحطاطهم الخلقي، وكان الرب قد أفردهم للانقراض. لكنّ بعضهم بقي على قيد الحياة في أثناء غزو يشوع لكنعان، وذلك بسبب عصيان الشعب القديم. وهذه المرأة هي من نسل أولئك الناجين. ولمّا كانت أمميّة، فلم تكن تتمتع بالامتيازات التي كانت لشعب الله المختار أرضيًّا، بل كانت غريبة وبلا رجاء. وبحسب مركزها هذا، لم يكن لها أي حق في الاقتراب إلى الله أو مسيحه.

وفي حديثها مع يسوع، خاطبته قائلة: «**يا سيّد يا ابن داود**»، معطية إياه اللقب الذي استخدمه اليهود في حديثهم عن المسيّا. ومع أنّ يسوع كان ابن داود، فإن

الأمي لم يكن له حقّ الاقتراب منه على هذا الأساس. ولذلك لم يجبها في بادئ الأمر.

١٥: ٢٣ فتقدّم تلاميذه وطلبوا إليه أن يصرفها، لأنها كانت بالنسبة إليهم مصدر إزعاج. أما بالنسبة إليه، فقد كانت مثلاً حيًّا للإيمان، وإناءً تتألّق فيه نعمة المسيح. لكن كان عليه أولاً أن يختبر إيمانها ويثقّفه.

١٥: ٢٤، ٢٥ لقد ذكّرها الرب بأنّه **أُرسل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**، وليس إلى الأمم، وبالتأكيد ليس إلى الكنعانيين. فكانت منزعجة من رفضه الواضح. وإذ تركت لقب **ابن داود** جانبًا جاءت وسجدت له قائلة، «**يا سيّد أعنّي**». فعندما لم تستطيع أن تأتي إليه كيهودية آتية إلى مسيّاها، أتت إليه كمخلوقة تتوجّه إلى خالقها.

١٥: ٢٦ ولكي يمتحن عمق إيمان المرأة، قال لها: «**ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب**». وإن كان هذا يبدو مزعجًا ومؤلمًا بالنسبة لنا، فعلينا أن نتذكّر أنّه كان مثل مشرط الجرّاح الذي لم يكن يقصد منه الأذى بل الشفاء. فقد كانت المرأة أمميّة، وكان اليهود ينظرون إلى الأمم كالكلاب القمّامة التي تطوف الشوارع من أجل فضلات الطعام. ومع ذلك فإنّ يسوع استعمل كلمةً تعبّر عن كلاب صغيرة أليفة. وكان السؤال: هل كانت تعترف بعدم استحقاقها لنوال أبسط مراحمه؟

١٥: ٢٧ كان جوابها عظيمًا، فلقد وافقت على وصفه لها تمامًا. وإذ أخذت مكان الأمميّة غير المستحقّة، ألقت بنفسها على رحمته ومحبّته ونعمته. وكأنها قالت له: "أنت على حق، فأنا واحدة من تلك **الكلاب الصغيرة** تحت المائدة. ولكنّي ألاحظ أنّ الفتات **يسقط** أحيانًا من على المائدة إلى الأرض. أفلا تسمح لي بأن آخذ من هذا الفتات المتساقط. أنا لست مستحقّة لأن تشفي ابنتي، ولكنّي أطلب إليك أن تفعل ذلك لواحدة من خلائقك غير المستحقين".

١٥: ٢٨ فمدحها يسوع من أجل إيمانها العظيم. وبينما لا نجد عند الأولاد جوعًا للخبز لعدم إيمانهم، نرى هنا امرأة معترفة بأنّها من الكلاب تصرخ طالبة إياه. ولقد كافأ الرب إيمانها، فشُفيت ابنتها في الحال. هذا وإنّ كون الرب يسوع قد شفى الابنة الأمميّة عن بُعد يصوّر لنا خدمته الحاضرة عن يمين الله وهو يُنعم بالشفاء الروحي على الأمم في أثناء هذا الدهر، في حين أن الشعب القديم مُنَحّى جانبًا كأمّة.

ز. *يسوع يشفي الجموع الكثيرة* (١٥: ٢٩ـ٣١)

نعلم من مرقس ٧: ٣١ أنّ الرب يسوع ترك صور وسافر شمالاً إلى صيداء، ثمّ شرقًا عبر الأردن، وجنوبًا في وسط المدن العشر. وهناك قرب بحر الجليل، شفي العرج والعمي والخرس، وآخرون كثيرون، والجموع المندهشة مجّدت **إله إسرائيل**. والظنّ كبير بأنّ هذه كانت منطقة أمميّة. فقد استنتج الشعب بشكل صحيح، إذ ربطوا يسوع وتلاميذه بإسرائيل، أنّ **إله إسرائيل** كان يعمل في وسطهم.

ح. *إشباع الأربعة الآلاف* (١٥: ٣٢ـ٣٩)

١٥: ٣٢ إنّ بعض الذين لا يقرأون بانتباه (أو المنتقدين) يخلطون بين هذه الحادثة وإشباع الخمسة الآلاف،

وهكذا يتّهمون الكتاب المقدّس بالتكرار، والتناقض وخطأ الحساب. والحقيقة هي أن الحادثتين مختلفتان وتكمّل إحداهما الأخرى عوضًا عن التناقض.

بعد ثلاثة أيام مع الرب، نفد الطعام من عند **الجمع**. ولم يرد أن يصرفهم جائعين، **لئلاّ يخوّروا في الطريق**.

١٥: ٣٣، ٣٤ ومرّة ثانية تحيّر تلاميذه أمام المهمّة المستحيلة التي تقضي بإشباع جمع كهذا؛ ففي هذه المرّة لم يكن لديهم سوى سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك.

١٥: ٣٥، ٣٦ وكما في حالة الخمسة الآلاف، فقد أتكأ يسوع الشعب، **وشكر وكسر** الأرغفة والسمك وأعطى التلاميذ للتوزيع. وهو يتوقّع من تلاميذه أن يفعلوا ما باستطاعتهم، ومن ثمّ يتدخّل هو ليفعل ما لا يقدرون هم عليه.

١٥: ٣٧-٣٩ وبعدما أكل **الجميع وشبعوا** كان هناك **سبعة سلال من الكسر**. وكان عدد الآكلين **أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد**.

سنرى في الأصحاح التالي أنّ أعداد الجموع في معجزتي الإشباع لها مدلولها الخاص (١٦: ٨-١٢). فكلّ تفصيل في قصّة الكتاب محمّل بالمعنى. وبعدما **صرف الرب الجموع**، ذهب في **السفينة إلى تخوم مجدل** على الشاطئ الغربي لبحر الجليل.

ط. *خمير الفرّيسيين والصدّوقيّين* (١٦: ١-١٢)

١٦: ١ اتّبع الفرّيسيّون والصدّوقيّون منهجين تعليميّين احتلاّ طرفي النقيض، وكانا بذلك مصدر صراع في العقائد اللاّهوتيّة بين الفريقين. لكن سرعان ما كانت العداوة المستحكمة بينهما تتلاشى ليحلّ مكانها التعاون في ضوء الهدف المشترك في النّيل من المخلّص. فها هم يسألونه آية من السماء محاولين استدراجه إلى مساومة معيّنة. ولربّما كانوا يريدون التلميح إلى مصدر آخر للآية التي سبق فصنعها. أو أنّهم كانوا يطلبون آية يجريها في نطاق السّماء، فلمّا كان قد صنع كل معجزاته على الأرض، أفلعلّه يستطيع ممارسة المعجزات الفلكيّة؟

١٦: ٢، ٣ وينطلق الربّ في إجابته لهم من موضوع السّماء الذي طرحوه، فيسألهم عن تفسيراتهم للتغيّرات الجوّية. فعندما كانوا يرون السماء **محمرّة** في العشيّة كانوا يبشّرون بطقس جيّد لليوم التالي. أمّا عندما كانوا ينظرون إلى السماء وقد احمرّت **بعبوسة** عند الصباح فكانوا يتوقّعون يومًا عاصفًا. فقد كانت لديهم الخبرة الكافية لتفسير التقلّبات في السّماء، أمّا علامات الأزمنة فلم يستطيعوا تفسيرها.

لكن ما هي علامات الأزمنة تلك؟ أولاً، لقد ظهر النبيّ الذي بشّر بمجيء المسيّا في شخص يوحنّا المعمدان. ثمّ تحقّقت في وسطهم معجزات المسيّا المتنبّأ عنها في القديم والتي لم يستطيع إنسان آخر أن يصنعها. كما أنّ رفض اليهود المتصاعد للمسيح، وانتقال بشارة الإنجيل بالتّالي إلى الأمم تتمّة للنبوات، علامة أخرى من علامات الأزمنة. لكن على الرّغم من هذه الأدلّة كلّها لم يكن لدى هؤلاء قدرة على تمييز التاريخ وهو يتحقّق أمامهم والنبوّات وهي تتمّ في وسطهم.

١٦: ٤ لقد أظهر الفريسيّون والصدّوقيّون أنّهم جيل

شرّير وفاسق روحيًّا إذ طلبوا من الربّ آيةً في الوقت الذي كان هو بذاته قائمًا في وسطهم. وهكذا فلن تُعطى لهم آية إلاّ آيه يونان النبيّ. ويشير ذلك، كما سبق ذكره فيشرح الآية ١٢: ٣٩، إلى قيامة المسيح من الموت في اليوم الثالث. فالجيل الفاسق الشرّير سيصلب مسيحه لكّن الله سيقيمه من الموت. وهذه علامة على دينونة الذين رفضوا الخضوع له كملك شرعي. وينهي متّى هذا المقطع بالكلمات المروّعة التالية، «**ثمّ تركهم ومضى**». ولا يخفى على أحد ما تعكسه هذه الكلمات من عِبر روحيّة.

١٦: ٥، ٦ ولمّا انطلق التلاميذ لملاقاة الربّ في الطرف الشرقي للبحيرة، **نسوا أن يأخذوا معهم خبزًا**. لذلك أساؤا فهم الربّ عندما تحدّث إليهم محذّرًا إيّاهم من خمير الفرّيسيّين والصدّوقيّين، فظنّوه يقول لهم: "لا تذهبوا إلى قادة اليهود من أجل تزويدكم بالطعام"! فانشغالهم بمسألة الطعام جعلهم يتطلّعون إلى تفسير حرفي ومادّي للكلمات التي قصد بها الربّ درسًا روحيًّا لهم.

١٦: ٧ـ١٠ استمرّ التلاميذ في قلقهم على نقص الطّعام عندهم مع أنّ الذي أشبع خمسة الآلاف وأربعة الآلاف كان يسير معهم. وهكذا اضطر الربّ إلى مراجعة معجزتي الإشباع معهم. أمّا الدّرس الذي أراد أن يعلّمهم إيّاه عن حسابات الله وموارده فهو أنّه كلّما قلّت الموارد التي في حوزة المسيح كلّما ازداد عدد الّذين أشبعهم، وازدادت بالتّالي كميّة الطّعام الفاضل عنهم. فعندما لم يكن عنده إلاّ خمسة أرغفة وسمكتين، أشبع خمسة آلاف رجل وفضل عنهم اثنتا عشرة قفّة من الطّعام. ولمّا كان لديه كميّة أكبر من الأرغفة والسمك، أشبع أربعة آلاف رجل وفضل عنهم سبعه سلال من الطّعام. فعندما نضع مواردنا القليلة بتصرّفه فهو بمقدوره مضاعفتها باطّراد عكسيّ لكميّتها: "فالقليل يزداد جدًّا إذا كان الله داخلاً في الحساب".

وقد أُشير أحيانًا إلى استعمال كلمتين مختلفتين هُما «القُفّة» و «السلّ» في حادثتي إشباع الخمسة الآلاف ثم الأربعة الآلاف. وكانت القُفّة صغيرة والسلّ كبيرًا. فالسلال السبعة في هذه الواقعة احتوت على كميّة من الطعام أكبر ممّا رُفِع في الاثنتي عشرة قفّة في الواقعة السالفة. ومهما يكن، فالعبرة تبقى هي: فيمَ القلق بشأن الجوع والحاجة ونحنُ على ارتباط بالكائن الإلهيّ الذي لا حدّ لقوّته ولا حصر لموارده؟

١٦: ١١، ١٢ لم يكن الربّ يشير إلى الخبز في حديثه عن خمير الفرّيسيّين والصدّوقيّين، بل إلى شرّ التعليم وفساد السلوك الذي تميّز به هؤلاء. وخمير الفرّيسيّين هو الرّياء بحسب لوقا ١٢: ١. ففي الوقت الذي أعلنوا فيه تمسّكهم بأدقّ التفاصيل في كلمة الله، كانت طاعتهم له خارجيّة وسطحيّة، لأنّ دواخلهم امتلأت شرًّا وفسادًا.

أمّا خمير الصدّوقيّين فهو العقلانيّة. فقد تحرّروا فكريًّا، نظير أمثالهم من متحرّري هذا العصر، صانعين لأنفسهم نظامًا لاهوتيًّا تميّز بالشكّ والإلحاد. وهكذا أنكروا وجود الملائكة والأرواح وقيامة الجسد وخلود النّفس والعقاب الأبدي. فخمير التشكيك هذا ينتشر كالخميرة في العجين إذا تهاون المرء معه.

١٠ـ الملك يُحضِّر تلاميذه (١٦: ١٣، ١٧: ٢٧)

أ. اعتراف بطرس العظيم (١٦: ١٣ـ٢٠)

١٦: ١٣، ١٤ كانت **قيصريّة فيليبّس** تقع على بُعد ٤٠ كم شمالي بحر الجليل و٨ كم شرقي الأردن. وعندما جاء يسوع إلى القرى المجاورة (مر٨: ٢٧)، حدث أمر يُعتبر نقطة تحوّل في خدمته التعليميّة. فحتّى ذلك الوقت كان يسوع يعلن هويّته الحقيقيّة لتلاميذه تدريجيًّا. لكن بعدما نجح في هذا الموضوع، نراه يحوّل وجهه ليذهب إلى الصليب.

وسأل يسوع تلاميذه في البداية من يقول النّاس إنّه هو. وأتت أجوبتهم له لتشمل كل أجزاء السلسلة ابتداءً من **يوحنّا المعمدان** مرورًا **بإيليا وإرميا** وانتهاءً **بواحد من الأنبياء**. فالشخص العادي كان ينظر إلى يسوع كواحد بين الكثيرين ممّن أتوا قبله؛ كإنسان جيّد ولكن ليس أفضلهم. وربّما اعتبره بعضهم عظيمًا، ولكن ليس الأعظم؛ أو نبيًّا، لكن حتمًا ليس النّبي المنتظر. أمّا هذه النظرة لشخصه فلا تفي بالغرض، إذ إنّ المديح الهزيل يحكم عليه؛ فلو كان مجرّد إنسان آخر لغدا مخادعًا لأنّه جعل نفسه مساويًا للآب.

١٦: ١٥، ١٦ من ثمّ سأل يسوع تلاميذه عن رأيهم الخاصّ في هويّته الشخصيّة. وهكذا تمخّض الموقف عن اعتراف سمعان بطرس التاريخي، بقوله له: **أنت المسيح ابن الله الحيّ**، أيّ أنّه كان مسيح إسرائيل والله الابن بذاته.

١٦: ١٧، ١٨ حينئذ تكلّم الربّ مباركًا سمعان بن يونا، فصيّاد السمك لم يتوصّل إلى هذا القرار بشأن الربّ يسوع لاعتماده على ذكائه الخاصّ وحكمته الطبيعيّة. بل إنّ الأمر أُعلن له من قِبل الآب السماوي. ويستمرّ الابن في تصريحاته الهامّة لبطرس قائلًا: **وأنا أقول لك أيضًا، أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**. وقد أثارت هذه الآية جدلاً لاهوتيًّا أكثر من أيّ من مثيلاتها في هذا الإنجيل. فالسؤال الطبيعي الذي يطرح نفسه هو: "من يقصد يسوع **بالصخرة**، أو ما المقصود بها؟" ويتوقّف جزء من المشكلة التفسيريّة على التشابه القائم بين الكلمتين اليونانيّتين المترجمتين **بطرس**، و**الصخرة**، رغم الاختلاف في معنى كل منهما. فالكلمة الأولى، *Petros*، تعني حصاة أو مجرّد حجر؛ في حين أنّ الثانية *Petra*، تعني صخرة، أي جزءًا من سلسلة صخريّة. ففي الحقيقة ما يقوله المسيح لبطرس هو التالي: "... **أنت بطرس** (أي حجر) **وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي**". فيسوع لم يقل أنّه سيبني كنيسته على حجر بل على صخرة.

ما دامت الصخرة لا تشير إلى بطرس، فإلامَ تشير؟ إذا نظرنا جيّدًا إلى سياق كلام النصّ نرى أنّ الصخرة هي اعتراف بطرس بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله الحيّ. وهذه هي الحقيقة الإلهيّة التي بُنيت عليها الكنيسة. ومن أفسس ٢: ٢٠ نتعلّم أنّ الكنيسة بُنيت على يسوع المسيح الذي هو حجر الزاوية. أمّا تصريح بولس بأنّنا مبنيّون على أساس الرّسل والأنبياء فهو لا يشير إليهم شخصيًّا بل إلى التعاليم الرسولية المختصّة بالمسيح التي أُسّست الكنيسة عليها.

من جهة أخرى تتحدّث الآية ١٠: ٤ من رسالة كورنثوس الأولى عن المسيح بوصفه الصخرة، ويعلّق مورجان *Morgan* على ذلك في ملحوظة مفيدة قائلاً:

لنتذكّر أنّ يسوع كان يتحدّث إلى يهود. فلو نظرنا إلى استخدام الكلمة المجازي في الكتابات المقدّسة العبريّة لوجدنا أنّ عبارة الصخرة لم تُستخدم إطلاقًا بمعناها المجازي للإشارة إلى إنسان، لكن كانت تشير دائمًا إلى الله. وهكذا فإنّ تصريح المسيح في قيصريّة فيلبّس لا يعني أنّ المسيح سيبني الكنيسة على بطرس. فيسوع لم يحوِّر الصور المجازيّة اليهودية، بل استخدم استعارة عبريّة قديمة كانت الصخرة فيها إشارة دائمة إلى الله. وهكذا قال: على الله نفسه، أي المسيح ابن الله، أبني كنيستي.

زد على ذلك أنّ بطرس لم يذكر قط أنّه هو أساس الكنيسة، بل تحدّث مرّتين عن المسيح بوصفه حجر الزاوية (أع ٤: ١١، ١٢؛ ١بط٢: ٤-٨)، مع أنّ الصّورة تختلف في حديثه. فالحجر في أقواله هو رأس الزاوية لا قاعدة الأساس.

هذا وترد كلمة **الكنيسة** لأوّل مرّة في الكتاب المقدّس في قول يسوع: «**أبني كنيستي**». فالكنيسة لم تكن موجودة في العهد القديم، كما كانت ما تزال مستقبليّة في الوقت الذي تفوّه فيه الربّ بتلك الكلمات. فقد تكوّنت كنيسة المسيح يوم الخمسين وهي الآن تضمّ كل المؤمنين الحقيقيّين بالمسيح، من اليهود والأمم على حدّ سواء. لذلك فهي جماعة مميّزة معروفة بجسد الربّ وعروس المسيح، لها دعوتها السماويّة الفريدة ومصيرها السماوي الفريد.

ومن حيث إنّ إنجيل متّى يتناول موضوع إسرائيل والملكوت بشكل رئيسي فإنّ آخر ما نتوقّعه هو تقديم الكنيسة في هذا الإنجيل بالذّات. لكن بما أنّ أمّة إسرائيل رفضت مسيحها، وجب إدخال عصر الكنيسة الذي يشكّل فترة زمنيّة اعتراضيّة تستمرّ حتى الاختطاف، بعدها يستأنف الربّ معاملاته مع الأمّة القديمة. وهكذا فلا عجب أن يُدخِل الله الكنيسة هنا لتشكّل الحلقة التالية في برنامجه التدبيري بعد رفض إسرائيل للمسيح.

أمّا الجملة «**وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**»، فباستطاعتنا فهمها بطريقتين مختلفتين. فإمّا أن تقوم قوّات الجحيم بهجوم فاشل على الكنيسة تخرج منه تلك منتصرة، وإمّا أنّ الكنيسة هي التي تبادر بالهجوم وتخرج من المعركة منتصرة. وفي كلتا الحالتين ستُهزَم قوّات الجحيم بنقل المؤمنين الأحياء إلى السماء وإقامة الأموات في المسيح.

١٦: ١٩ لا تفيد الجملة «**وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات**» بأنّ الربّ قد أعطى بطرس السلطان لإدخال النّاس إلى السماء. فالفكرة تتعلّق بملكوت السماوات على الأرض. وهذا الملكوت هو دائرة الاعتراف بالولاء للملك ويضمّ كل الذين يعلنون اتّباعهم للمسيح. وتحمل المفاتيح معنى القدرة على الدخول؛ فالمأموريّة العظمى (مت٢٨: ١٩) تتضمّن المفاتيح التي تفتح الباب لدائرة الاعتراف تلك، وهي التلمذة والمعمودية والتعليم. (المعمودية غير ضروريّة للخلاص، إنّما هي أوّل ممارسة يُعلن فيها الإنسان ولاءه للملك). وقد استخدم بطرس هذه المفاتيح للمرّة الأولى في يوم الخمسين. لكنّها لم تُعطَ له وحده، بل أُعطيت له كممثّل عن باقي التلاميذ (أنظر متى ١٨: ١٨، حيث يُعطي الربّ الوعد عينه لجميع التلاميذ).

«**فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكلّ ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات**». غالبًا ما يُقرن هذا القول بمثيله في يوحنّا ٢٠: ٢٣ للتعليم بأنّ الربّ أعطى بطرس ومن خَلَفَه سلطان مغفرة

خطايا البشر. لكنّنا نعلم أنّ هذا مستحيل لأنّ غفران الخطايا هو في سلطان الله دون سواه.

لكن توجد طريقتان لفهم هذه الآية. تفيد الأولى بأنّ الربّ أعطى تلاميذه الرّسل قدرة على الربط والحلّ غير متوفّرة لنا الآن. فعلى سبيل المثل عندما أعلن بطرس حكم الربّ على حنانيّا وسفّيرة بالموت المفاجئ في سفر الأعمال (٥: ١ ـ ١٠) كان يمارس سلطان الربط. في حين أنّ بولس مارس سلطان الحلّ في موضوع الإنسان الذي كان تحت التأديب في كنيسة كورنثوس إذ حلّه من نتائج الخطية لأنّه تاب توبة حقيقيّة (٢كو٢: ١٠).

أمّا الطريقة الثانية فتتمثّل بأنّ الرّسل يحلّون ويربطون على الأرض ما قد سبق ربطه أو حلّه في السماء. ويقول رايري *Ryrie* في هذا السياق: "يبدأ الحلّ والربط في السماء لا عند الرّسل، لكنّ هؤلاء يعلنون مشيئة السماء على الأرض". ولا تصحّ هذه الآية في أيّامنا هذه إلاّ بمفهومها الإعلاني. فبمقدور الخادم المسيحي أن يعلن أنّ خطايا الإنسان المهتدي قد غُفرت عندما يرجع ذلك عن خطاياه بتوبة صادقة ويقبل المسيح ربًّا ومخلّصًا له. في الوقت الذي فيه يُعلن الخادم استمرار ربط خطايا المرء في حال رفضه لخلاص الربّ. ويكتب وليم كلّي *William Kelly* عن هذا الموضوع قائلاً: "إنّ الله يختم على أعمال الكنيسة عندما تتصرّف باسم الربّ وتسلك في مشيئته".

١٦: ٢٠ يوصي الربّ يسوع تلاميذه مرّة أخرى **أن لا يقولوا لأحد إنّه يسوع المسيح**. فلا خير يُرجى من إعلان كهذا بسبب عدم إيمان إسرائيل. لكن على العكس قد تحدث حركة شعبيّة لتتويجه ملكًا تسبّب ضررًا كبيرًا إذ يأتي الرّومان فيقمعونها بشدّة.

ويدعو ستيورات *Stewart* هذا المقطع نقطة تحوّل في خدمة يسوع، فيكتب قائلاً:

> يُشكّل ذلك اليوم، الذي جرت أحداثه في قيصريّة فيلبّس، نقطة تحوّل مركزيّة في الأناجيل. ومنذ ذلك الوقت تحوّل مجرى أحداث الإنجيل في اتّجاه آخر. فشعبيّة المسيح التي ظهرت في بداية خدمته لتقوده إلى عرش الملك قد تلاشت تمامًا. والتيّار يتّجه منذ الآن نحو الصليب... ففي قيصريّة وقف يسوع على خطّ فاصل، وانتصب على تلّة ينظر من خلفه إلى الطريق التي سبق فقطعها، في الوقت الذي فيه تطلّع قدّامه فرأى طريقًا وعرة ومظلمة تنتظره. وإذ ألقى نظرة إلى الوراء حيث شفق الأيّام السعيدة كان ما يزال في الأفق تحوّل إلى الأمام يسير نحو ظلال الظلام؛ فمسار المسيح منذ الآن مثبّت نحو الصليب.

ب. *تهيئة التلاميذ لموت المسيح وقيامته* (١٦: ٢١ـ٢٣)

١٦: ٢١ بعدما أدرك التلاميذ أنّ يسوع هو المسيح ابن الله الحيّ حسبهم الربّ مستعدّين لسماع أوّل نبوّة مباشرة عن موته وقيامته. فقد عرفوا الآن أنّ قضيّته لا يمكن أن تخسر، وأنّهم في صفّ الفريق الرابح، ومهما حصل من أمر فالنصر محقّق لهم. وهكذا أعلن الربّ أخبار آلامه لقلوب مستعدّة. **فهو ينبغي أن يذهب إلى أورشليم، ويتألّم كثيرًا من قادة اليهود الدينيّين، ثمّ يُقتل وفي اليوم الثالث يقوم**. كان في هذه الأخبار ما يكفي لوسم كل تحرّك قادم بالقدر المشؤوم، لولا أنّ التصريح الأخير بدّل الموقف إذ قال فيه إنّه **ينبغي... أن يقوم في اليوم الثالث!**

١٦: ٢٢ استهجن بطرس فكرة خضوع السيّد لمعاملات قاسية كتلك التي تنبأ عنها، فوقف في طريقه ممسكًا إيّاه واحتجّ قائلاً له: «**حاشاك يا ربّ، لا يكون لك هذا!**»

١٦: ٢٣ أمّا تصرّفه هذا فقد أثار توبيخ الربّ له. فهو قد أتى إلى العالم ليموت عن الخطاة، وأيّ من يعوّقه عن تحقيق هذا المقصد فهو يعمل خارج مشيئة الله. لهذا قال لبطرس: «**اذهب عنّي يا شيطان أنت معثرة لي، لأنّك لا تهتمّ بما لله لكن بما للنّاس**». لم يقصد المسيح بقوله يا شيطان أنّ بطرس مسكون بالأرواح الشرّيرة أو أنّه تحت سيطرة إبليس. إنّما عنى بكلّ بساطة أنّ عمل بطرس وكلامه ذاك هو ما يتوقّعه الربّ من الشيطان بالذّات (الذي يعني اسمه العدوّ). فبطرس غدا عثرة في طريق المخلّص عند احتجاجه على مخطّط الجلجثة.

يدعو الربّ كل مسيحي لحمل صليبه واتّباع المسيح. لكن عندما يلوح الصليب في طريق خُطانا نسمع صوتًا يهمس قائلاً: "حاشاك أن يكون لك هذا، خلّص نفسك". ولربّما كانت تلك أصوات أحبّائنا تحاول منعنا من سلوك طريق الطّاعة الكاملة. ففي أوقات كهذه علينا نحن أيضًا أن نقول: «اذهب عنّي يا شيطان! أنت معثرة لي».

ج. *التحضير للتلمذة الحقيقيّة* (١٦: ٢٤ـ٢٨)

١٦: ٢٤ يبيّن الربّ يسوع الآن مضمون التلمذة لشخصه. ويتمثّل ذلك بنكران النّفس، وحمل الصليب، واتّباع المسيح. هذا وليس **نكران النّفس** مجرّد الامتناع عن إشباع الرّغبات الذاتيّة، بل يتمثّل بوضع النّفس تحت سيطرة الربّ الكليّة حتى تنتفي حقوقها تمامًا. أمّا **حمل الصليب** فهو اختيار المرء لتحمّل العار والآلام حتى الاستشهاد إذا اقتضى الأمر من أجل المسيح. وهذا يشمل الموت عن الخطية والذّات والعالم، في الوقت الذي يقضي فيه اتّباع المسيح بالعيش كما عاش هو مع كل ما يتضمّنه ذلك من تواضع وفقر وشفقة ومحبّة ونعمة وسائر فضائل حياة التقوى.

١٦: ٢٥ يتوقّع الربّ ظهور تجربتين أمام حياة التلمذة. وتكمن الأولى في محاولة المرء الطبيعيّة لأن **يخلّص** نفسه من الانزعاج والألم والوحدة وأيّة خسارة ممكنة. لذلك ينذر يسوع بأنّ الذين يتمسّكون بحياتهم لغايات أنانيّة لن يدركوا الشبع الحقيقي أبدًا. أمّا الذين لا يبالون بحياتهم بل يكرّسونها له مهما كثر الثمن فسيجدون المعنى الحقيقي لوجودهم.

١٦: ٢٦ نأتي الآن إلى التجربة الثانية وهي السعي وراء الغنى المادّي. لكنّ تجربة الاستغناء هذه غير منطقيّة. فالمسيح يتصوّر "إنسانًا نجح كثيرًا في حقل العمل حتى تمكّن من امتلاك العالم بأسره. وفي المقابل استأسر سعيه المجنون هذا كل وقته وطاقته ففاته الهدف الرئيسي لحياته. فما المنفعة من كل هذا المال إذا كان حتمًا سيموت ثمّ يترك الكلّ وراءه ويطوي أبديّته فارغ اليدين؟". لقد أوجد الله الإنسان هنا لغرض أسمى من مجرّد السعي وراء المال. فهو مدعو لتمثيل مصالح مَلِكه على الأرض، وإذا فاته ذلك خسر بالتّالي كل شيء.

لقد أخبر يسوع تلاميذه في الآية ٢٤ بأسوإ الأمور، وهذا ما يميّز الحياة المسيحيّة. فإنّنا ندرك أسوأ الاحتمالات فيها منذ البداية، لكنّنا لن ننتهي من اكتشاف كنوزها وبركاتها الإلهيّة. ويتحدث بارنهاوس *Barnhouse* عن هذا الموضوع قائلاً:

"عندما يرى الإنسان على صفحات الكتاب المقدّس أحلك الصعوبات الموجودة لن يبقى ما من شأنه أن يفاجئه في الحياة. فكلّ جديد يمكن أن نتعلّمه في هذه الحياة أو التي تليها يغدو متعة لنا".

١٦ : ٢٧ يذكّر الربّ خاصّته الآن بالمجد الذي يتبع الآلام. وهكذا يشير إلى مجيئه الثاني عندما يرجع إلى الأرض **مع ملائكته بمجد الآب** المتسامي. حينئذ يجازي كل الذين عاشوا حياتهم من أجله. لذلك فالطّريقة الوحيدة التي تضمن لنا الحياة الناجحة هي التطلّع باستمرار إلى ذلك الوقت المجيد وتقرير الأولويّات الحقيقيّة في ضوء ذلك المجيء، ثمّ السعي وراءها بكلّ ما أوتينا من قوّة.

١٦ : ٢٨ بعد ذلك أعلن الربّ لتلاميذه حقيقة أذهلتهم، مفادها أنّ قومًا من القيام معه لن يذوقوا الموت حتى يروه آتيًا في ملكوته. والمشكلة الطبيعيّة التي تنشأ هنا هي أنّ جميع التلاميذ قد ماتوا، مع أنّ الربّ لم يأتِ بعد بمجد وقوّة لتأسيس ملكوته على الأرض. لكنّ هذه المشكلة تنحلّ عندما نتجاهل تقطيع الفصول الكتابيّة ونعتبر الآيات الثماني الأولى من الفصل التالي شرحًا لهذا التصريح الغامض. وتصف هذه الآيات أحداث تجلّي المسيح على الجبل حيث رآه بطرس ويعقوب ويوحنّا متجلّيًا بالمجد. بذلك أكرمهم المسيح برؤية لمحة مسبقة عن ملكه المجيد.

على أنّ ما يبرّرنا في اعتبار تجلّي المسيح صورة مسبقة عن ملكه الآتي هو وصف بطرس للحادثة في رسالته الثانية حيث يقول عنها «قوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئه» (٢بط ١: ١٦). ويشير ذلك إلى مجيء المسيح إلى الأرض ثانية. أما يوحنا فيتحدث عن حادثة التجلي بقوله: «ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب» (يو ١: ١٤). ففي حين كان مجيء المسيح الأول في حالة من التواضع سيتجلّى مجيئه الثاني بمجد عظيم. هكذا تكون نبوّة الآية ٢٨ قد تمّت على جبل التجلّي، حيث رأى بطرس ويعقوب ويوحنّا ابن الإنسان ملكًا مجيدًا عوضًا عن ناصريّ متواضع.

د. *تحضير التلاميذ للمجد: حادثة التجلّي* (١٧: ١-٨)

١٧ : ١، ٢ بعد حادثة قيصريّة فيلبّس **بستّة أيّام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنّا أخاه وصعد بهم إلى جبل عالٍ** في مكان ما من الجليل. هذا ويعلّق الكثير من الشرّاح أهميّة على موضوع الستّة الأيّام. فيقول جابلاين *Gaebelein* على سبيل المثل: "العدد ستّة هو عدد الإنسان، وهو يشير إلى أيّام العمل. فبعد ستّة أيّام، أي بعد انقضاء أيّام العمل التي للإنسان يأتي يوم الربّ والملكوت".

عندما يقول لوقا إنّ حادثة التجلّي حصلت بعد «نحو ثمانية أيّام» (٩: ٢٨) فهو حتمًا يحسب الأيّام التي قُضّيت على الجبل من ضمن المدّة المذكورة. وبما أنّ العدد ثمانية هو عدد القيامة والبداية الجديدة فلا عجب أن يقرن لوقا الملكوت بالبداية الجديدة.

أعطى المخلّص تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنّا، الذين من المقرّبين منه، امتياز رؤيته في حالة التجلّي. فحتّى الآن كان مجده محجوبًا في جسم بشريّته. أمّا الآن فقد أضاء وجهه وصارت ثيابه تلمع كالشمس في بهائها دليلاً على ألوهيّته، تمامًا مثلما كانت سحابة المجد أو الشكينة ترمز إلى حضور الله في العهد القديم. وقد كان ذلك المشهد صورة مستقبليّة عن حالة الربّ يسوع المجيدة عندما يعود ثانية لتأسيس ملكه على

الأرض. فهو سيظهر كالأسد الذي من سبط يهوذا لا كحمل الذبيحة الوديع. وسيدرك كل من ينظر إليه أنّه الله الابن، ملك الملوك وربّ الأرباب.

١٧: ٣ ظهر مع يسوع على الجبل كل من موسى وإيليّا وهما يتحدّثان عن موته القريب في أورشليم (لو ٩: ٣٠، ٣١). وقد يمثّل موسى وإيليّا أنبياء العهد القديم؛ أمّا في حال كان موسى يمثّل الناموس، فإن إيليّا يمثّل الأنبياء، وهكذا يغدو العهد القديم في شقّيه يشير إلى آلام المسيح والأمجاد التي بعدها. الاحتمال الثالث هو أنّ موسى الذي صعد إلى السّماء بعد موته يصوّر جميع الذين سيقومون من الموت من أجل دخول الملك الألفي، في حين أنّ إيليّا يشير إلى الذين سيبلغون الملكوت من طريق الاختطاف، من حيث أنّه انتقل هو بدوره إلى السّماء دون موت. وقد يمثّل التلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنّا جميع القدّيسين في العهد الجديد. أو قد يكون صورة نبويّة مصغرّة عن البقيّة التقيّة التي ستكون موجودة أثناء المجيء الثاني للمسيح وتدخل معه إلى الملكوت. هذا وقد شبّه بعض الشرّاح الجموع التي احتشدت في أسفل الجبل (ع١٤، قارن مع لوقا ٩: ٣٧) بشعوب الأمم التي ستشترك ببركات ملك المسيح الألفي.

١٧: ٤، ٥ لقد كان لتلك الحادثة أثرها الكبير على بطرس، فقد أدرك فجأة معنى التاريخ الحقيقي. وإذا أراد أن يتمسّك بحالة البهاء المجيدة تلك أسرع فاقترح إقامة ثلاث خيمات تذكاريّة هناك، واحدة ليسوع وأخرى لموسى وأخرى لإيليّا. كان محقًّا في ذكر المسيح أولاً، لكنّه أخطأ في عدم إعطائه مركز السّيادة. فالمسيح ليس واحدًا بين متساوين إنّما هو ربّ الكلّ. وهكذا غطّى الآب السماوي جميعهم بسحابة بهيّة لكي يعلّمهم هذه الحقيقية معلنًا من السّماء أن «**هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا!**» فالمسيح فريد في ملكوته، وكلمته هي السلطة النهائيّة بلا منازع، وينبغي أن تسود هذه الحالة أيضًا في قلوب المؤمنين اليوم.

١٧: ٦-٨ لمّا سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم مذهولين لرؤية سحابة المجد وسماع صوت الله من خلالها. لكنّ يسوع قال لهم: **قوموا ولا تخافوا**. وعندما قاموا **لم يروا أحدًا إلاّ يسوع وحده**. هكذا ستكون الحال في المملكة الآتية، حيث يكون الربّ يسوع هو "المجد كُلّه في أرض عمّانوئيل".

هـ. *إعلانات خاصّة بالممهّد لمجيء المسيح* (١٧: ٩-١٣)

١٧: ٩ وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع أن لا يُعلموا أحدًا بما رأوه حتى يقوم من الأموات. كان اليهود في أيّام المسيح يرحّبون بمن قد يُنقذهم من نير الرّومان. لذلك كانوا مستعدّين لقبول مسيحٍ ينقذهم من روما لكنّهم لم يريدوه مخلّصًا لهم من الخطية. لهذا رفضت إسرائيل مسيحها، فكان من العبث أن يخبر التلاميذ باقي اليهود برؤيا المسيح المجيد. لكن ستُعلن تلك الرّسالة بعد قيامته من الموت لكلّ العالم.

١٧: ١٠-١٣ رأى التلاميذ قبل قليل صورة مستقبليّة لمجيء المسيح مع ما يرافق ذلك من قوّة ومجد، لكنّ الممهّد لهذا المجيء لم يأتِ بعد. فالنبي ملاخي سبق فأنبأ بأنّ إيليّا ينبغي أن يأتي أوّلا قبل مجيء المسيح (ملا٤: ٥، ٦). لذلك سأله تلاميذه عن هذا الموضوع، فوافق الربّ معهم معلنًا إنّ إيليّا يأتي أولاً كممهّد له. لكنّه أردف قائلاً إنّ إيليّا قد جاء. فلا شكّ أنّه كان يقصد بذلك

يوحنّا المعمدان (أنظر ع١٣). هذا ولم يكن يوحنّا هو إيليّا النبيّ نفسه (يو١: ٢١)، لكنّه «بروح إيليّا وقوّته» (لو١: ١٧). ولو قبلت الأُمّة يوحنّا ورسالته لكان حقّق بمجيئه عمل إيليا المتنبّأ عنه (مت١١: ١٤). أمّا الأمّة فلم تدرك أهميّة خدمة يوحنّا بل عاملته حسب استحسانها. ولم يكن موت يوحنّا سوى دليل لما سيفعلونه بابن الإنسان عن قريب. فكما رفض اليهود الممهّد لمجيء المسيح الملك كذلك أيضًا سيرفضون الملك بالذّات. وعندما شرح يسوع لتلاميذه هذا الأمر أدركوا أنّه كان يقول لهم عن يوحنّا المعمدان هذا ويوجد ما يدعو للاعتقاد بأنّ نبيًّا سيقوم قبل المجيء الثاني للمسيح لكي يهيّئ الشعب من جديد لاستقبال ملكه الآتي. ويستحيل علينا معرفة هل يكون هذا النبي هو إيليّا نفسه أم نبيًّا آخر له خدمة مماثلة.

و. التحضير للخدمة من طريق الصّلاة والصّوم (١٧: ١٤ـ٢١)

ليست الحياة كلّها اختبارًا على قمّة الجبل. فبعد لحظات النشوة الرّوحية يأتي زمان التّعب والجهاد. وسيأتي الوقت الذي ينبغي لنا فيه أن نترك الجبل ونشوته لنخدم في وادي الحاجة البشريّة المؤلم.

١٧: ١٤، ١٥ كان في انتظار المخلّص على سفح الجبل أب معذّب **تقدّم إليه... جاثيًا له**. وسكب تضرّعه أمامه سائلاً إيّاه أن يشفي ابنه المسكون بالأرواح الشرّيرة. فقد كان ابنه يعاني من نوبات صرع تسبّبت في سقوطه كثيرًا في النّار وكثيرًا في الماء. وهكذا كانت شقاوته ممزوجة بالحروق وخطر الغرق. كان هذا الابن نموذجًا مثاليًّا لما يسبّبه الشيطان من ألم إذ هو أعنف الأسياد وأشرّهم.

١٧: ١٦ عندما ذهب أبو الولد إلى التلاميذ طالبًا معونتهم تبيّن له سريعًا عجزهم الكامل عن شفاء ابنه العليل، «فباطل هو خلاص الإنسان».

١٧: ١٧ وبّخ يسوع تلاميذ إذ ذاك قائلاً لهم: «**أيّها الجيل غير المؤمن الملتوي، إلى متى أكون معكم، إلى متى أحتملكم؟**» فمن حيث أنّهم لم يقدروا على شفاء المصروع كانوا انعكاسًا لحالة عدم الإيمان والالتواء التي سادت عند أبناء جيلهم من اليهود.

١٧: ١٨ عندما قُدّم المصروع إلى الربّ انتهر يسوع الشيطان **فشفى الغلام** المسكون في الحال.

١٧: ١٩، ٢٠ واختار **التلاميذ** من عجزهم فسألوا يسوع **على انفراد** عن السبب. وكان جوابه لهم صريحًا: «**لعدم إيمانكم**». فلو كان لهم **إيمان** بقدر **حبّة الخردل** (وهي أصغر الحبوب) لكانوا يأمرون **الجبل** بأن ينطرح في البحر فيتمّ لهم ذلك. ولاشكّ أنّ الإيمان الحقيقي يُبنى على وصايا الله ووعوده. فتوقّع إنجاز أعمال معجزيّة لإشباع الرغبات الشخصيّة ليس إيمانًا بل هو ادّعاء باطل، إذ إنّ المؤمن الذي يأخذ وصيّة إلهيّة أو إرشادًا واضحًا، ينبغي أن يكون له كل الثقة بأنّ الصعوبات التي تظهر كالجبال ستتلاشى بشكل معجزي، ولن يستحيل على المؤمن شيء.

١٧: ٢١ «**أمّا هذا الجنس فلا يخرج إلاّ بالصّلاة والصّوم**». تحذف معظم الترجمات الحديثة هذه الجملة لأنّها غير موجودة في كثير من النّسخ القديمة. لكن مع ذلك، فإنّنا نجدها في معظم النّسخ الأخرى وهي تناسب محتوى النصّ الذي يعالج تلك المشكلة الصعبة.

ز. *تحضير التلاميذ لتسليم المسيح الخياني* (١٧: ٢٢، ٢٣)

أنبأ المسيح تلاميذه مرّة ثانية، وبكلّ بساطة وهدوء، بأنّه سيُقتل. إلاّ أنّه أكّد لهم من جديد نبأ الانتصار القاضي بقيامته في اليوم الثالث. فلو لم يكن قد أخبرهم مسبقًا عن موته العتيد لكان أملهم قد خاب تمامًا. فموت العار والآلام لا يتناسب مع ما كانوا يتوقّعونه عن المسيّا.

لكن مع هذا فقد حزنوا جدًّا لأنّه كان مزمعًا أن يتركهم ويمضي إلى الموت. ومع أنّهم سمعوا بنبأ موته الآتي، فقد فاتهم الوعد الأكيد بقيامته الوشيكة.

ح. *بطرس وسيده يدفعان ضريبتهما* (١٧: ٢٤-٢٧)

١٧: ٢٤، ٢٥ لمّا جاؤوا إلى كفرناحوم تقدّم الذين يأخذون الدرهمين وسألوا بطرس أمّا يوفي معلّمه ضريبة نصف الشاقل المستوفاة للعناية بحاجات خدمة الهيكل الكثيرة. فأجابهم بطرس: **بلى**. ولربّما أراد التلميذ المخدوع أن ينقذ الربّ من إحراج الجباة له.

هذا وتكشف لنا الواقعة الآتية علم الربّ الكامل بكلّ شيء. فعندما جاء بطرس إلى البيت سبقه يسوع في الكلام قبل أن تتاح الفرصة له للتحدّث عمّا جرى. قال يسوع: «**ماذا يُظنّ يا سمعان. ممّن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية: أمن بنيهم أم من الأجانب؟**». ويجب أن نفهم السؤال في ضوء الأحوال التي كانت سائدة في تلك الأيّام. فغالبًا ما كان الملوك يفرضون الضرائب على رعاياهم من أجل دعم المملكة واحتياجات عائلاتهم، لكنّهم لم يكونوا ليفرضوا جبايةً أو جزيةً على أفراد عائلاتهم الخاصّة. أمّا في أنظمة الحكم الحاليّة فالضّريبة غالبًا ما تُفرض على الجميع بمن فيهم الحاكم وأفراد عائلته.

١٧: ٢٦ أجاب بطرس يسوع إجابة صحيحة قائلاً له إنّ الضريبة تُجبى من الأجانب. عندئذٍ صرّح الربّ بالقول، إذًا **فالبنون أحرار**. فالهيكل كان بيت الله، وبما أنّ يسوع هو ابن الله فلا داعي له لدفع ضريبة الهيكل وإلاّ لكان يدفع الدرهمين لنفسه.

١٧: ٢٧ لكنّ الربّ على أيّ حال وافق على دفع الجزية **لئلاّ يعثرهم**؛ لكن ماذا يعمل لأجل تدبير المال؟ فالكتاب لم يذكر أنّ يسوع كان يحمل مالاً أثناء خدمته. لهذا أرسل بطرس إلى بحر الجليل وطلب إليه أن يجلب أوّل سمكة يصطادها. وفي فم تلك السمكة يجد قطعة نقديّة أوصاه أن يستخدمها ليدفع عن نفسه وعن المسيح. وهذا وتدلّ تلك المعجزة المذهلة على معرفة المسيح بكلّ شيء. فلقد عرف في فم أيّة سمكة من أسماك بحر الجليل كان الإستار، وعرف موضع تلك السمكة وأنّها ستكون أوّل سمكة يصطادها بطرس. لو كان في الأمر مبدأ روحي لما كان الربّ قد دفع الجزية، لكنّ المسألة لم تكن لتنتج أيّ تغيير خلقي بل قد فعلها الربّ حتى لا يعثرهم. فنحن المؤمنين قد تحرّرنا من النّاموس، لكن مع ذلك ينبغي لنا أن نحترم ضمائر الآخرين في الأمور التي لا تنقص من القيم الخلقيّة، بل نتجنّب كل ما يُسبّب معثرة للنّاس.

١١-الملك يعلّم تلاميذه (الأصحاحات ١٨-٢٠)

أ. *تعليمه عن التواضع* (١٨: ١-٦)

دُعي الفصل الثامن عشر موعظة العظمة والتسامح. فهو يحدّد مبادئ السلوك التي تليق بأتباع المسيح الملك.

١٨: ١ طالما فكّر التلاميذ أن ملكوت السماوات هو

العصر الذهبي الذي يسود فيه السلام والازدهار. وها هم قد بدأوا الآن يشتهون المراكز المميّزة فيه. هذا وظهرت أنانيّتهم بطرحهم السؤال التالي للمسيح: **«من هو أعظم في ملكوت السماوات؟»**

١٨: ٢، ٣ أمّا يسوع فأعطاهم في جوابه مثالاً حيًّا إذ أخذ ولدًا، وأقامه في وسطهم قائلاً لهم: **«إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات»**. كان المسيح يتحدّث عن الملكوت في حقيقته الداخليّة. فلكي يصبح الإنسان مؤمنًا حقيقيًّا يجب عليه أن يطرح أفكار العظمة الذّاتيّة آخذًا مركزًا متواضعًا كالأطفال. ويتحقّق ذلك عندما يدرك المرء طبيعته الخاطئة ويقبل المسيح رجاءه الوحيد. ويجب أن تستمرّ هذه الحالة الروحيّة طيلة الحياة المسيحيّة. فيسوع لم يكن يقصد أنّ تلاميذه لم يكونوا مُخلّصين إذ كانوا جميعهم قد آمنوا به، ما عدا يهوذا. ونتيجة لذلك كانوا مبرّرين أمام الله بالإيمان. لكنّ الروح القدس لم يكن قد حلّ في قلوبهم بعد ليسكن فيهم، وهكذا كانت تعوزهم القوّة الضروريّة للتواضع الحقيقي التي نتمتّع بها اليوم (لكنّنا غالبًا ما لا نستخدمها كما يلزم). كما كانوا يحتاجون لتغيير كامل في أفكارهم حتى تصبح متناسبة مع طبيعة الملكوت.

١٨: ٤ إنّ أعظم إنسان في ملكوت السماوات هو الذي يضع نفسه **مثل ولد صغير** وبما أنّه من البديهي لقيم الملكوت ومقاييسه أن تعاكس تلك التي في العالم، لذلك يجب أن تنقلب طريقة تفكيرنا تمامًا لتصبح مشابهة لفكر المسيح (أنظر فيلبي ٢: ٥ـ٨).

١٨: ٥ يتحوّل الرب يسوع الآن على نحوٍ لا يكاد يُلحَظ من موضوع الولد الطبيعي إلى موضوع الولد الروحي. فالّذي يقبل أحد أتباعه المتواضعين باسمه سيُكافأ كما لو قبل الربّ نفسه. وكلّ ما يُعمل للتلميذ يُعتبر أنّه عُمل للمعلّم.

١٨: ٦ من ناحية أخرى، يصرّح الربّ أنّ كل من يجرّ المؤمن إلى الخطية يقع تحت دينونة عظيمة؛ **فخير له أن يُعلّق في عنقه حجر الرّحى ويُغرق** في أعماق البحر. (يتطلّب حجر الرّحى المذكور هنا حيوانًا لزحزحته، فيما يستطيع الإنسان تحريك حجر الرّحى الصغير). فالذي يخطئ إلى نفسه يفعل أمرًا سيئًا لكنّ من يسبّب خطية لمؤمنٍ آخر يهدم براءته ويفسد ذهنه ويلوّث سمعته. فخير للمرء أن يموت ميتة شنيعة من أن يدنّس طهر الآخرين.

ب. تعليمه عن العثرات (١٨: ٧ـ١٤)

١٨: ٧ تابع يسوع حديثه عن العثرات بقوله إنّها آتية لا محالة. فقد اتّفق العالم والجسد مع الشرّير على الإغواء والالتواء. لكنّ ذنب المرء يعظم عندما يصبح عاملاً مع قوّات الشرّ. لذلك يحثّ المسيح النّاس على اتّخاذ مواقف جذريّة في ترويض نفوسهم لئلاّ يعثروا أحد أولاد الله.

١٨: ٨، ٩ فإذا كان العضو الخاطئ هو اليد أو الرجل أو العين فإخضاعه لسكّين الجرّاح أفضل من السّماح له بتخريب عمل الله في حياة إنسان آخر. فخير لنا أن ندخل الحياة الأبديّة بغير أعضاء على أن نذهب إلى الجحيم وأجسادنا كاملة سليمة. ولا يعني ذلك أنّ بعض النّاس ستنقصهم أعضاء في السّماء، إنّما يصوّر لنا فقط حالة المؤمن الجسديّة في الوقت الذي يمضي فيه من هذه الحياة إلى العتيدة. فما من شكّ بأنّ الأجساد المُقامة ستكون كاملة.

١٨: ١٠ من ثمّ يحذّر ابن الله من احتقار أحد صغاره، سواء كانوا أولادًا أو أيّ مَن انتمى إلى الملكوت. ولكي يؤكّد أهميّتهم أضاف قائلاً إنّ **ملائكتهم** هم في محضر الله على الدّوام ناظرين وجهه. وربّما يعني بالملائكة هنا، الملائكة الحارسة (أنظر أيضًا عب ١: ١٤).

١٨: ١١ تحذف كثير من التّرجمات الحديثة هذه الآية، لكنّها تشكّل ذروة المقطع الذي يتحدّث عن إرساليّة المخلّص. كما أنّ كثيرًا من النّسخ القديمة تدعم وجودها.

١٨: ١٢، ١٣ وهؤلاء الصّغار هم موضوع خدمة الرّاعي الحنون المخلصة. فحتّى لو ضاع واحد من أصل مئة خروف فسيترك التّسعة والتّسعين ويمضي يفتّش عن الضّائع حتى يجده. هكذا نتعلّم من فرح الرّاعي بإعادة الخروف الضائع أن نحترم صغار الربّ ونعطيهم حقّ قدرهم.

١٨: ١٤ أمّا أهميّة هؤلاء الصّغار فلا تنحصر بالملائكة والرّاعي فقط، بل تشمل الآب السّماوي أيضًا. فليست مشيئته أن يهلك أحد هؤلاء. وإن كانت أهميّتهم تشغل الملائكة والربّ يسوع والآب السّماوي بالذّات، فحريّ بنا ألاّ نحتقرهم البتّة مهما بدوا لنا غير محبّبين وغير متّضعين.

ج. *تعليمه عن تأديب المخطئين* (١٨: ١٥-٢٠)

يتناول البشير، في ما تبقّى من هذا الفصل، موضوع تسوية الخلافات التي يمكن أن تنشأ بين الإخوة في الكنيسة، والحاجة في هذا السياق إلى ممارسة فضيلة الغفران غير المحدود.

١٨: ١٥ نجد هنا تعليمات واضحة عن واجبات المؤمن المسيحي عندما يخطئ إليه مؤمن آخر. فالمسألة يجب أن تُسوّى أولاً بين الطرفين المعنيّين. وفي حال إقرار المخطئ بذنبه تتمّ المصالحة فورًا. لكنّ المشكلة تكمن في أنّنا غالبًا ما لا نفعل ذلك. بل على العكس نبدأ بالنميمة للجميع عن الأمر. عندئذ تنتشر القضيّة كالنّار في الهشيم، ويتضاعف الخصام. لذلك فلنتذكّر أنّ أهمّ خطوة هي اتّباع الآية القائلة: «**اذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما**».

١٨: ١٦ إن كان الأخ المخطئ غير مبالٍ بالمعاتبة يأخذ الأخ المُذنَب إليه عندئذ واحدًا أو اثنين معه محاولاً إصلاحه. عند ذلك يتأكّد خطر تعنّته المستمرّ وتتوفّر الشهادة الكافية كما يطلبها الكتاب: «**لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة**» (تث١٩: ١٥). ولا يمكننا تقدير مدى الأذى الذي يمكن أن يحدث في الكنيسة بسبب عدم إطاعة هذا المبدأ البسيط الذي يقضي بأنّ اتّهام أيّ إنسان يجب أن يكون مدعومًا بشهادة شخص أو اثنين. وغالبًا ما تتصرّف المحاكم البشريّة في هذا الخصوص باستقامة أكبر من تلك التي نجدها عند الكنائس أو الجماعات المسيحية.

١٨: ١٧ أمّا في حال استمرار المذنب في رفض الاعتراف والاعتذار عن الخطإ فينبغي أن تتحوّل القضيّة إلى الكنيسة المحليّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الكنيسة المحليّة لا المحكمة المدنيّة هي المسؤولة عن البتّ في هذه القضيّة، وهذا أمر هامّ. فمن غير الجائز للمؤمن المسيحي الذّهاب إلى المحكمة العالميّة لمحاكمة أخيه (١كو٦: ١-٨).

إذا استمرّ أيضًا المتّهم في رفضه بالاعتراف أمام الكنيسة فعندئذ يجب أن يُعتبر كالوثني والعشّار. ويتّضح من هذا أنّه ينبغي التعامل معه كأنّه خارج دائرة الكنيسة. ومع أنّه قد يكون مؤمنًا حقيقيًّا لكنّه لا يعيش كذلك، ولذا يجب أن يُعامَل على هذا الأساس. وفي الوقت الذي

ينبغي فيه أن يُحرَم أخ كهذا امتيازات الكنيسة المحليّة، إلاّ أنّه ما يزال جزءًا من الكنيسة العامّة. وهذا التأديب هو خطوة هامّة تخلّص المؤمن إلى حين من قوّة الشيطان، «لهلاك الجسد لكي تخلص الرّوح في يوم الربّ يسوع» (١كو٥: ٥). فالهدف من ذلك التأديب هو إرجاع المخطئ إلى نفسه وحثّه على الاعتراف بخطيّته. وفي انتظار أن يتحقّق ذلك الغرض، ينبغي للمؤمنين معاملته بلطف لكن دون موافقة منهم على خطيّته، ودون نيّة منهم في الشركة معه كأخ نظيرهم. لكن حالما تظهر منه علامات التوبة الصّادقة ينبغي على الجماعة أن تسرع لقبوله مرّة أخرى في وسطها.

١٨: ١٨ ترتبط الآية ١٨ بما سبقها من آيات. فعندما تقرّر كنيسة ما بروح الصلاة تأديب شخص معيّن إطاعة لكلمة الله، توافق السّماء على هذا الفعل. لكن عندما يتوب الإنسان المؤدّب معترفًا بخطيّته وتعيده الكنيسة نتيجة لذلك إلى الشركة معها، يثبّت الله عندئذ قضاء الكنيسة بحلّ الأخ التائب (أنظر يوحنّا ٢٠: ٢٣).

هنا يطرح السؤال التالي نفسه: "كم ينبغي أن يكون حجم الكنيسة لتستطيع ممارسة فعل الحلّ والرّبط هذا؟". أمّا الجواب على هذا السؤال فهو أنّ وجود مؤمنين اثنين كاف لاستماع الله لصلاتهما التي تطرح قضايا التأديب أمامه. فالآية ١٩ تشير في سياق النصّ إلى الصلاة المختصّة بالتأديب الكنسي، مع أنّها غالبًا ما تُستخدم كوعد عام باستجابة الله لصلوات المؤمنين. ويجب عدم استخدام هذه الآية في موضوع الصلاة عمومًا إلا متى أخذنا بعين الاعتبار جميع التعاليم الأخرى المختصّة بالصّلاة. فصلواتنا ينبغي أن تكون:

١ـ في اتّفاق مع مشيئة الله المعلنة (١يو٥: ١٤، ١٥)

٢ـ مقترنة بالإيمان (يع١: ٦ـ٨)

٣ـ مقترنة بالإخلاص (عب١٠: ٢٢أ) الخ.

١٨: ٢٠ يجب تفسير الآية ٢٠ في ضوء النصّ الذي يتضمّنها. فهي لا تشير إلى تركيبة كنيسة العهد الجديد بشكلها البدائي، كما أنّها لا تشير إلى مواصفات اجتماع الصلاة العام، إنّما تتحدّث عن اجتماع خاصّ تعقده الجماعة لمصالحة مؤمنَين فرّقت الخطية بينهما. ويحقّ لنا تطبيق هذه الآية على كل اجتماعات المؤمنين التي يكون المسيح هو مركزها، لكنّ النصّ هنا يختصّ بنوع واحد من الاجتماعات.

أمّا الاجتماع «باسمه» ليس امتيازًا لفريق معيّن دون الآخر؛ فلو كان الأمر كذلك لا نحصر حضور الربّ بجزءٍ صغير من جسده الذي على الأرض. فيسوع يصرّح قائلاً، إنه **حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي**، أي معترفين بي ربًّا ومخلّصًا، **فهناك أكون في وسطهم**.

د. *تعليمه عن الغفران غير المحدود* (١٨: ٢١ـ٣٥)

١٨: ٢١، ٢٢ عند هذه النقطة أثار بطرس سؤالاً يستفسر به عن عدد المرّات التي يجب عليه فيها أن يغفر لأخ أخطأ ضدّه. وربّما فكّر أنّه، باقتراحه سبع مرّات كحدّ أقصى، يظهر نعمة غير عادية. أجابه يسوع «**لا أقول لك إلى سبع مرّات لكن إلى سبعين مرّة سبع مرّات**». ولم يكن يقصد المسيح بذلك المعنى الحرفي للمسألة الحسابيّة، أي ٤٩٠ مرة؛ فهذه كانت طريقة تعبير رمزية، كقولنا "إلى ما لانهاية".

ولربما تساءل أحدهم قائلاً: "وهل من الضروري

السير في كل الخطوات المذكورة أعلاه؟ لمَ الذهاب إلى المُذنب بشكل فردي، وثمّ مع واحد أو اثنين آخرين، أخيرًا إحضاره إلى الكنيسة؟ لماذا لا نغفر وكفى، وينتهي بذلك كل الأمر؟". أمّا الجواب عن هذا التساؤل فهو أنّ هناك حلقات في السلسلة التي ترتّب مسألة الغفران، وهي كالآتي:

١ ـ متى أخطأ إليّ أخ أو أساء إليّ، يجب أن أغفر له في قلبي على الفور (أف٤ : ٣٢). فذلك يحرّرني من الشعور بالمرارة، ومن الروح غير المتسامحة، ويُلقي المسألة على كتفيه.

٢ ـ مع أنّني قد غفرت له قلبيًّا، إلاّ أنني لا أعلن له مباشرة مسامحتي له. فالمغفرة العلنية لا تنفع حتى يكون المذنب قد تاب. لذا يلزم الذهاب إليه وتوبيخه في المحبّة، أملاً بأن يقوده ذلك إلى الاعتراف والتوبة (لو١٧ : ٣).

٣ ـ حالما يعتذر الأخ ويعترف بخطيئته، أُخبره بأنّني قد غفرت له (لو١٧ : ٤).

١٨ : ٢٣ يُقدم يسوع بعد ذلك مثلاً عن ملكوت السماوات يحذر فيه من نتائج إظهار الروح غير المتسامحة من قِبَل الذين نالوا غفرانًا مجّانيًّا من الله.

١٨ : ٢٤ـ٢٧ تتحدّث القصة عن ملكٍ طلب من عبيده سدّ الدّيون المستحقّة عليهم في دفاتره. واتّفق أنّ واحدًا من الخدّام كان مديونًا له بعشرة آلاف وزنة، لكنّه كان مُفلسًا. لذا أمر سيّده أن يُباع هو وعائلته في سوق العبودية من أجل سدّ الدين. أمّا الخادم المذعور فاستجداه طالبًا منحه مزيدًا من الوقت، واعدًا بأن يدفع الجميع إذا أُعطي الفرصة لذلك.

كان مثل ذلك الخادم مثل العديد من المديونين، فقد تفاءل بشكل غير منطقي وكأنّ بإمكانه أن يفعل شيئًا لو حصل على الوقت فقط (ع٢٦) فإيرادات الجليل كلّها كانت تبلغ حوالي ٣٠٠ منا، في الوقت الذي بلغ دين هذا الرجل ١٠٠٠٠ منا! ويتعمّد الربّ ذكر التفصيل الذي يعطي قيمة ذلك المبلغ الكبير، والغرض من ذلك هزّ المستمعين وأسر انتباههم، وأيضًا تأكيد جسامة الدين لله. وقد درج مارتن لوثر على القول إننا جميعنا شحّاذون أمام الله. فلا أمل لنا بسدّ ديوننا له. عندما رأى السيد حالة خادمه التائب، ترك له مبلغ الـ١٠٠٠٠ وزنة بالكامل. هكذا نرى عرضًا ملحميًّا، لا للعدالة الإلهيّة، بل لنعمة الربّ الغنيّة.

١٨ : ٢٨ـ٣٠ كان لذلك الخادم رفيق الخدمة مديونًا له أيضًا لكن بمئة دينار (بضع مئات من الدولارات). لكن بدلاً من أن يسامحه بدينه، أمسكه من رقبته وطلب إليه تسديد المبلغ بالكامل. ولم يجد نفعًا توسُّل المدين اليائس بالتمديد. فرماه الدائن في السجن حتى يدفع له الدين. أمّا أفضل ما يقال عن حالته هناك فهو أنّ مهمّته غدت صعبةً؛ ففرصته لكسب المال ولّت طالما أنّه مرميّ في السجن.

١٨ : ٣١ـ٣٤ أخبر باقي الخدّام سيّدهم بالأمر بعدما أغضبهم هذا السلوك الشائن. عندئذٍ هاج غضب الملك على الدائن القاسي. فبعد أن غفر له دينًا كبيرًا، رفض أن يسامح صاحبه بمبلغ زهيد. لذا أعاده إلى رقابة السجّانين حتى يدفع دينه بالكامل.

١٨ : ٣٥ إنّ تطبيق هذا المثل واضح وجلي. فالله هو الملك، وعلى جميع عبيده دين عظيم في الخطية وهم عاجزون عن الدفع. لكنّ الربّ بنعمته الرائعة وحنانه الكبير، دفع

الديـن ومنح المغفـرة المجانية الكاملـة. والآن لنفترض أنّ أحد المسـيحيّين أخطـأ إلى أخيـه. وبعد التوبيـخ اعتذر وطلب المغفرة. لكنّ المؤمن المعتدي عليه رفض المسـامحة. فهو نفسه الذي سُومح بالملايين من الدولارات، يحجم عن مسامحة أخيه بمئات قليلة. فهل يسمح الملك بأن يمرّ سلوك كهذا بلا عقاب؟ كلاّ بكلّ تأكيد! فالمذنب سـيؤدّب في هذه الحياة وسيعاني خسارة كبيرة أمام كرسيّ المسيح.

هـ. تعليمه عن الزواج والطلاق والعزوبية (١٩: ١ـ١٢)

١٩: ١، ٢ بعدمـا كمّل الرب خدمتـه في الجليل، تحوّل جنوبًا نحو أورشليم. ومع أنّ طريقه الأكيدة غير معروفة، يتّضح لنا أنه سافر عبر بيريّة، من الجانب الشرقي للأردن. يتحـدّث متّى عن المنطقة بشـكل عام علـى أنّها منطقة **اليهودية من عبر الأردن**. وتمتدّ خدمة المسـيح في بيريّة من ١٩: ١ إلى ٢٠: ١٦ أو ٢٠: ٢٨؛ فإنّه من غير الواضح متى عبر الربّ نهر الأردن إلى اليهودية.

١٩: ٣ مـن المحتمل أن تكون الجموع التي احتشـدت وراءه للاستشـفاء هي التي أعلنت للفريسـيّين مكان وجـود الـربّ. لذا بـدأ هـؤلاء يتتبّعونـه من قرب كجماعة مـن الذئاب المتوحشـة، يأملـون اصطياده بالـكلام الخارج مـن فمه. وها هم يسـألونه هل يحل الطلاق لأيّ سـبب. وكيفمـا أتى جوابه فـلا بدّ أن يُغضِب قسمًا من اليهود. ففي الوقت الذي عُرفت فيه واحدة من مدارسـهم بمواقفهـا المتحرّرة جدًّا من جهة الطلاق كانت الثانية تُعرف بالتشدّد الكبير.

١٩: ٤ـ٦ أوضح ربّنا يسـوع بأنّ قصد الله في البداية قضى بأن يكون للرجل زوجة حيّة واحدة. فالله الذي خلـق الذكر والأنثى قـرّر أنّ العلاقة الزوجيّة يجب أن تحلّ محلّ العلاقة الأبويّة. وقد سبق له فأعلن أنّ الزواج هو عمليّة اتّحاد بين شـخصين. لذلك فالترتيب الإلهي يقضي بأنّ الرباط المقرّر من الله لا يحلّه قرار بشريّ.

١٩: ٧ ظـنّ الفرّيسـيّون بأنّهم أوقعوا الربّ يسـوع في تناقض فاضح مع تعليم العهد القديم. أفلم يسمح موسى بالطّلاق قديمًا؟ فقد كان باستطاعة الرّجل أن يعطي المرأة كتاب طلاق، ثمّ يُخرجها من بيته (تث ٢٤: ١ـ٤).

١٩: ٨ وافـق الربّ يسـوع على أنّ موسـى سمـح قديمًا بالطّلاق، لا لأنّه أفضل ترتيب إلهي للبشر، بل بسبب حالة الارتداد الرّوحي التي سـادت في إسـرائيل: «**إنّ موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم، لكن من البدء لم يكن هكذا**». فترتيب الله المثالي لا يحلّل الطلاق. لكنّ الربّ غالبًا ما يسمح بأحوال لا تعكس مشيئته الكاملة.

١٩: ٩ عندئـذٍ صـرّح الربّ بسـلطانه الإلهي المطلق مؤكّدًا أنّ التسـاهل القديم في مسـألة الطلاق قد ولّى إلى غـير رجعة. فمن الآن فصاعـدًا لن يكون الطلاق محلّلاً إلاّ في حالة واحدة وهي الزنى. والذي يطلّق لأيّ سبب آخر ثمّ يتزوّج ثانيةً فإنّه **يزني**.

ومـع أنّ الـربّ لم يصرّح بذلك مباشـرة، يُفهَم من كلامـه أنّ الطـرف غير المذنـب حرٌّ في أن يتـزوّج ثانية بعـد حصول الطلاق لعلّة الزنـى. أمّا الزنى المذكور هنا (*Pornea*) فيعـني عامّةً الخيانة الزوجيّة. إلاّ أنّ كثيرًا من شـرّاح الكتاب القديريـن يعتقدون أنّ الإشـارة هنا إلى الزنى الذي يسـبق الزّواج فقط (راجـع تثنية ٢٢: ١٣ـ ٢١). فيمـا يعتقد آخرون أنّ الإشـارة هي إلى أعراف الـزواج اليهودية فقط، ولذلك لا نجد "جملة الاسـتثناء"

المذكورة في سوى إنجيل متّى الموجّه لليهود (راجع الآيتين ٥: ٣١-٣٢، فهي تتضمّن شرحًا أوفى لمسألة الطلاق).

١٩: ١٠ عندما سمع التلاميذ تعليم المسيح عن الطلاق أظهروا تطرّفًا غريبًا في موقفهم. فقد استنتجوا أنّه مادام الطلاق محصورًا بسبب واحد، فالأفضل للمرء أن يبقى عازبًا لكي يتجنّب الوقوع في الخطية بعد الزّواج. لكنّ هذا لا يضمن لهم عدم الوقوع في الخطية في حال العزوبيّة.

١٩: ١١ لذا ذكّرهم المخلّص بأنّ القدرة على البقاء بلا زواج ليست هي القاعدة العامّة؛ فالّذين يختارون البقاء بلا زواج هم قلّة أُعطُوا نعمة خاصّة. أمّا قوله لهم: «**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطي لهم**»، فلا يعني أنّه لم يُعطَ للجميع القدرة على فهم هذا الكلام، بل أنّ حياة البتوليّة لا يقدر عليها إلاّ الذين دعوا إليها.

١٩: ١٢ بيّن الربّ لتلاميذه أنّه يوجد ثلاثة أنواع من الخصيان. فبعض ولدوا خصيانًا بغير قدرة طبيعيّة على التناسل. وبعض أصبحوا كذلك إذ خصاهم النّاس؛ فقد جرت العادة عند الحكّام الشرقيّين أن يخصوا الذين يخدمون في دار النّساء. لكنّ يسوع كان يفكّر في الذين **خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات**. فقد كان بمقدورهم أن يتزوّجوا لأنّهم مؤهّلون بحسب الجسد، لكن من أجل تكريسهم للملك وملكوته اختاروا التضحية بحقّ الزواج ليقدّموا ذواتهم للمسيح بالكليّة بلا شاغل. فالرّسول بولس كتب لاحقًا يقول: «غير المتزوّج يهتمّ في ما للربّ كيف يرضي الربّ» (١كو٧: ٣٢). وهكذا فاختيارهم لحياة العزوبيّة ليس لمانع جسديّ وإنّما هو تفضيل شخصي لحياة البتوليّة. لكن ليس باستطاعته جميع الرّجال أن يحيوا حياة كهذه، بل الذين نالوا قوّة من فوق: «لكنّ كل واحد له موهبته الخاصّة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا» (١كو٧: ٧).

و. تعليمه عن الأولاد (١٩: ١٣-١٥)

من اللافت للانتباه أن موضوع الأولاد يأتي بعد الحديث عن الطلاق بقليل (أنظر أيضًا مرقس ١٠: ١-١٦)؛ فإنّهم غالبًا ما يقعون ضحيّة انهيار البيوت فيعانون أشدّ الآلام بسبب ذلك.

وكان بعض الأهالي قد جاؤوا بأولادهم الصّغار ليحصلوا على بركة الراعي المعلّم. فاعتبر التلاميذ هذا العمل تدخّلاً مزعجًا وانتهروا الأهالي؛ **أمّا يسوع** فتدخّل مكلّمًا تلاميذه بكلمات قرّبت منذ ذلك الحين الأولاد بمختلف أعمارهم إلى قلبه المحبّ: «**دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأنّ لمثل هؤلاء ملكوت السماوات**».

تعلّمنا هذه الآيات عدّة دروس هامّة. فهي أولاً تحثّ خادم الربّ على الاهتمام بالوصول إلى الأطفال ذلك أن أذهانهم أكثر استعدادًا لتقبّل كلمة الله من سواهم. ثانيًا، تعلّمنا أن نشجّع الأولاد الذين يعلنون إيمانهم بالربّ يسوع لا أن نمنعهم من ذلك. فما من أحد يعلم كم هو عمر أصغر إنسان في الجحيم. لذلك يجب ألاّ نردّ أيّ ولد يعبّر عن رغبته في الخلاص لسبب صغر سنّه. لكن بالمقابل علينا ألاّ نجبر الأولاد على الاعتراف الشفوي الفارغ. كما ينبغي أن نحفظهم من أساليب التبشير الملحاحة لأنّهم ميّالون للاستجابة للدعوات العاطفيّة. هذا ولا يحتاج الأولاد أن يكبروا قبل أن يخلصوا إنّما يحتاج الكبار أن يصيروا كالأولاد (١٨: ٣، ٤؛ مر١٠: ١٥).

ثالثًا، تعطي هذه الآيات جوابًا عن السؤال التالي: «ماذا يحدث للأولاد الذين يموتون قبل إدراك سنّ المسؤوليّة؟» فالمسيح يقول: «**لمثل هؤلاء ملكوت السماوات**» وفي ذلك ما يكفي ليعطي ضمانًا كافيًا للأهل الذين خطف الموت أطفالهم منهم.

يُستخدم هذا المقطع أحيانًا للدفاع عن معمودية الأطفال لجعلهم أعضاء في جسد المسيح وورثة للملكوت العتيد. لكنّ دراسة المقطع عن كثب تبيّن أنّ الأهل جاؤوا بأولادهم إلى الربّ يسوع لا إلى جرن الاعتماد. وهذا يُظهر أنّ الأولاد كانوا في الملكوت حينذاك. زد على ذلك أنّه لا يوجد أيّ ذكر لقطرة ماء في النصّ.

ز. تعليمه عن الغنى: الشابّ الغني (١٩: ١٦ـ٢٦)

١٩: ١٦ تساعدنا هذه الحادثة على دراسة طرفي النقيض، فسنرى فيها كم يصعب على الكبار دخول الملكوت بعدما رأينا أنّ ملكوت السماوات ملك للأطفال الصّغار. فقد جاء شابّ غنيّ تبدو عليه ملامح الصّدق ليسأل يسوع سؤالاً. ووجّه الحديث إليه داعيًا إيّاه **بالمعلّم الصالح**، مستفسرًا عمّا يجب أن يفعله **لتكون له الحياة الأبديّة**. ويكشف سؤاله هذا مدى جهله بهويّة المسيح الحقيقيّة وبطريق الخلاص. فهو يدعو يسوع معلّمًا، جاعلاً إيّاه في مستوى واحد مع باقي العظماء من البشر. كما أنّه يتحدّث عن **الحياة الأبديّة** كشيء يُكتسب لا كعطيّة توهَب.

١٩: ١٧ أمّا يسوع فامتحنه في هاتين المسألتين. فبسؤاله إيّاه: «**لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلاّ واحد وهو الله**»، لم يكن يُنكر ألوهيّته بل كان يُعطي ذلك الشاب فرصة ليقول: "لهذا أدعوك صالحًا، فأنت الله".

وعندما قال له يسوع: «**لكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا**» أراد أن يمتحن معرفته بطريق الخلاص. فهو لم يعنِ بقوله أنّه من الممكن للإنسان أن يخلص بحفظه للوصايا، إنّما كان يستخدم النّاموس لمساعدة الشابّ على إدراك خطيّته القلبيّة. فالرّجل كان ما يزال تحت الاعتقاد الخاطئ بأن الملكوت ميراث يُكتسب من طريق الأعمال، فليعمل ما يقوله له النّاموس إن كان الأمر كذلك.

١٩: ١٨ـ٢٠ هنا اقتبس الربّ وصايا النّاموس الخمس المختصّة بعلاقتنا بالآخرين خاتمًا إيّاها بالقول: «**تحبّ قريبك كنفسك**». أمّا ذلك الشابّ، فإذ قد أعمت الأنانيّة عينيه، جاهر مفتخرًا بأنّه قد حفظ تلك الوصايا على الدّوام.

١٩: ٢١ عندئذٍ أسرع يسوع يكشف فشل ذلك الإنسان في محبّة القريب كالنّفس إذ طلب منه أن يبيع كل ما عنده ويعطيه للفقراء، ومن ثمّ يأتي ليتبع المسيح. لكن الربّ لم يعنِ بطلبه هذا أنّه يمكن للإنسان أن يخلص من طريق بيع مقتنياته وتوزيعها على الفقراء إحسانًا. فطريق الخلاص واحدة وهي الإيمان بالمسيح.

لكنّ الخلاص يتحقّق عندما يعترف الإنسان بخطيّته ويقرّ بأنّه لا يستطيع تحقيق مطاليب القداسة الإلهيّة. وقد أظهر انعدامُ رغبة الشابّ الغني في مشاركة مقتنياته مع الآخرين عدم محبّته لقريبه كنفسه. فكان ينبغي له أن يقول ليسوع: "إذا كان هذا هو المطلوب منّي، فأنا خاطئ أليم وعاجز عن تخليص ذاتي بمجهودي البشري. لذا أرجو منك أن تخلّصني بنعمتك الغنيّة". فلو أنّه تجاوب مع دعوة المخلّص لكان الربّ قد بيّن له طريق الخلاص.

١٩: ٢٢ بدلاً من ذلك، مضى الشاب حزينًا.

١٩: ٢٣، ٢٤ دعا تصرّف الشاب الغني يسوع للإعلان أنّه يعسر أن يدخل غنيّ إلى ملكوت السماوات. فغالبًا ما يصبح الغنى صَنمًا في الحياة؛ لأنّه من الصعب امتلاك المال بغير الاتكال عليه. لذا قال يسوع: «إنّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيّ إلى ملكوت الله». وهنا استخدم الربّ مُحسِّنًا بديعيًّا يُعرف بالمبالغة، وهو تصريح مضخَّم بغرض إحداث تأثير حيويّ لا ينتسي بسرعة.

فمن الواضح أنّه يستحيل على الجمل أن يدخل في ثقب إبرة! وكثيرًا ما اعتقد المفسّرون أنّ «ثقب الإبرة» هو الباب الصغير الذي في مدخل المدينة. فالجمل لا يستطيع الدخول من ذلك الباب إلاّ بالانحناء على الركب، لكن مع ذلك فدخوله صعب جدًّا. لكنّ الكلمة اليونانية المترجمة "إبرة" في المقطع المماثل من إنجيل لوقا هي نفسها الكلمة المستخدمة للإشارة إلى الإبرة التي يستخدمها الجرّاحون. وهكذا يتّضح أنّ الربّ كان يتكلّم عن أمر مستحيل لا عن صعوبة الدخول. فبحسب المنطق البشري لا يمكن للإنسان الغني أن يخلص.

١٩: ٢٥ بُهت التلاميذ عند سماع هذا الكلام. فقد كانوا يهودًا يعيشون تحت النّاموس الموسوي حيث وعد الله بالنجاح المادّي لمن يطيعونه. لذا اعتبروا الغنى دليلاً على مباركة الله للإنسان. فإنّ كان مستحيلاً على الذين يتمتّعون ببركة الله أن يخلصوا فمن تراه يستطيع؟

١٩: ٢٦ أجاب الربّ قائلاً: «هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع». ومن المستحيل بشريًّا أن يخلص أحد؛ فالله وحده هو القادر على تخليص النّفس. لكنّه أصعب أن يُسلِّم الغني إرادته للمسيح من أن يفعل الفقير ذلك، وتشهد على ذلك قلّة الذين يخلصون بين الأغنياء في العالم. فمن الصعب عليهم اعتماد الإيمان بمخلِّص غير منظور بدلاً من الاتّكال على الوسائط الماديّة المنظورة لتأمين الحياة. لكنّ الله دون سواه قادر على إجراء تغيير كهذا.

غالبًا ما يؤكّد المفسّرون والوعّاظ هنا أنّ من الجائز تمامًا أن يكون المؤمن المسيحي غنيًّا. ومن الغريب أنّهم يستخدمون في تبريرهم لتجميع الثروات الأرضيّة مقطعًا يعلن الربّ فيه أنّ الغنى المادي يعوّق تحقيق نعيم الإنسان الأبدي! فإنّه يصعب علينا أن نرى كيف يمكن للمؤمن المسيحي أن يلتصق بالغنى المادي في ضوء الاحتياجات الملحّة في كل مكان وأمر الربّ الواضح بعدم اكتناز كنوز على الأرض. فادّخار الأموال الطائلة دينونة لنا لأنّه دليل على عدم محبّتنا للقريب كنفوسنا.

ح. تعليمه عن الحياة المضحّية (١٩: ٢٧-٣٠)

١٩: ٢٧ لقد أمسك بطرس بطرف الحقيقة في تعليم المسيح. لذلك جاهر بطرس، إذ قد أيقن أنّ يسوع يدعو قائلاً: «أترك كل شيء واتبعني»، بأنّه فعل ذلك تمامًا هو ورفاقه التلاميذ؛ ثمّ أضاف يسأل: «فماذا يكون لنا؟» وهنا تظهر لنا بوضوح طبيعة بطرس القديمة وتفكيره بنفسه. فقد كان يساوم مع الربّ، ويجب أن نحترز من ظهور هذه الرّوح فينا نحن المؤمنين.

١٩: ٢٨، ٢٩ لكنّ الربّ أكّد لبطرس أنّه سيكافئه بغنى على كل ما فعله من أجله. هكذا سوف تكون للاثني عشر مراكز في السّلطة أثناء الملك الألفي. فكلمة التّجديد هنا تشير إلى ملك المسيح المستقبلي على الأرض؛ ويشرح يسوع هذه العبارة بقوله: «متى جلس ابن

الإنسان على كرسيّ مجده». وقد سبق لنا أن أشرنا أنّ هذه المرحلة هي مرحلة ظهور الملكوت. فأثناءها سيجلس التلاميذ الإثنا عشر **على اثني عشر كرسيًّا يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر**. وغالبًا ما ترتبط مكافآت العهد الجديد بالمراكز الإداريّة في الملك الألفي (أنظر لوقا ١٩: ١٧، ١٩). فهي تُمنح للمؤمنين أمام كرسي المسيح ثمّ تتحقّق عند رجوع الربّ ليملك على الأرض.

لكن بالنسبة إلى المكافآت العامّة للمؤمنين، أضاف الربّ يقول: **وكلّ من ترك بيوتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًّا أو امرأة أو أولادًا أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبديّة**. نَعَم، سيتمتّع المؤمنون في هذه الحياة بالشركة العامّة بعضهم مع بعض، وسيعوّض ذلك عليهم ما فقدوه من روابط أرضيّة. فإنّهم سينالون عوضًا عن البيت الواحد الذي فقدوه مئة بيت مسيحي يستقبلهم بحرارة. كما سيعوّض لهم الربّ عن الأراضي والخسائر الماديّة الأخرى بغنى روحي يفوق كل حسبان وثمن. أمّا في المستقبل فسيُكافأ جميع المؤمنين بالحياة الأبديّة. لكن هذا لا يعني أنّنا سنحصل على الحياة الأبديّة من طريق التضحية وترك كل شيء. لا، بل يعني هذا أنّ الذين تركوا الكلّ من أجله سيحصلون على قدرة مضاعفة للتمتّع بالحياة الأبديّة في السّماء مكافأةً لهم. فمع أنّ الحياة الأبديّة ميراث لكلّ المؤمنين، فإنّ درجة التمتّع بها تختلف من واحد لآخر.

١٩: ٣٠ على أنّ الربّ يختم ملاحظاته بتحذير تلاميذه من روح المساومة. فكأنّه كان يقول لبطرس: "صحيح أنّي سأكافئك على كلّما تفعله لأجلي، لكن احذر من أن تكون مدفوعًا لعملك باعتبارات أنانيّة". لأنّه في تلك الحال، **كثيرون أوّلون يكونون آخرين وآخرون أوّلين**. ويوضح الربّ هذا المبدأ بمثلٍ يتناوله في الفصل التالي. كما قد يكون في تصريح المسيح هذا تنبيه إلى أنّه لا يكفي أن نبدأ حياة التلمذة للمسيح حسنًا لكنّ الأهم هو كيف نُنهي مسيرتنا.

وقبل الانتقال إلى جزء آخر من النصّ، يجب أن نذكّر أنّ عبارتي «ملكوت السماوات» و «ملكوت الله» تُستخدمان في الآيتين ٢٣، ٢٤ بطريقة قابلة للتبادل، فهما بالتّالي عبارتان مترادفتان.

ط. تعليمه عن مكافأة الفعلة في الكرم (٢٠: ١ـ١٦)

٢٠: ١، ٢ يشكّل هذا المثل استمراريّة لحديث الربّ عن المكافآت في نهاية الفصل ١٩. وهو يصوّر لنا الحقيقة القاضية بأنّ ترتيب المكافآت ستحدّده الروح التي تحلّت بها خدمة كل تلميذ، مع العلم بأنّ الربّ سيكافئ جميع التلاميذ الحقيقيّين.

ويصف هذا المثل **رجلاً ربَّ بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه**. واتّفق هؤلاء الرّجال معه على العمل مقابل دينار واحد في اليوم، وهي أجرة مقبولة بحسب ذلك الزّمان. ولنفترض أنّهم يعملون عند الساعة السادسة صباحًا.

٢٠: ٣، ٤ ثمّ نحو الساعة التّاسعة صباحًا وجد ربّ البيت **فعلة آخرين في السّوق بطّالين**. لكنّنا لا نقرأ في هذه الحال عن أيّ اتّفاق جرى معهم حول أجرة العمل. فالفعلة ذهبوا للعمل عند وعده لهم بأن **يعطيهم ما يحقّ لهم**.

٢٠: ٥ـ٧ ثمّ خرج ربّ البيت عند الظهر وعند الساعة الثالثة من بعد الظهر فاستأجر آخرين أيضًا واعدًا إيّاهم بأن يعطيهم أجرة عادلة. وفي الخامسة مساءً وجد آخرين بطّالين، لكن ليسوا كسالى بل لم يستأجرهم أحد للعمل. فأرسلهم إلى الكرم دون أيّ حديث عن الأجرة.

وتجدر الملاحظة إلى أنّ الفعلة الأوائل استؤجروا بعد اتّفاق ومساومة على الأجرة. أمّا كل الباقين فقد تركوا مسألة دفع الأجرة لربّ البيت.

٢٠: ٨ وعندما انتهي النهار أوصى صاحب الكرم وكيله بدفع الأجرة للفعلة، **مبتدئًا من الآخرين وانتهاءً بالأوّلين.** (وهكذا أتيحت الفرصة للفعلة الذين استؤجروا أولاً أن ينظروا الأجرة التي حصل عليها الآخرون).

٢٠: ٩ـ١٢ لكنّ الأجرة كانت واحدةً للجميع: دينارًا واحد. ولم ينل فعلة السّاعة السادسة إلاّ دينارًا واحدًا، مع أنّهم ظنّوا أنّهم سيأخذون أكثر من رفاقهم. وهكذا ساورهم شعور بالمرارة والتذمّر، فقد اعتبروا أنّهم اشتغلوا وقتًا أطول إذ **احتملوا ثقل النّهار والحرّ.**

٢٠: ١٣، ١٤ هذا ونستخلص من جواب ربّ البيت لأحد هؤلاء الفعلة دروسًا روحيّةً دائمةً. فقد وجّه له الحديث قائلاً: «**يا صاحب ما ظلمتك. أما اتّفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فإنّي أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك**». فالفعلة الأوّلون اتّفقوا معه على دينار في اليوم أجرة لعملهم. أمّا الآخرون فقد اتّكلوا على رحمة ربّ البيت فنالوا نعمةً لديه، والنّعمة أعظم من العدل. وأفضل لنا أن نترك للربّ مسألة مكافأتنا من أن نساومه على الأجرة.

٢٠: ١٥ ثمّ مضى ربّ البيت يقول: «**أو ما يحلّ لي أن أفعل ما أريد بما لي؟**» ونتعلّم من هذه الآية درسًا بأنّ الله صاحب السّيادة وهو يفعل بحسب مسرّته، ومسرّته دائمًا محقّة وصالحة وعادلة. ثمّ أضاف ربّ البيت: «**أم عينك شريرة لأنّي أنا صالح؟**» ويكشف هذا السؤال ميل البشر للأنانيّة. فقد تقاضى فعلة السّاعة السادسة صباحًا كل ما يستحقّونه من أجر، لكن مع ذلك فقد غاروا من الآخرين الذين أخذوا نفس الأجر مع أنّهم عملوا ساعاتٍ أقلّ. ولنقرّ بأنّ هذا الأمر يبدو لكثيرين منّا غير عادل أيضًا. ويرينا ذلك أنّه يجب علينا اعتماد طريقة تفكير جديدة كليًّا في ملكوت السماوات، إذ نترك روح الجشع والمنافسة ونُفكّر فكر المسيح.

عرف ربّ البيت أنّ كل هؤلاء الرّجال كانوا يحتاجون إلى المال؛ فدفع لهم بحسب احتياجهم لا بحسب طمعهم. هذا ولم يتقاضَ أيّ منهم أقل من استحقاقه، بل أخذ الجميع ما احتاجوا لنفوسهم وعائلاتهم. ويلخّص جايمس ستيورات *James Stewart* الدّرس المتضمّن في هذا المثل قائلاً: "لن يفلح من يساوم مع الله حول المكافآت الأبديّة البتّة، فمراحم الربّ ستكون لها دائمًا كلمة الفصل النهائيّة". وكلّما أمعنّا النظر في هذا المثل أدركنا أنّه ليس عادلاً فحسب بل هو مثل جميل جدًا. فكان ينبغي على الذين استؤجروا في السّاعة السادسة صباحًا أن يَعتبروا خدمتهم امتيازًا عظيمًا لهم إذ قد خدموا سيّدًا رائعًا اليوم كلّه.

٢٠: ١٦ ويختم الربّ يسوع هذا المثل بقوله: «**هكذا يكون الآخرون أوّلين والأوّلون آخرين**» (أنظر ١٩: ٣٠). فعمليّة توزيع المكافآت ستحمل لنا المفاجآت. لأنّ

الذين يظنّون أنّهم سيكونون أوّلين سيصبحون آخرين لأنّ خدمتهم كانت مدفوعة بالكبرياء والطموحات الأنانيّة. أمّا الذين خدموا بدافع المحبّة والامتنان فسينالون مكافأة جزيلة.

الأعمال المستحقّة كما حسبناها
سيُظهرها الربّ خطايا مجرّدة
والأعمال الصغيرة التي نسيناها
سيرينا أنّها له ممجّدة

الكاتب مجهول

ي. تعليمه عن موته وقيامته (٢٠: ١٧ـ١٩)

يظهر جليًّا أنّ الربّ كان يهمّ بترك بيريّة في طريقة نحو أورشليم مرورًا بأريحا (أنظر ع٢٩). وأخذ الاثني عشر مرّة أخرى ليخبرهم بما سيحصل لهم بعد الوصول إلى المدينة المقدّسة. فهو **سيُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة**، ولا شكّ بأنّ في ذلك إشارة إلى خيانة يهوذا له. بعد ذلك **يحكم عليه** رؤساء اليهود **بالموت**. ولأنّ لا سلطة لهم على قتله فسيسلمونه **إلى الأمم** (أي الرّومان)، فيهزأون به ويجلدونه ويصلبونه. لكنّ الموت لن يتمكّن منه **فهو سيقوم في اليوم الثالث**.

ك. تعليمه عن المراكز في الملكوت (٢٠: ٢٠ـ٢٨)

بعدما أنبأ الربّ تلاميذه ثالث مرّة بآلامه الوشيكة لم يكترثوا لذلك أبدًا بل فكّروا على الفور بمجدهم الذاتي. وهذا تعليق مؤسف على طبيعة الإنسان البشريّة.

تبع نبوّة المسيح الأولى عن آلامه اعتراض بطرس عليها (١٦: ٢٢)؛ في حين تبع نبوته الثانية مباشرة سؤال التلاميذ له «من يكون الأعظم...؟» وهنا تتّصل أيضًا نبوّته الثالثة بطلب يعقوب ويوحنّا الأناني. فقد أصرّا على إغلاق أذنيهما عن سماع الإنذارات القاضية بآلام المسيح، وفتحاها فقط لالتقاط الوعد بالمجد العتيد. وهكذا حصلا على نظرة ماديّة خاطئة عن ملكوت السماوات.

٢٠: ٢٠، ٢١ وجاءت أمّ يعقوب ويوحنّا تطلب من المسيح أن يجلس ابناها إلى جانبي الربّ في ملكوته. وينبغي مدح تلك المرأة أولاً لأنّها أرادت أن يكون ولداها قريبين من الربّ يسوع، إذ لم تفقد الأمل بحلول ملكه الآتي. لكنّها لم تفهم المبادئ التي تُوزَّع بحسبها مراكزُ المجد في الملكوت.

ويخبرنا مرقس في إنجيله أنّ الابنين أتيا بأنفسهما يطلبان ذلك الأمر (مر ١٠: ٣٥)؛ ولا ضرورة لوجود تناقض في الحادثة؛ فربّما أتى الثلاثة معًا أو أنّ الأمّ أو عزت إلى ابنيها بالمسألة فتكلّما إلى الربّ كما أرشدتهما.

٢٠: ٢٢ أمّا يسوع فأجاب مؤكّدًا لهما أنّهما لا يفهمان ما يطلبان. فقد كانا يطلبان إكليلاً بلا صليب، وعرشًا بلا مذبح، ومجدًا بغير الآلام التي تشكّل الطريق إليه. لذلك سألهما الربّ مستفسرًا: «**أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا؟**» ولم يترك يسوع في حيرة ممّا قصده بالكأس. فهو سبق فأشار في الآيتين ١٨، ١٩ إلى أنّها كأس آلامه موته. أمّا يعقوب ويوحنّا فأسرعا للتعبير عن قدرتهما على الاشتراك في آلامه، مع العلم بأنّ يقينهما هذا كان مؤسّسًا على الحماسة الشخصيّة أكثر ممّا هي مبنيّة على المعرفة الكاملة.

٢٠: ٢٣ لكنّ يسوع أكّد لهما بأنّهما سيشربان كأس آلامه، فيعقوب سيُستشهَد ويوحنّا سيُضطهَد ويُنفى إلى جزيرة بطمس. وقد قال روبرت ليتل *Robert Little* عنهما: "قضى يعقوب شهيدًا في مماته، أمّا يوحنّا فعاش شهيدًا في حياته". مع ذلك أردف يسوع يشرح لهما أنّه لا يقدر أن يمنح مراكز الشرف في الملكوت لأيّ كان بشكل اعتباطي؛ فالآب السماوي سبق فوضع أساسًا معيّنًا ستُمنح تلك المراكز بحسبه. لقد حسبا أنّ موضوع المحسوبيّة السياسيّة تدخل في الأمر. فبما أنّهما كانا من المقرّبين إلى المسيح فلا شكّ بأنّ لهما الحقّ في المطالبة بمراكز مميّزة لكليهما. لكنّ المسألة لم تكن مسألة تفضيل شخصي، فقد قرّر الله في مشورته الإلهيّة أن تُعطى المراكز التي عن يمين يسوع وعن يساره بحسب مقدار الألم من أجل المسيح. وذلك يعني أنّ مراكز الشّرف في ملكوت المسيح لا تقتصر على مؤمني القرن الأوّل المسيحيّين. بل قد تكون من نصيب بعض الذين يعيشون في أيّامنا هذه (من طريق الآلام).

٢٠: ٢٤ لمّا سمع العشرة اغتاظوا من أجل طلب ابني زبدي هذا. وقد يرجع غيظهم إلى أنّهم كانوا يبتغون لأنفسهم مراكز العظمة تلك، واستاؤوا من يعقوب ويوحنّا لأنّهما سبقاهم إلى طلب ذلك من الربّ!

٢٠: ٢٥ـ٢٧ اغتنم الربّ يسوع هذه الفرصة ليصرّح تصريحًا فريدًا بشأن العظمة في ملكوته. فالأمم يقيسون العظمة بالسّيادة والحكم، لكن في ملكوت المسيح تظهر العظمة في الخدمة. وكلّ من يصبو إلى العظمة ينبغي له أن يصبح خادمًا. فمن أراد أن يكون أولاً ينبغي أن يصبح عبدًا.

٢٠: ٢٨ إنّ ابن الإنسان أعظم مثال للتواضع في الخدمة. فقد جاء إلى العالم لا لكي يُخدَم بل ليخدِم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين. وبالإمكان اختصار هدف التجسد بكاملة في كلمتين هما: الخدمة والعطاء. ونندهش كلّما فكّرنا بأنّ الربّ في مجده تواضَعَ إلى مستوى المذود وصليب العار. فأُعلنت عظمته لنا في عمق تواضعه بيننا. لذا يجب أن تصحّ فينا أيضًا حال الرّفعة هذه.

لقد بذل الربّ نفسه فدية عن كثيرين، فوفّى بموته كل مطالب الله العادلة من نحو الخطية. وفي حين كان موته كافيًا لرفع خطايا كل العالم، فإنّ فعّاليّة ذلك الموت انحصرت بالذين قبلوه ربًّا ومخلّصًا لهم، فهل قبلته لك فاديًا؟

ل. شفاء الأعميين (٢٠: ٢٩ـ٣٤)

٢٠: ٢٩، ٣٠ أمّا الآن فقد عبر يسوع الأردن من بيريّة ووصل إلى أريحا. وفيما هو يهمّ بترك المدينة صرخ أعميان قائلين: «ارحمنا يا سيّد يا ابن داود». وأظهر استخدامهما للقب ابن داود أنّه بالرّغم من عماهما الجسدي كان عندهما رؤية روحيّة ثاقبة جعلتهما يميّزان أنّ يسوع هو المسيّا. وقد يكون هذان رمزًا للبقيّة المؤمنة التي ستعترف بيسوع أنّه المسيح عند رجوعه للمُلك عندما تكون الأُمّة في حالة من العمى الروحي (إش٣٥: ٥؛ ٤٢: ٧؛ رو١١: ٢٥، ٢٦؛ ٢كو٣: ١٦؛ رؤ١: ٧).

٢٠: ٣١ـ٣٤ حاول الجمع إسكات الأعميين، لكنّهما كانا يصرخان بأكثر لجاجة. وعندما سألهما يسوع عمّا يريدانه، لم يستفيضا بسرد التّفاصيل كما نفعل نحن في صلواتنا، بل كشفا له مباشرة لبّ احتياجهما قائلين:

«**يا سيّد أن تنفتح أعيننا**». لذا نال طلبهما المحدّد استجابة محدّدة أيضًا **إذ تحنّن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه**. ويعلّق جابلين *Gaebelein* على لمس المسيح لهما قائلاً:

"سبق فعرفنا المعنى الرمزي للمسة الشفاء في هذا الإنجيل. فكلّما شفى الربّ إنسانًا بلمسة ما، كان في ذلك إشارة إلى تدبير حضوره الشخصي على الأرض ومعاملاته الرّحيمة مع الأمّة اليهودية. أمّا عندما كان يشفي بكلمة منه حيث يكون غائبًا في الجسد، أو عندما يُلمَس بالإيمان، فذلك رمز إلى التدبير الذي يكون الربّ فيه بعيدًا عن الأرض شافيًا الأمم الذين يقتربون إليه بالإيمان".

توجد بعض الصّعوبات في التّوفيق بين سرد متّى لهذه الحادثة وسرد مرقس ولوقا لها (مر ١٠: ٤٦ـ٥٢؛ لو١٨: ٣٥ـ٤٣؛ ١٩: ١) فمتّى يذكر أعميين اثنين فيما يذكر كل من مرقس ولوقا أعمى واحدًا. وقد اقترح بعضهم أنّ مرقس ولوقا يذكران الرّجل المعروف بين الأعميين وهو بارتيماوس، فيما يذكر متّى، بحكم كونه يكتب لليهود خاصّةً، أعميين اثنين لأنّ هذا العدد هو الحدّ الأدنى للشّهادة المقبولة عندهم (٢كو١٣: ١). هذا ويذكر متّى ومرقس أنّ حادثة الشّفاء تلك حصلت عندما كان يسوع يغادر أريحا. أمّا في لوقا فتحصل الحادثة ويسوع يقترب من أريحا. لكن في الواقع كان يوجد مدينتان تدعيان أريحا، وهما أريحا القديمة وأريحا الجديدة. وربّما حدثت معجزة الشّفاء تلك بينما كان يسوع يترك الواحدة ويهمّ بدخول الأخرى.

١٢ـ تقديم الملك ورفضه (اص٢١-٢٣)

أ. دخول الملك المنتصر (٢١: ١ـ١١)

٢١: ١ـ٣ أثناء صعود الربّ من أريحا سار بمحاذاة الطرف الشرقي **لجبل الزيتون** حيث كانت تقع قريتا بيت عنيا **وبيت فاجي**. ومن هناك كانت الطريق تلتفّ حول الطرف الجنوبي لجبل الزيتون ذاك، ثمّ تنحدر نزولاً إلى وادي يهوشافاط، ومن ثمّ تصعد إلى أورشليم قاطعةً مسيل قدرون.

أرسل الربّ اثنين من تلاميذه إلى بيت عنيا وهو يعلم مسبقًا أنّهما سيجدان فيها **أتانًا مربوطة وجحشًا معها**. وأوصاهم أن يحلّا البهيمتين ويأتيا بهما إليه. وإذا سُئلا لماذا يحلّانهما يقولان إنّ **الربّ محتاج إليهما**، وعندئذ يوافق صاحبهما على الأمر. ولربّما كان صاحب البهيمتين يعرف يسوع وقد سبق له أن عرض مساعدته هذه على المسيح. لكن قد يكون في هذه الحادثة عرض لمعرفة المسيح الكليّة وسلطته الإلهيّة الكاملة. فقد تمّت كل الأحداث تمامًا كما تنبّأ بها يسوع.

٢١: ٤، ٥ أمّا مطالبة يسوع بالبهيمتين فقد تمّمت نبوّات إشعياء وزكريّا القائلة: «قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان».

٢١: ٦ بعدما فرش التلاميذ ثيابهم على البهيمتين، جلس يسوع على الجحش (مر ١١: ٧) وتقدّم داخلاً إلى أورشليم. وهكذا سجّلت تلك الحادثة لحظة تاريخيّة حاسمة. فقد انتهى عندها ستّة وتسعون أسبوعًا من أسابيع نبوّة دانيآل، بحسب روبرت أندرسن *Robert Anderson*. وبعد ذلك سيُقطَع المسيح (أنظر دانيآل٩: ٢٦).

وقد قصد الربّ يسوع بدخوله إلى أورشليم بهذه الطريقة أن يعلن بكلّ تأكيد ووضوح بأنّه المسيّا المنتظر. ويعلّق لانج *Lange* على هذا بالقول:

"تمّم يسوع بشكل متعمّد نبوّة كان الجميع في أيّامه يرون فيها إشارة إلى المسيّا المنتظر. وإن كان في السابق قد رأى خطورةً في مجاهرة بعضهم به كالمسيح، فإنّه الآن يحسب السكوت أمرًا لا يُعقل... وبعد الآن لن يقدر أحد أن يقول إنّ يسوع لم يعلن أبدًا هويّته الكاملة بشكل لا لبس فيه. فحين تتّهم أورشليم لاحقًا بأنّها قتلت مسيح الله لن يكون باستطاعتها الادّعاء بأنّ المسيح أخفق في إعطاء علامة مفهومة للجميع عن هويّته.

٢١: ٧، ٨ دخل الربّ إلى المدينة على سجّادة من **الثياب** وأغصان من شجر النّخل، وكانت أصوات الهتاف من أفواه الجمع تطنّ في أذنيه. فقد اعترفوا به ملكًا ولو لحظةً من الزمان.

٢١: ٩ كانت الجموع تصرخ «**أوصنّا لابن داود، مبارك الآتي باسم الربّ**». وينطبق هذا القول المقتبس من **المزمور ١١٨: ٢٥، ٢٦** بشكل واضح على مجيء المسيح. وتعني عبارة «أوصنّا» في الأصل "خلّص الآن". فربّما كان الشعب يعني بذلك "خلّصنا من الرّومان الظالمين". لكنّ الكلمة غدت لاحقًا تعبيرًا عن المديح للربّ. أمّا الجملتان، «**ابن داود**» و «**مبارك الآتي باسم الربّ**» فتشيران بوضوح إلى أنّ الشعب كان يعترف بيسوع أنّه المسيح. فهو المبارَك الذي أتى بقوّة الربّ ليفعل مشيئته. ويضيف البشير مرقس في تسجيله لصراخ الشعب جملة، «مبارك مملكة أبينا داود الآتية باسم الربّ» (مر ١١: ١٠). وهذا يشير إلى أنّ الشعب ظنّ أنّ المملكة كانت على وشك القيام بجلوس المسيح على عرش داود. وهتاف الجموع «**أوصنّا في الأعالي**» كانت تدعو السماء لتشترك مع الأرض في التسبيح للمسيح، وربّما كانت تدعوه ليخلّص من أعلى السماوات.

ويسجّل مرقس في ١١: ١١ أنّ يسوع ذهب إلى الهيكل عندما وصل إلى أورشليم، وليس إلى داخل الهيكل، إنّما إلى الساحة الخارجيّة. ومع أنّه من المسلّم به أنّ الهيكل بيت الله، فإنّ يسوع لم يعتبره بيته، لأنّ الكهنة ورؤساء الشعب رفضوا أن يعطوه مكانه الشرعيّ. وبعدما نظر الربّ من حوله بسرعة، مضى مع الاثني عشر إلى بيت عنيا، وكان ذلك مساء الأحد.

٢١: ١٠، ١١ في ذلك الوقت، حصل ارتباك داخل المدينة بشأن هويّته. أمّا الذين سألوا عن تلك الهويّة أتاهم الجواب مؤكّدًا هذا هو **يسوع النبيّ الذي من ناصرة الجليل**. ويظهر من ذلك أنّ الذين عرفوا بأنّه المسيح كانوا قلّة، فقبل انتهاء الأسبوع سنرى ذاك الشعب المتقلّب يصيح: «اصلبه! اصلبه!».

ب. *تطهير الهيكل* (٢١: ١٢، ١٣)

٢١: ١٢ طرد يسوع الروح التجاريّة من الهيكل ونواحيه في بداية خدمته العلنيّة (**يوحنّا ٢: ١٣ـ١٦**). ولكن عادت روح الانتفاع والمكاسب الكبيرة فاستشرت ثانيةً في الساحة الخارجيّة للهيكل. فكانت حيوانات الذبائح والطيور تُشترى وتُباع بأثمان باهظة. وكان **الصيارفة** يأخذون أجرًا كبيرًا ليستبدلوا بالعملات الأخرى نصف الشاقل الذي كان على اليهود دفعه ضريبة للهيكل. والآن وقد اقتربت خدمة يسوع من النهاية، طرد ثانيةً أولئك الذين كانوا

ينتفعون من الخدمات المقدّسة.

٢١: ١٣ دان الربّ يسوع انتهاك المقدّسات والروح التجاريّة مستشهدًا بإشعياء وإرميا. فباقتباسه من إشعياء٥٦: ٧، ذكّرهم بأنّ الله قصد للهيكل أن يكون **بيت الصلاة**، أمّا هم فجعلوه **مغارة لصوص** (إر٧: ١١).

وكان تطهير الهيكل هذا أوّل عمل رسميّ يفعله المسيح بعد دخوله إلى أورشليم. وقد أكّد بواسطته بشكل جليّ سيادته على الهيكل.

وتحمل هذه الحادثة رسالةً مزدوجة لأيّامنا هذه. ففي حياتنا الكنسيّة نحتاج إلى القوة المطهّرة لنزع البازارات وأطعمة العشاء ومختلف الأساليب التي تبغي مجرّد جمع المال. أمّا في حياتنا الشخصيّة فتوجد حاجة دائمة لخدمة الربّ المطهّرة لأجسادنا التي هي هيكل الروح القدس.

ج. *سخط الكهنة والكتبة* (٢١: ١٤ـ١٧)

٢١: ١٤ نرى الربّ في المشهد التالي يشفي العُرج والعمي في الساحة الخارجيّة للهيكل. فلقد اجتذب المحتاجين إليه أينما ذهب، ولم يصرفهم البتّة إلا وقد لبّى حاجاتهم.

٢١: ١٥، ١٦ لكنّ العيون المعادية كانت تراقب خدمته. فعندما سمع رؤساء الكهنة والشعب هتاف الأولاد ليسوع بوصفه ابن داود، غضبوا وقالوا: «**أتسمع ما يقول هؤلاء؟**» وكأنّهم توقّعوا منه منع الأولاد من تلقيبه بالمسيح! فلو أنّ يسوع لم يكن المسيح حقًّا لكان هذا الوقت أنسب فرصة له ليعلن ذلك مرّة وللأبد. لكنّ جوابه أشار إلى أنّ الأولاد كانوا على حقّ. واقتبس يسوع المزمور٨: ٢ من الترجمة السبعينيّة قائلاً: «**من أفواه الأطفال والرضّع هيّأت تسبيحًا**». فإذا كان الكهنة والكتبة لا يسبّحونه بوصفه المسيح رغم ادّعائهم بالمعرفة، فإنّ الأولاد سيقدّمون عندئذٍ العبادة للربّ، وكثيرًا ما تكون للأولاد بصيرة روحيّة تفوق أعمارهم الصغيرة، ويُنشئ كلامهم المجبول بالإيمان والمحبّة مجدًا عجيبًا لاسم الربّ.

٢١: ١٧ عاد يسوع إلى بيت عنيا وقضى الليل هناك تاركًا القادة الدينيين ليفكّروا في تلك الحقيقة التي علّمهم إيّاها.

د. *شجرة التين غير المثمرة* (٢١: ١٨ـ٢٢)

٢١: ١٨، ١٩ عندما رجع الربّ إلى أورشليم في الصباح جاء إلى شجرة تين متوقّعًا أن يجد فيها ثمرًا يُشبع جوعه. فلمّا لم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط، قال: «**لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد**»، فيبست التينة في الحال.

وفي رواية البشير مرقس للحادثة (١١: ١٢ـ١٤) يضيف معلّقًا بأنّه لم يكن موسم التين. لذلك تبدو إدانة يسوع للشجرة بسبب عدم إثمارها وكأنّها غير منطقيّة وغير مقبولة. ولكننا نعرف أنّه لا يمكن للربّ أن يخطئ، فكيف نفسّر هذه الصعوبة الكتابيّة؟

كانت أشجار التين في الأراضي التي دارت فيها أحداث الكتاب المقدّس، تنتج ثمرًا مبكرًا صالحًا للأكل قبل ظهور الأوراق. وكان ذلك يبشّر بالمحصول الآتي في موسمه العادي. فعدم ظهور التين المبكر، كما كانت الحال في تلك الشجرة، كان دليلاً على أنّ الشجرة لن تحمل تينًا في موسمها الطبيعي لاحقًا.

وهذه هي المعجزة الوحيدة التي فيها لعن الربّ عوضًا عن أن يبارك وأهلك بدلاً من أن يحيي. وقد أثار بعضهم هذه الحادثة كصعوبة كتابيّة. لكنّ ذلك الانتقاد ينمُّ عن جهل بشخص المسيح؛ فهو الله سيّد الكون، ولا نستطيع تفسير كل أعماله في الخليقة، لكن علينا أن ننطلق من الافتراض الذي يسلّم مسبقًا بأنّه دائمًا على حقّ. ففي هذه الحالة، عرف الربّ أنّ شجرة التين تلك لن تحمل ثمرًا البتّة، ولذلك تصرّف كفلاّح يقلع الشجرة من البستان.

كان لِعْنُ المسيح لتلك الشجرة عملاً رمزيًّا، وهذا ما يُسلّم به حتى الذين ينتقدون الربّ. ففي هذه الحادثة يكشف المخلّص لنا حقيقة ذلك الترحيب الصاخب الذي قوبل به وهو يهمّ بالدخول إلى أورشليم. وتمثّل شجرة التين أمّة إسرائيل كما كانت تمثّلها أيضًا الكرمة وشجرة الزيتون. فحينما جاء يسوع إلى الأمّة كان فيها أوراق ما هي إلاّ مظاهر الإيمان، لكن لم يكن لديها ثمر حقيقيّ للربّ. أمّا يسوع فكان يتوق لرؤية ذلك الثمر الحقيقي في الأمّة.

ولأنّه لم يكن في تلك الشجرة ثمر مبكّر، عرف الربّ أنّه لن يظهر ثمر البتّة من ذلك الشعب غير المؤمن، لذلك لعن شجرة التين. كانت تلك الحادثة صورة مسبقة عن القضاء الذي سيقع على الأمّة في السنة ٧٠ ميلاديّة.

لكن علينا أن نتذكّر أنّه في الوقت الذي سيبقى فيه غير المؤمنين من شعب إسرائيل بلا ثمر إلى الأبد، فإنّ بقيّة الأمّة سترجع إلى المسيح بعد الاختطاف، وسوف تثمر أثناء الضيقة العظيمة وفي فترة الملك الألفي.

ومع أنّ التفسير الرئيسي لهذا المقطع يختصّ بالأمّة القديمة، فإنّ تطبيقه يصحّ أيضًا في جميع الناس الذين يتّصفون بالكلام الرفيع والسلوك الوضيع.

٢١: ٢٠ـ٢٢ عبّر التلاميذ عن تعجّبهم عندما يبست التينة في الحال، فأخبرهم يسوع بأنّ بإمكانهم صنع معجزات أعظم من تلك إذا توفّر لديهم الإيمان. فعلى سبيل المثل، يمكنهم أن يقولوا للجبل: «**انتقل وانطرح في البحر فيكون**». «**وكلّ ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه**».

ومرّة ثانية، يجب أن نوضح أنّ مواعيد استجابة الصلاة، هذه التي تبدو كأنّها غير مشروطة، ينبغي أن نفهمها في ضوء كل ما يُعلّمه الكتاب المقدّس عن هذا الموضوع. فالآية ٢٢ لا تعني أنّه يمكن للمؤمن أن يسأل ما يريد ويتوقّع الحصول عليه، وإنّما عليه أن يصلّي وفقًا للشروط المذكورة في الكتاب المقدّس بمجمله.

هـ. *التشكيك بسلطان يسوع* (٢١: ٢٣ـ٢٧)

٢١: ٢٣ عندما جاء يسوع إلى الساحة الخارجيّة المحيطة بالهيكل، قاطعه **رؤساء الكهنة والشيوخ** وهو يعلّم ليسألوه عن مصدر **سلطانه** في التعليم وصنع المعجزات وتطهير الهيكل. وكانوا يأملون أن يصطادوه كيفما أتى جوابه لهم. فإذا ادّعى بأنّ سلطانه من ذاته لكونه ابن الله، فسوف يتّهمونه بالتجديف. وإذا قال إنّ سلطانه من الناس، فسوف يكذّبونه، وإذا ادّعى أنّ سلطانه من الله سوف يتحدّونه. لقد اعتبروا أنفسهم حماة للإيمان، وذوي مناصب حصلوا على التدريب اللاّهوتي والتعيين البشري اللّذين يسمحان لهم بقيادة حياة الشعب الدينيّة. لكنّ يسوع لم يكن عنده ثقافة مدرسيّة

ولم ينل أبدًا أوراق اعتماد من حكّام إسرائيل. لذلك كان تحدّيهم له يعكس الاستياء القديم الذي شعر به رجال الدّين المحترفون ضدّ الناس ذوي المسحة الإلهيّة.

٢١: ٢٤، ٢٥ أظهر الربّ استعداده لأن يشرح لهم أمر سلطانه إن هم أجابوه عن السؤال التالي، «**معمودية يوحنّا من أين كانت، من السماء أم من الناس؟**»، ومعمودية يوحنّا هنا تشمل بالطبع خدمة يوحنّا بكاملها. لذلك كان سؤاله لهم: "من أعطى يوحنا السلطان ليواصل خدمته؟ هل كانت دعوته بشريّة أو إلهيّة؟ وما هي أوراق الاعتماد التي كان يحملها يوحنّا من قادة إسرائيل؟". كان الجواب واضحًا: يوحنّا مُرسَل من الله، وسلطته عطيّة سماويّة وليست منحة بشريّة.

وقع بذلك الكتبة والفريسيّون في مأزق، فإذا قالوا إنّ يوحنّا مُرسل من الله علقوا في شرك، لأنّ يوحنّا وجّه الناس إلى يسوع على أنّه المسيح المنتظَر. فإن كانت سلطته سماويّة، فلماذا لم يتوبوا ويؤمنوا بالمسيح؟

٢١: ٢٦ من ناحية أخرى، لو قالوا إنّ يوحنّا لم يكن مرسلاً من الله، لكانوا قد تبنّوا موقفًا سيجرّ عليهم استهزاء الشعب، إذ كان معظمهم يؤمنون بأن يوحنّا كان نبيًّا من عند الربّ. فلو حكموا بصحّة مجيء يوحنّا من عند الله لغدا الجواب عن سؤالهم واضحًا: كان يسوع هو المسيّا الذي أتى يوحنّا ممهّدا له.

٢١: ٢٧ لكنّهم رفضوا مواجهة الحقائق متظاهرين بالجهل، إذ لم يتمكّنوا من تمييز مصدر سلطة يوحنّا. عندئذ قال يسوع لهم: «**ولا أنا أقول لكم بأيّ سلطان أفعل هذا**». فلمَ يخبرهم بما يعلمون وهم يرفضون الإقرار به؟

و. *مثل الابنين* (٢١: ٢٨ـ٣٢)

٢١: ٢٨ـ٣٠ هذا المثل هو توبيخ واخز لرؤساء الكهنة والشيوخ بسبب فشلهم في إطاعة دعوة يوحنّا إلى التوبة والإيمان. ويتحدّث المثل عن إنسان كان له ابنان طلب إليهما أن يعملا في كرمه. فرفض الأوّل ثمّ رجع وغيّر رأيه ومضى. أمّا الثاني فوافق على الذهاب لكنّه لم يفعل.

٢١: ٣١، ٣٢ عندما سأل الرب القادة الدينيّين: أي **الاثنين عمل إرادة الأب؟** دانوا أنفسهم دون أن يدروا بقولهم: «الأول». وفسر الربّ لهم المثل. فالعشّارون والزناة كانوا مثل الابن الأول. فهم لم يظهروا أيّ استعداد فوري لطاعة يوحنا المعمدان، لكن أخيرًا تاب كثيرون منهم مؤمنين بيسوع المسيح. أمّا القادة الدينيون فهم مثل الابن الثاني. فقد أعلنوا قبولهم لكرازة يوحنّا، لكنّهم لم يعترفوا بخطاياهم أبدًا ولم يؤمنوا بالمخلّص. وهكذا دخل الخطاة البعيدون ملكوت الله فيما بقي القادة المتدينون المغرورون خارجًا. هكذا الحال في أيّامنا هذه. فالخطاة الأثمة يقبلون الإنجيل بسرعة أكبر من أصحاب التقوى الباطلة.

وتفيد العبارة «**يوحنّا جاءكم في طريق الحقّ**» أنّه جاء يكرز بحاجة الشعب إلى البرّ الذي يتحقّق بواسطة التوبة والإيمان.

ز. *مثل الكرّامين الأشرار* (٢١: ٣٣ـ٤٦)

٢١: ٣٣ـ٣٩ تكلّم يسوع في معرض إجابته عن مسألة السلطة بمثل عن **إنسان ربّ بيت غرس كرمًا وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجًا وسلّمه إلى كرّامين وسافر إلى مكان بعيد. وفي وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين**

ليأخذ أثماره، فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا. وعندما أرسل أيضًا عبيدًا آخرين عوملوا بالطريقة عينها. وفي المرّة الثالثة أرسل ابنه لظنّه بأنّهم سيهابونه. لكنّهم إذ علموا بأنّه الوارث، قتلوه من أجل الاستيلاء على ميراثه.

٢١: ٤٠، ٤١ عند هذا سأل الربّ الكهنة والشيوخ: **«ماذا يفعل صاحب الكرم بأولئك الكرّامين؟» فأجابوا: «أولئك الأردياء يهلكهم هلاكًا رديًّا ويسلّم الكرم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها».**

وتفسير هذا المثل ليس صعبًا، فالله هو صاحب الكرم، وإسرائيل هي الكرمة (مز٨٠: ٨، إش٥: ١-٧، إر٢: ٢١). والسياج هو شريعة موسى التي عزلت إسرائيل عن الأمم، وحفظتهم كشعب مميّز للربّ. أمّا المعصرة فهي كناية تشير إلى الثمر الذي كان ينبغي لشعب إسرائيل أن يقدّمه لله. والبرج يوحي بعناية الله اليقظة بشعبه. أمّا الكرّامون فهم رؤساء الكهنة والكتبة.

لقد أرسل الله عبيده الأنبياء إلى شعب إسرائيل مرارًا وتكرارًا يطلب من كرمته ثمار الشركة، والقداسة، والمحبّة. ولكنّ الشعب اضطهدوا الأنبياء وقتلوا بعضًا منهم. وأخيرًا أرسل الله ابنه، قائلاً: «**يهابون ابني**» (ع٣٧). أمّا رؤساء الكهنة والكتبة فقالوا: «**هذا هو الوارث**»، وهو اعتراف خطير. فقد وافقوا داخليًّا على أنّ يسوع هو ابن الله (مع أنّهم أنكروا ذلك علنًا) وبذلك أجابوا عن سؤالهم الخاص بهم في ما يتعلق بسلطانه. لأنّ سلطانه ينبع من حقيقة كونه الله الابن.

وقد قالوا في المثل: «هذا هو الوارث. هلّموا نقتله ونأخذ ميراثه» (ع٣٨). أمّا في الحياة الواقعيّة فكانوا يقولون: «إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيّون ويأخذون موضعنا وأمّتنا» (يو١١: ٤٨). وهكذا رفضوه، وألقوه خارجًا وصلبوه.

٢١: ٤٢ وعندما سألهم المخلّص: ماذا يفعل صاحب الكرم؟ كانت إجابتهم له إدانةً لأنفسهم، كما يظهر من الآيتين ٤٢، ٤٣ لقد استشهد الربّ بالكلمات التي جاءت في المزمور ١١٨: ٢٣، «**الحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية. من قِبل الربّ كان هذا وهو عجيب في أعيننا**». فعندما قدّم المسيح، وهو حجر الزاوية، نفسه للبنائين؛ قادة إسرائيل، لم يكن عندهم له مكان في مخططات بنائهم. لذلك وضعوه جانبًا حاكمين أنه بلا فائدة. لكنه بعد موته قام من الأموات وأعطاه الله مركز السيادة، إذ جعله أسمى حجر في بنائه: «لذلك رفّعه الله وأعطاه اسمًا فوق كل اسم...» (في٢: ٩).

٢١: ٤٣ عندئذ أعلن يسوع ببساطة أنّ **ملكوت الله يُنزَع من إسرائيل ويُعطَى لأمّة تعمل أثماره.** وهكذا حدث فعلاً. فلقد نُحّيت إسرائيل جانبًا كشعب الله المختار، وأُصيبت بالعمى القضائي. وحدثت قساوة على ذلك الجنس الذي رفض مسيحه. أمّا النبوّة التي تقول إنّ ملكوت الله يُعطى لأمّة تعمل أثماره، فقد فُسّرت على وجهين: الكنيسة التي تتشكّل من اليهود والأمم المؤمنين - «أمّة مقدّسة شعب اقتناء» (١بط٢: ٩). أو البقيّة المؤمنة من اليهود الذين سيكونون على قيد الحياة عند المجيء الثاني للمسيح. فسوف تحمل إسرائيل المفديّة ثمرًا لله في ذلك الحين.

٢١: ٤٤ «**ومن سقط على هذا الحجر يترضّض، أمّا من سقط هو عليه يسحقه**». نرى الحجر موجودًا على الأرض في الجزء الأوّل من هذه الآية، أمّا في الجزء الثاني فهو نازل من فوق. وهذا يوحي بمجيء المسيح مرّتين، فعندما جاء في المرّة الأولى، تعثّر به قادة اليهود، وتحطّموا. وأمّا في المرّة الثانية فسوف يأتي للقضاء مبدّدًا أعداءه كالغبار.

٢١: ٤٥، ٤٦ عرف رؤساء **الكهنة والفرّيسيّون** أنّ هذه الأمثال كانت تستهدفهم بطريقة مباشرة للإجابة عن سؤالهم المتعلّق بسلطان المسيح. وأرادوا أن **يمسكوه** حينئذ وفي ذلك المكان، لكنّهم **خافوا من الجموع** التي كانت تعتبر يسوع نبيًّا.

ح. *مثل عشاء العرس* (٢٢: ١ـ١٤)

٢٢: ١ـ٦ لم ينتبه الربّ يسوع من حديثه مع رؤساء الكهنة والفرّيسيين. ففي مثل عشاء العرس صوّر لهم شعب إسرائيل مُنحّى جانبًا، والأمم المحتقَرين ضيوفًا حول المائدة. وشبّه ملكوت السماوات بملك **صنع عرسًا لابنه**. وأتت الدعوة على مرحلتين: الأولى، دعوة مُسبَقة منه نقلها إليهم عبيده شخصيًّا؛ وقد قوبلت برفض صريح من قِبَل المدعوّين. الثانية، دعوة تُعلن أنّ المائدة قد أُعدّت. وقد قوبلت بالازدراء من جانب بعض المدعوّين، الذين كانوا مشغولين جدًّا بحقولهم وتجارتهم؛ وبالعنف من الآخرين **الذين أمسكوا عبيده، وشتموهم، وقتلوهم**.

٢٢: ٧ـ١٠ غضب الملك جدًّا، حتى إنّه **أهلك أولئك القاتلين، وأحرق مدينتهم**. ثمّ ألغى لائحة المدعوّين الأولى، وأصدر دعوة عامّة لجميع الذين يريدون الحضور. وفي هذه المرّة لم يوجد مقعد خالٍ في قاعة العرس.

٢٢: ١١ـ١٣ لكن كان بين الضيوف إنسانٌ لم يكن عليه **لباس العرس**. ولمّا اعترض الملك على حضوره لأنّه غير أهل لذلك، **سكت** فأمر أن يُلقى في **الظلمة الخارجيّة**، حيث **البكاء وصرير الأسنان**. وتجدر الملاحظة أنّ الخدّام في الآية ١٣، ليسوا العبيد المذكورين في الآية ٣.

٢٢: ١٤ ختم الربّ المثل بهذه الكلمات: «**لأنّ كثيرين يُدعَون، وقليلين يُنتَخبون**». ويأتي تفسير هذا المثل كالتّالي: الملك هو الله، وابنه هو الربّ يسوع. أمّا عشاء العرس فهو وصف مناسب للفرح الذي يتميّز به ملكوت السماوات. لكنّ الفكرة الرئيسيّة وراء هذا المثل هي وضع إسرائيل جانبًا وليس دعوة الكنيسة الفريدة ومقامها في المسيح. لذا فإنّ حشر الكنيسة هنا كعروس للمسيح يعقّد صورته العامّة، ولا داعي لذلك.

تصوِّر المرحلة الأولى من هذه الدعوة يوحنّا المعمدان والتلاميذ الاثني عشر، وهم يدعون إسرائيل بكلّ كرم إلى حفلة العرس. ولكنّ الأمّة رفضت الدعوة الموجّهة إليها. أمّا هذا الرفض الذي صوّره لنا الكتاب بقوله «فلم يريدوا أن يأتوا» (ع٣) فقد تصاعدت حدّتُه منتهية بالصلب.

وتشير المرحلة الثانية من هذه الدعوة، إلى إعلان الإنجيل لليهود في سفر أعمال الرسل. فقد قابل بعضهم الرسالة بالازدراء، وآخرون عاملوا حاملي الرسالة بالعنف، واستشهد معظم الرسل.

أمّا الملك، ففي غضبه الحقّ على إسرائيل، أرسل«جنوده»، إشارة إلى تيطس وجيوش الرومان، ليخربوا أورشليم ويُهلكوا معظم سكّانها سنة ٧٠ ميلاديّة. فلقد كانوا «جنوده» لأنّه استخدمهم أداةً لمعاقبة شعب إسرائيل. وهكذا كانوا خاصّته مع أنّه لم تكن لهم علاقة شخصيّة به.

بهذه الطريقة وُضعت إسرائيل جانبًا كأمّة للربّ، وخرجت بشارة الإنجيل إلى الأمم جميعهم، الصالحين والأردياء على حدّ سواء، بلا تمييز بين طبقات الناس مهما كانت (أع١٣: ٤٥، ٤٦؛ ٢٨: ٢٨). ولكنّ الربّ يمتحن كل من يُقبل إليه بشكل فردي. هكذا فالإنسان الذي لم يكن لابسًا لباس العرس يشير إلى الذي يعترف بأنّه مستعدّ لدخول الملكوت لكنّه في الحقيقة لم يرتدِ بعد برّ الله الذي بربّنا يسوع المسيح (٢كو٥: ٢١). ويتضّح أنّه لا عذر أبدًا للإنسان الذي لا يرتدي لباس العرس. وكما يدوّن رايري *Ryrie* في ملاحظاته، فقد كانت العادة في تلك الأيّام أن يزوّد الضيوف بثياب للعرس إذا لم يكن عندهم. لكن يبدو أنّ ذلك الإنسان لم يستفيد من العطيّة المقدّمة له. وهكذا عندما اضطرّ لمواجهة الملك الذي اعترض على حقه في دخول الملكوت سكت (رو٣: ١٩). وتشير الظلمة الخارجيّة إلى الدينونة حيث البكاء وصرير الأسنان. أمّا البكاء فيشير إلى آلام الجحيم. ويقترح بعضهم أنّ صرير الأسنان إشارة إلى كراهيّة الإنسان المستمرّة لله وتمرّده عليه. وفي هذه الحال تتلاشى الحجّة التي تدّعي بأنّ نيران الجحيم لها تأثيرها المطهّر للنّفس.

تشير الآية ٢٢: ١٤ إلى مثل عشاء العرس بجملته، لا إلى حادثة الإنسان الذي لم يكن عليه لباس العرس فقط. وتعني العبارة «كثيرون يُدعون» أنّ دعوة الإنجيل ستصل إلى كثيرين، ولكنّ قليلين هم الذين يُنتخَبون. فبعض النّاس يرفضون الدعوة، وبعضهم يلبّونها. لكن حتى من ضمن الذين يلبّون الدعوة هناك قوم يعترفون بالإيمان اعترافًا مزيّفًا. أمّا الذين يلبّون دعوة الإنجيل فجميعهم مختارون؛ وتقتصر الطريقة التي يمكن للمرء أن يعرف هل هو مختار أو لا على موقفه من الربّ يسوع المسيح. وكما يقول جَننجز *Jennings* في هذا الخصوص: "الجميع مدعوّون للاستمتاع بالوليمة، ولكن ليس الجميع مستعدّين لوضع ثقتهم في شخص المعطي حتى يزوّدهم بالرداء اللاّئق بالوليمة".

ط. العطاء لقيصر والعطاء لله (٢٢: ١٥ـ٢٢)

الفصل ٢٢ هو أصحاح الأسئلة، فهو يسجّل لنا ثلاث محاولات لاصطياد ابن الله قامت بها ثلاث جماعات مختلفة أُرسلت للإيقاع به.

٢٢: ١٥، ١٦ نجد هنا المحاولة الأولى وهي للفرّيسيين والهيرودسيّين. فمع أنّ العداوة استحكمت بين هذين الفريقين، فإنّ الكراهيّة المشتركة للمخلّص جمعتهما في صفّ واحد. كان هدف هؤلاء أن ينصبوا فخًّا للمسيح، بجعله يُصدر تصريحًا ينطوي على خطر سياسي كبير. فلقد استغلّوا فرصة انقسام اليهود على موضوع الولاء لقيصر، إذ عارض بعضهم موضوع الخضوع للإمبراطور الأمميّ بطريقة حماسيّة، فيما اتّخذ آخرون، مثل الهيرودسيّين، موقفًا أكثر ليونةً.

٢٢: ١٧ ابتدأوا يتملّقون الربّ مشيدين بطهارة مسلكه، وصدقه، وشجاعته. ثمّ سألوه سؤالاً ملغومًا قائلين: «**أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا؟**». فإن أجاب يسوع "لا" فهو سيثير عداوة الهيرودسيّين. وليس ذلك فقط، بل سيتّهم بالتمرّد على الحكومة الرومانيّة أيضًا. عندئذ سيدفعه الفريسيّون إلى خارج ملقين مختلف التّهم عليه. أمّا إذا أجاب "نعم" فسيعبث بالروح القوميّة الحادّة عند اليهود، ويخسر ولاء عامّة الشعب، الولاء الذي أعاق القادة، حتى ذلك الوقت، في محاولاتهم للتخلّص منه.

٢٢: ١٨، ١٩ لذا دعاهم يسوع صراحة **يا مراؤون** إذ كانوا يحاولون اصطياده. ثمّ طلب إليهم أن يروه دينارًا، وهي العملة التي كانت تُستخدَم في دفع الضرائب للحكومة الرومانيّة. فكلّما كان اليهود ينظرون إلى صورة القيصر واسمه كانوا يتذكّرون بامتعاض شديد أنّهم مستعبدون لسلطة الأمم وضرائبهم. لكن كان ينبغي أن يتذكّروا بواسطة الدينار خطاياهم التي سبّبت عبوديّتهم للرومان. فلو كانوا مخلصين للربّ، لما نشأ الجدل حول مسألة دفع الضرائب.

٢٢: ٢٠، ٢١ عندئذ سألهم يسوع: «**لمن هذه الصورة والكتابة؟**» فأجابوه مرغمين: «لقيصر»؛ حينئذ قال الربّ لهم: «**أعطوا إذًا ما لقيصر لقيصر وما لله لله**».

هكذا ارتدّ كيد أسئلتهم عليهم. فإذ كانوا يأملون في اصطياد يسوع بسؤالهم عن دفع الجزية لقيصر، فضح الربّ تقصيرهم في دفع الجزية لله. والمزعج في الأمر أنّهم كانوا يدفعون لقيصر ما يجب، لكنّهم كانوا يتجاهلون مطالب الله في حياتهم. وعندما وقف يسوع أمامهم لم يعطوه مكانه الذي يستحقّه مع أنّه كان رسم جوهر الله في وسطهم (عب١: ٣).

ونستنتج من جواب يسوع أنّ للمؤمن مواطنيّة مزدوجة. فهو من جهة مسؤول عن إطاعة الحكومة البشريّة ودعمها ماليًّا، وعدم التكلّم بالشرّ على حكّامها، أو العمل على قلب نظام الحكم فيها، بل الصلاة من أجل الذين هم في منصب. ومن جهة ثانية ينبغي له كمواطنٍ سماويّ أن يطيع الله؛ أمّا إذا حصل تضارب بين المسؤوليّتين فإنّ ولاءه الأوّل يجب أن يكون لله (أع٥: ٢٩).

وكثيرًا ما نشدّد في استشهادنا بالآية ٢١ على الجزء الخاص بقيصر، ونتجاوز الجزء المتعلّق بالله، تمامًا كما أخطأ الفرّيسيّون فحصلوا على توبيخ الربّ لهم!

٢٢: ٢٢ عندما سمع الفرّيسيّون جوابه عرفوا أنّه غلبهم. وهكذا لم يبقَ لهم إلاّ أن يتعجّبوا منه ويمضوا في طريقهم.

ي. *الصدّوقيّون ولغز القيامة* (٢٢: ٢٣ـ٣٣)

٢٢: ٢٣، ٢٤ كان الصدّوقيّون أصحاب اللاهوت المتحرّر في زمانهم. وكما ذكرنا سابقًا، فقد أنكروا قيامة الأجساد، ووجود الملائكة، والمعجزات. وفاق في الواقع ما أنكروه على ما كانوا يؤمنون به.

وجاءت جماعة منهم إلى يسوع وأخبروه قصّة اختلقوها للسخرية من موضوع القيامة. وقد ذكّروا فيها بالشريعة المختصّة بالسماح لأخي المتوفي بالزواج من أرملته (تث٢٥: ٥). فبحسب الناموس، إذا مات يهوديّ ولم يترك أولادًا، ينبغي على أخي الميت أن يتزوّج بأرملة أخيه ليحفظ اسم العائلة في إسرائيل ويضمن الميراث داخل العائلة.

٢٢: ٢٥ـ٢٨ أخبروه في أحبولتهم عن امرأة فقدت زوجها، ثمّ تزوّجت بأحد إخوته. ومات الأخ الثاني، فتزوّجت بالثالث، وهكذا دواليك حتى السابع. وأخيرًا ماتت المرأة؛ فطرحوا سؤالهم على يسوع، الذي هو القيامة (يو ١١: ٢٥)، بغرض تخجيله قائلين: «**في القيامة لمَن مِن السبعة تكون زوجة؟ فإنّها كانت للجميع**».

٢٢: ٢٩ كانت حجّتهم مبنيّة أساسًا على أنّ فكرة القيامة تواجه صعوبات لا يمكن تخطّيها، لذا فهي غير منطقيّة، وبالتّالي غير صحيحة. عندئذٍ أجابهم يسوع بأنّ الصعوبة ليست في العقيدة وإنّما في فكرهم؛ فهم لم يعرفوا الكتب ولا قوّة الله.

أولاً، إنّهم لم يعرفوا **الكتب**. فالكتاب المقدّس لم يذكر البتّة أنّ العلاقة الزوجيّة تستمرّ في السماء. ومع أنّ الرجال سيحافظون على شكلهم كرجال، والنساء كنساء إلا أنّ الجميع سيكونون **كالملائكة** بمعنى أنّهم **لا يزوّجون ولا يتزوّجون**.

ثانيًا، كانوا يجهلون **قوّة الله**. فإن كان الله قادرًا على خلق الإنسان من التراب، أفلا يستطيع بسهولة أن يقيم من التراب الذين ماتوا ويعطيهم أجسادًا ممجّدة؟

٢٢: ٣٠ـ٣٢ عند ذاك قدّم الربّ لهم حجّة كتابيّة ليبيّن لهم أنّ القيامة حاجة ضروريّة. ففي سفر الخروج ٣: ٦ تكلّم الله عن نفسه بأنّه **إله إبراهيم**.... **وإسحاق، ويعقوب**. فاستطرد الربّ موضحًا: «**ليس الله إله أموات، بل إله أحياء**». فقد قطع الربّ عهودًا مع هؤلاء الرجال، لكنّهم ماتوا قبل أن تتحقّق العهود بالكامل. فكيف يستطيع الله أن يصف نفسه بأنّه إله ثلاثة رجال فنيت أجسادهم في القبور؟ وكيف يمكن للذي لا ينكث بوعده أن يحقّق مواعيده التي قطعها لأولئك الرجال الذين ماتوا؟ القيامة هي الجواب الوحيد عن هذه التساؤلات جميعًا.

٢٢: ٣٣ لا عجب أن تُبهت الجموع من تعليمه، فنحن أيضًا بهتنا منه.

ك. الوصيّة العظمى (٢٢: ٣٤ـ٤٠)

٢٢: ٣٤ـ٣٦ لمّا سمع **الفرّيسيّون** أنّ الربّ **أبكم أعداءهم الصدّوقيّين**، جاؤوا لمقابلته. فسأله المتحدث بلسانهم، **وهو ناموسيّ** أن يحدّد آيّة وصيّة **هي العظمى في الناموس**.

٢٢: ٣٧، ٣٨ عندئذٍ لخّص الربّ يسوع بمهارة واجبات الإنسان من نحو الله معتبرًا أنّ الوصيّة العظمى هي، «**تحبّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك**». ويضيف مرقس في إنجيله عبارة، «ومن كل قدرتك» (مر ١٢: ٣٠). وهذا يعني أنّ التزام الإنسان الأوّل هو محبّة الله بكلّ كيانه. ويشير القلب ــ كما ذكرنا سابقًا ــ إلى الطبيعة العاطفيّة، فيما ترمز النفس إلى الطبيعة الإراديّة، ويعبّر الفكر عن الطبيعة العقلانيّة، أمّا القدرة فهي الطبيعة الجسديّة.

٢٢: ٣٩، ٤٠ ثمّ أضاف يسوع مسؤوليّة ثانية للإنسان وهي محبّة قريبه كنفسه. ويقول بارنز *Barnes*: "إنّ المحبّة لله وللإنسان هي الديانة بجملتها، وهذا ما أراد موسى والأنبياء والمخلّص والرسل إعلانه للبشر". وكم ينبغي لنا أن نفكّر في الوصيّة القائلة، «تحبّ قريبك كنفسك». فلنفتكر كم نحبّ أنفسنا، وكيف تنحصر نشاطاتنا في العناية بنفوسنا وبراحة أجسادنا، ثمّ لنتخيّل ماذا يحدث لو سكبنا تلك المحبّة على الناس

من حولنا. نعم علينا أن نسلك كذلك، فسلوك كهذا ليس سلوكًا طبيعيًّا بل هو فوق الطبيعة البشريّة. ولا يستطيع إلا المولودون ثانية أن يقوموا به، لكن لا تلقائيًّا بل عندما يسمحون للمسيح أن يحقّقه من خلالهم.

ل. ابن داود هو ربّ داود (٢٢: ٤١-٤٦)

٢٢: ٤١، ٤٢ وبينما كان **الفريسيّون** مذهولين من جواب يسوع للناموسيّ، طرح عليهم مسألة مثيرة بقوله لهم، «**ماذا تظنّون في المسيح؟ ابن من هو؟**».

لم يكن الفريسيّون في غالبيّتهم يؤمنون بأنّ يسوع هو المسيح، لذلك كانوا ينتظرون مسيحًا آخر. أمّا يسوع فلم يسألهم، "ماذا تظنّون فيّ؟" (مع أنّ ذلك كان بالطّبع متضمَّنًا في سؤاله). لكنّه سألهم بطريقة عامّة عن المسيح متى ظهر، ابن من سيكون. فأعطوه إجابة صحيحة بقولهم، إنّ المسيح سيكون من نسل داود.

٢٢: ٤٣، ٤٤ عندئذ اقتبس الربّ من المزمور ١١٠: ١ حيث قال داود، «**قال الربّ لربّي، اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك**». فكلمة «الربّ» الأولى تشير إلى الله الآب، أمّا الثانية فتشير إلى المسيح. فداود إذًا تكلّم عن المسيح باعتباره ربًّا له.

٢٢: ٤٥ توقّف يسوع هنا وسأل قائلاً: «**إن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنه؟**» والجواب هو أنّ المسيح هو ربّ داود وابن داود أيضًا، فهو الله وهو إنسان أيضًا. هو ربّ داود لأنّه الله، وهو ابن داود كإنسان.

فلو كان الفرّيسيّون قابلين للتعليم لأدركوا أنّ يسوع هو المسيح، ابن داود بحسب تسلسُل نسب مريم، وابن الله كما تظهره أعماله وكلماته وطرقه.

٢٢: ٤٦ لكنّهم رفضوا أن يبصروا. وإذ تحيّروا جدًّا من حكمته توقّفوا عن محاولاتهم لاصطياده بالأسئلة. فمنذ الآن سيستخدمون طريقة أخرى معه، وهي العنف.

م. تحذير من الكلام الرفيع والسلوك الوضيع (٢٣: ١-١٢)

٢٣: ١-٤ في الأعداد الافتتاحيّة لهذا الفصل يحذّر يسوع الجموع وتلاميذه من الكتبة والفرّيسيّين. فأولئك القادة **جلسوا على كرسي موسى**، أي علّموا شريعة موسى. وفي حين كانت تعاليمهم صالحة بشكل عام، لم تكن أفعالهم كذلك قط. فعقيدتهم كانت أفضل من سلوكهم. وتصح فيهم صفة "الكلام الرفيع والسلوك الوضيع". لذلك قال يسوع: «**... فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنّهم يقولون ولا يفعلون**». فلقد أثقلوا كاهل الشعب بمطاليبهم (ربّما تفسيراتهم الحرفيّة المتطرّفة للشريعة)، لكنّهم لم يساعدوا أحدًا على رفع تلك الأحمال المضنية.

٢٣: ٥ كانوا يهتمّون بممارساتهم الدينيّة، لا عن إخلاص قلبيّ بل لكي يراهم الناس فيمجّدوهم. وكان استخدامهم للعصائب مثالاً واضحًا على ذلك. فقد أمر الله شعبه أن يربطوا كلماته على أيديهم، وتكون عصائب بين أعينهم (خر١٣: ٩، ١٦؛ تث٦: ٨؛ ١١: ١٨). وقد عنى بذلك أن تكون الشريعة أمامهم دائمًا، موجّهة لنشاطاتهم اليوميّة. أمّا هم فجعلوا الوصيّة الروحيّة ذات معنى حرفيّ مادّي. وهكذا أخذوا أجزاءً من الأسفار المقدّسة وغلّفوها بجلد وربطوها على جباههم أو حول أذرعهم. ولم يحرصوا على طاعة الشريعة ما دام مظهرهم وهم يرتدون تلك العصائب الكبيرة السخيفة يوحي بقداسة فائقة. وقد أوصى الناموس اليهودَ أيضًا

أن يجعلوا أهدابًا من عصائب زرقاء في أذيال ثيابهم عند الزوايا، (عد١٥: ٣٧-٤١؛ تث٢٢: ١٢). وكان المقصود من هذه الزركشات الخاصّة تذكيرهم بأنّهم شعب مميّز للربّ، وينبغي أن يعيشوا حياة الانفصال عن الأمم. لكنّ الفرّيسيّين تجاوزوا الدرس الروحيّ واكتفوا بتطويل أهدابهم.

٢٣: ٦-٨ وقد أظهروا انشغالهم بأنفسهم من طريق تسابقهم إلى مراكز الشرف في **الولائم والمجامع**. وغذّوا أنانيّتهم **بالتحيّات في الأسواق** وبشكل خاصّ أن **يدعوهم الناس، «سيّدي»** (في الأصل "رابي" وتعني أيضًا "يا معلم").

٢٣: ٩، ١٠ وهنا حذّر الربّ تلاميذه من استخدام الألقاب التي لا تليق إلا بالله. فينبغي ألاّ يُطلق علينا لقب **«معلّمين»** لأنّه يوجد **معلّم واحد** وهو **المسيح**. ويجب ألاّ ندعو أيّ إنسان أبًا لأنّ الله هو أبونا. وتفيد ملاحظات وستون *Weston* في هذا الموضوع إذ يكتب قائلاً:

> "نرى هنا إعلانا عن العلاقات الأساسية بين الإنسان والله. ويتكوّن المؤمن المسيحي من ثلاثة عناصر أساسية: كيانه، وإيمانه، وأعماله؛ التعليم والاختبار والممارسة. ويحتاج الإنسان روحيًّا إلى ثلاثة أشياء هي: الحياة، والتعليم، والإرشاد؛ تمامًا كما أعلن الرب في كلمات البشارة، «أنا هو الطريق، والحق، والحياة»... فلا تدعوا لكم أبًا لأنه لا يوجد إنسان قادر على إعطاء الحياة الروحيّة أو حرمانها. ولا تقيموا أيّ إنسان معلّمًا معصومًا من الخطإ؛ ولا تدعوا أحدًا يتولّى منصب الدليل الروحيّ؛ فعلاقتكم بالله وبالمسيح هي علاقة حميمة، مثلكم مثل أيّ إنسان آخر.

وتدلّ كلمات المخلّص بوضوح على أنّ المؤمنين في ملكوت السماوات إخوة متساوون، ولا مكان للألقاب التي ترفع واحدًا عن الآخر. لكن دعونا نفكّر في الألقاب الطنّانة الموجودة في العالم المسيحيّ في أيّامنا هذه: مثل "المحترم"، و"الموقّر"، و"الأب"، وكثير من الألقاب الأخرى، بما فيها لقب "الدكتور"، الذي يعني في اللاتينيّة "المعلّم" (وينطبق هذا التحذير بشكل واضح على الأمور الروحيّة وليس على الأمور الدنيويّة، أي العلاقات المهنيّة والأكاديميّة. فهذا لا يمنع الولد، على سبيل المثل، من مناداة والده "أبي"، ولا المريض من أن يدعو طبيبه "دكتور"). فالقاعدة في الأمور الأرضيّة هي «الخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام» (رو١٣: ٧).

٢٣: ١١، ١٢ مرّة أخرى تظهر صفات ملكوت السماوات الفريدة في كون العظمة الحقيقيّة معاكسة تمامًا لما يظنّه الناس. قال يسوع، **«أكبركم يكون خادمًا لكم. فمن يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع»**. فالعظمة الحقيقيّة هي في الخدمة. أمّا الفرّيسيّون الذين يرفعون نفوسهم، فسوف يوضَعون إلى أسفل. والتلاميذ الحقيقيّون الذين يتواضعون سيرفعهم الله في الوقت المعيّن.

ن. *ويلات الكتبة والفرّيسيّين* (٢٣: ١٣-٣٦)

يعلن الربّ يسوع بعد ذلك ثمانية ويلات على المتديّنين المتكبّرين المرائين في أيّامه. وهذه ليست "لعنات"، إنّما بالأحرى تعبير عن الأسى على مصيرهم، كأن نقول، "واحسرتاه عليك!".

٢٣: ١٣ وجّه يسوع الويل الأوّل لهم بسبب قسوة قلوبهم، وإعاقتهم للأمور. فقد رفضوا ن يدخلوا ملكوت السماوات، ومنعوا الآخرين من الدخول

بعنف. ومن الغريب أن يكون القادة الدينيّون في كثير من الأحيان أشدّ المقاومين لإنجيل النعمة. فقد يكونون متسامحين في أشياء كثيرة ولكن ليس في بشارة الخلاص. فالإنسان الطبيعيّ لا يحبّ أن يكون مقصّدًا لنعمة الله ولا يريد أن يُظهر الله نعمته للآخرين.

٢٣: ١٤ وفي الويل الثاني وبّخهم الربّ لاستيلائهم على **بيوت الأرامل**، وتغطية ذلك بصلواتهم الطويلة. وتستخدم بعض البدع الحديثة أساليب مماثلة وذلك بجعل الأرامل المتقدمات في السنّ، أو المؤمنين غير القادرين على التمييز، يوقّعون عهدًا به تؤول كل ممتلكاتهم لما يسمّى بالكنيسة. لكنّ هؤلاء المتظاهرين بالتقوى سيأخذون **دينونة أعظم**.

٢٣: ١٥ أمّا الويل الثالث فهو الغيرة في غير مكانها. فقد جاهدوا طويلاً ليكسبوا دخيلاً واحدًا لكنّهم بعد أن ربحوه جعلوه أشرّ منهم مرّتين. ويقابل ذلك في أيّامنا الحاضرة غيرة البدع الدّينيّة المضلّة. فأتباع إحدى تلك الجماعات مستعدّون لطرق ٧٠٠ باب ليقنعوا شخصًا واحدًا بصواب قضيّتهم؛ لكنّ النتيجة النهائيّة شرّ رديء. وقد قال أحدهم: "غالبًا ما يصبح أعظم مهتد إليهم أكبر ملتوٍ".

٢٣: ١٦ـ٢٢ وفي الويل الرابع دان الربّ خبثهم الظاهر بتلاعبهم بالناموس. فقد أنشأوا نظامًا تفكيريًّا مضلّلاً للتهرّب من الوفاء بالنذور. فعلى سبيل المثل، كانوا يعلّمون بأنّ من يحلف **بالهيكل** لا يلتزم وأمّا **من يحلف بذهب الهيكل** فعليه أن يدفع. وكانوا يقولون بأنّ القسم **بالقربان** الذي على المذبح يُلزم وأمّا القسم **بالمذبح** نفسه فهو غير ملزم. وهكذا أعطوا الذهب قيمة أكثر من الله (فالهيكل كان بيت الله)، واعتبروا القربان الذي على المذبح أثمن من المذبح نفسه. فقد أولوا الماديّات اهتمامًا أكبر من الروحيّات؛ وانشغلوا بالأخذ (أي بالتقدمة) أكثر من انشغالهم بالعطاء (كان المذبح موضع العطاء).

كشف المسيح عن مغالطاتهم إذ لقبّهم **بالقادة العميان**. فلم يتخذ ذهب الهيكل قيمته الخاصّة إلا لأنّه ارتبط ببيت الله؛ فالمذبح هو الذي أعطى قيمةً للتقدمة التي عليه. وأمّا من يظنّ بأنّ للذهب قيمة بحدّ ذاته فهو أعمى لا يدرك أنّ الذهب يكتسب قيمته عندما يُستخدم لمجد الله فقط. فالتقدمات الموهوبة بدوافع جسديّة هي بلا قيمة في ذاتها؛ أمّا كل ما يُعطَى للربّ أو يُقدّم باسمه فله قيمة أبديّة.

وفي الحقيقة مهما كان الأمر الذي حلف به الفرّيسيّون فهم ضمنيًّا كانوا يحلفون بالله، وبالتالي يُلزمون بتحقيق النذر. فلا يمكن للإنسان أن يتهرّب من واجباته من طريق التعليل المخادع. فالنذور مُلزِمة والمواعيد ينبغي تتميمها؛ واللجوء إلى الاحتيال هربًا من الواجبات أمر عديم النفع.

٢٣: ٢٣، ٢٤ في الويل الخامس دان الربّ الممارسات الطقسيّة الفارغة. فقد كان الكتبة والفرّيسيّون يحرصون على تعشير حتى أتفه الأعشاب للربّ. ولم يُدنهم يسوع بسبب حرصهم على التدقيق، بل وبّخهم بشدّة لأنّهم كانوا بلا ضمير عندما كانت الطاعة تقتضي إظهار الحق والرحمة والأمانة للآخرين. وقد وصفهم يسوع مستخدمًا تشبيهًا فريدًا في تصويره لهم بالقول إنّهم **يصفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل**. فالبعوضة وهي حشرة صغيرة كانت تسقط في كأس الخمر الحلوة، لذلك كانوا يصفّونها بامتصاصهم الخمر من بين أسنانهم. فما

أسخف أن يهتمّ المرء بأمور تافهة كهذه عندما كان يبلع أكبر الحيوانات غير الطاهرة في فلسطين! فقد انشغل الفرّيسيّون كثيرًا بأدقّ الأمور لكنّهم تعاموا جدًّا عن خطاياهم الفظيعة كالكبرياء والالتواء والوحشيّة والطمع؛ ذلك لأنّهم فقدوا حسّ التمييز الروحيّ.

٢٣: ٢٥، ٢٦ يتعلّق الويل السادس بمظاهر التقوى الخارجيّة. فالفرّيسيّون الذين اهتمّوا بالمحافظة على مظاهر التديّن والأخلاق الخارجيّة كانت قلوبهم مملوءة **اختطافًا ودعارة**. لذلك يجب عليهم أولاً أن ينقّوا **داخل الكأس والصحفة**، أي تطهير قلوبهم بالتوبة والإيمان. عندئذٍ فقط يصبح سلوكهم الخارجيّ مَرضيًّا. ويوجد فرق بين شخص الإنسان وشخصيّته. فنحن نميل للتركيز على شخصيّتنا، أي ما نريد أن يفتكره الآخرون فينا؛ لكنّ الله يشدّد على الشخص بحدّ ذاته، أي ماهيّة نفوسنا الحقيقيّة. فهو يطلب الحقّ في الإنسان الباطن (مز ٥١: ٦).

٢٣: ٢٧، ٢٨ يهاجم الويل السابع أيضًا مظاهر التقوى الخارجيّة. والفارق هو أنّ الويل السادس ينتقد بشدّة الطمع الباطن، فيما يدين الويل السابع الرياء **والنجاسة** الداخليّة.

كان اليهود يبيّضون القبور حتى لا يتدنّس من يمسّها سهوًا. وقد شبّه يسوع الكتبة والفرّيسيّين **بالقبور المبيّضة**، التي تظهر نظيفةً من الخارج لكنّها من الداخل مملوءة فسادًا. فقد كان الناس يظنّون أنّ التصاقهم بهؤلاء القادة الدينيّين يزيد قداستهم، لكن في الحقيقة كان ذلك مصدر تدنيس لهم لأنّ أولئك القادة كانوا مملوئين رياءً وشرًّا.

٢٣: ٢٩، ٣٠ نأتي إلى الويل الأخير وهو يدين ما يمكن أن يُسمّى بالمدح الخارجيّ والقتل الداخليّ. **فالكتبة والفرّيسيّون** تظاهروا بتقديرهم **لأنبياء** العهد القديم من طريق بناء **قبورهم** أو ترميمها ووضع الأكاليل على أضرحتهم. وكانوا يصرّحون في المحافل التذكاريّة قائلين: لو كنّا في أيّام آبائنا **لما شاركناهم في دم الأنبياء**.

٢٣: ٣١ قال يسوع: «**فأنتم تَشْهَدون على أنفسكم أنّكم أبناء قَتَلة الأنبياء**». لكن كيف شهدوا على ذلك؟ فالواضح من الآية السابقة أنّهم فصلوا أنفسهم عن آبائهم الذين قتلوا الأنبياء. لكنّهم قد أقرّوا بالدّرجة الأولى أنّ آباءهم الذين ولدوهم حسب الجسد سفكوا دم الأنبياء. أمّا يسوع فقد استخدم الكلمة «أبناء» إشارةً إلى الذين يتحلّون بالصفات ذاتها. فيسوع علم أنّهم حتى وهم يزيّنون قبور الأنبياء كانوا يتآمرون عليه لقتله. ومن ناحية ثانية، شهدوا على هذه الحقيقة بإظهارهم تقديرًا كهذا للأنبياء الموتى كأنّهم كانوا يقولون: "إنّ أحبّ الأنبياء إلى قلوبنا هم الأنبياء الموتى". وبهذا المعنى كانوا أيضًا أبناء آبائهم.

٢٣: ٣٢ أضاف الربّ قائلاً: «**فاملأوا أنتم مكيال آبائكم**». فقد ملأ الآباء كأس القتل جزئيًّا بقتلهم الأنبياء. أمّا الكتبة والفرّيسيّون فسيملأونها حتى الفيض بقتلهم الربّ يسوع وأتباعه، وهكذا يُوصلون ما بدأه آباؤهم إلى خاتمة مريعة.

٢٣: ٣٣ هنا يطلق مسيح الله كلمات مدوّية قائلاً: «**أيها الحيّات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنّم؟**» هل تستطيع المحبّة المتجسّدة أن تتفوّه بتلك الكلمات القاسية؟ نعم، فالمحبّة الحقيقيّة يجب أن تكون عادلة

ومقدّسة. فإنّ المفهوم الشائع عن يسوع بأنّه مصلح لا يمكن أن يؤذي أحدًا، وليس عنده من العواطف إلاّ المحبّة، لهو مفهوم غير كتابيّ. فالمحبّة قد تكون قاسية، لكن ينبغي أن تكون دائمًا عادلة. والخطير في الأمر أنّ هذه الكلمات الديّانة أُطلقت على القادة الدّينيّين، وليس على السكّيرين والفاسدين. ومن الجيّد هنا أن نفكّر في مثال المسيح في عصر مسكونيّ يشترك فيه بعض المسيحيّين الإنجيليّين مع أعداء صليب المسيح، وأن نتذكّر كلمات ياهو القائل ليهوشافاط: «أتساعد الشرّير وتحبّ مبغضي الربّ؟» (٢أخ١٩: ٢).

٢٣: ٣٤، ٣٥ لم يتنبّأ يسوع بموته فحسب، وإنّما أخبر الكتبة والفرّيسيّين أيضًا بأنّهم سوف **يقتلون** بعضًا من رسله الذين سيرسلهم: **أنبياء وحكماء وكتبة**. أمّا بعض الذين نجوا من الاستشهاد، فسيُجلَدون في المجامع ويُطردون من **مدينة إلى مدينة**. وهكذا سيجلب قادة اليهود الدّينيّون على أنفسهم ذنب استشهاد القدّيسين المتراكم على مدى التاريخ. وسيأتي عليهم **كل دم ذكيّ سُفك على الأرض من... هابيل... إلى... زكريّا**، الذي سُجّل قتله في ٢أخ٢٤: ٢٠، ٢١، وهو السفر الأخير بحسب الترتيب العبرانيّ للكتاب المقدّس (وهذا ليس زكريّا كاتب سفر زكريّا في العهد القديم).

٢٣: ٣٦ وسيأتي ذنب الماضي بكاملة على **الجيل** (أو الجنس) الذي كان المسيح يتكلّم معه، وكأنّ كل إراقة دماء الأبرياء في السابق قد اجتمعت معًا وبلغت ذروتها في موت المخلّص القدّوس. فسينصبّ وابل من العقاب على الأمّة التي أبغضت مسيحها بلا سبب، وسمّرته على صليب مخصّص للمجرمين.

س. يسوع يبكي على أورشليم (٢٣: ٣٧ـ٣٩)

٢٣: ٣٧ من المثير للانتباه أن يختم الربّ يسوع هذا الفصل بذرف الدّموع وهو قد فاق باقي الفصول في عدد الويلات التي نطق بها الربّ. فبعد شجبه المرير للفرّيسيّين يتفوّه برثاء بليغ على المدينة التي ضيّعت فرصة افتقادها. وتحمل مناداة الربّ للمدينة، «**يا أورشليم، يا أورشليم**» عاطفةً جيّاشة يصعب البوح بها. فقد قتلت **الأنبياء** ورجمت **المرسلين إليها**، ومع ذلك أحبّها الربّ وكثيرًا ما أراد أن يجمع أولادها لنفسه بكل محبّة وحماية **كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها**، ولكنّها لم تُرِد ذلك.

٢٣: ٣٨ وفي ختام الرثاء، قال الربّ يسوع: «**هوذا بيتكم يُترَك لكم خرابًا**». وتعني كلمة «البيت» بالدرجة الأولى الهيكل، لكنّها قد تشمل مدينة أورشليم والأمّة نفسها. وستفصل فترة من الزمن بين موت الربّ ومجيئه الثاني لن يراه فيها شعب إسرائيل غير المؤمن (فبعد قيامته لم يرَه إلاّ المؤمنون).

٢٣: ٣٩ تتطلّع الآية ٣٩ إلى المجيء الثاني للمسيح عندما تقبله البقيّة المؤمنة على أنّه الملك المسيّا. ويتضّح ذلك من الكلمات التالية: «**مبارك الآتي باسم الربّ**».

ومن غير المرجّح أن يُعطى الذين قتلوا المسيح فرصةً ثانية. فحديث الربّ عن أورشليم هو كناية عن سكّانها، وعن إسرائيل عمومًا. فبعد موت يسوع لن يراه سكّان أورشليم مرّة أخرى إلاّ عندما ينظرون إلى الذي طعنوه، وينوحون عليه كنائحٍ على وحيدٍ له (زك١٢: ١٠). وليس عند اليهود نوح أمرُ من النوح الذي يُرافق موت الابن الوحيد.

١٣ـ حديث الملك على جبل الزيتون (اص٢٤، ٢٥)

يشكّل الفصلان ٢٤، ٢٥ من هذا الإنجيل ما يُعرف بـ"الخطاب على جبل الزيتون". وقد دعي كذلك لأنّ الربّ أعلنه للتلاميذ على جبل الزيتون. ويتميّز هذا الخطاب بأنّه نبويّ بكامله ويشير إلى فترة الضيقة العظيمة ومجيء الربّ ثانيةً. ومع أنّ هذا الحديث يشمل وضع العالم بشكل عام فهو يختصّ بالأمّة القديمة بشكل رئيسي. وموضع الأحداث هو أرض فلسطين كما يتضّح من الحديث؛ فعلى سبيل المثل يقول الربّ، «ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال» (٢٤: ١٦). أمّا الظروف فهي أيضًا يهودية، ومثالاً على ذلك قوله: «صلوا كي لا يكون هربكم... في سبت» (٢٤: ٢٠). هذا ويجب أن تُفهَم كلمة «المختارين» (٢٤: ٢٢) على أنّها إشارة إلى مختاري الله من اليهود وليس إلى الكنيسة. فالكنيسة ليست موجودة في النبوّات أو في الأمثال المتضمّنة في هذا الخطاب، الأمر الذي سنحاول إظهاره في ما يلي.

أ. يسوع يتنبّأ بخراب الهيكل (٢٤: ١، ٢)

يمهّد متّى لهذا الخطاب بكلمات هامّة إذ يقول إنّ **يسوع خرج ومضى من الهيكل**. وتأتي أهمية هذا التحرك في ضوء الكلمات التي تفوّه بها الرب قائلاً: «... هوذا بيتكم يُترَك لكم خرابًا» (٢٣: ٣٨). ويذكّرنا ذلك بوصف حزقيال لرحيل المجد عن الهيكل (حز٩: ٣؛ ١٠: ٤؛ ١١: ٢٣).

أراد التلاميذ أن يُبدي الربّ مثلهم إعجابه بجمال بناء الهيكل. فقد انشغلوا بما هو زائل عوضًا عمّا هو خالد، واعتنوا بالظلال أكثر من اعتنائهم بالجوهر. لذلك أنذرهم يسوع بأنّ بناء الهيكل سيدمّر تمامًا حتى لا يبقى **حجر على حجر**. فلقد حاول تيطس عبثًا أن ينقذ الهيكل، لكنّ جنوده أشعلوا فيه النار محققين بذلك نبوّة المسيح. وعندما أذابت النار ذهب الزينة سال المعدن منسكبًا إلى الأسفل بين الحجارة. وهكذا أزاح الجنود الحجارة حجرًا حجرًا ليصلوا إلى الذهب المذاب، تمامًا كما أنبأ الرب. وقد حدثت هذه الدينونة سنة ٧٠ ميلاديّة عندما سقطت أورشليم أمام الجيش الرومانيّ بقيادة تيطس.

ب. النصف الأوّل من الضيقة العظيمة (٢٤: ٣ـ١٤)

٢٤: ٣ بعدما اجتاز يسوع إلى جبل الزيتون، تقدّم إليه التلاميذ على انفراد وسألوه ثلاثة أسئلة هي:

١ـ متى يكون هذا؟ أي متى سيتمّ تدمير الهيكل؟

٢ـ ما هي علامة مجيئك؟ أي ما هو الحدث الفائق للطبيعة الذي سيسبق مباشرة رجوع الربّ إلى الأرض لتأسيس ملكوته؟

٣ـ ما هي علامة انقضاء الدهر؟ أي ما هو الشيء الذي سيعلن انتهاء الدهر قبل حلول ملكه المجيد؟ (يتوافق السؤالان الثاني والثالث في مضمونهما الرئيسيّ).

ويجب أن نتذكّر هنا أنّ تفكير هؤلاء التلاميذ اليهود كان يدور حول مُلك المسيح المجيد على الأرض. فلم يفكّروا في مجيء المسيح للكنيسة، إذ لم يعرفوا إلاّ القليل عن هذا الوجه من مجيئه. بل كانوا يتوقّعون أن يأتي المسيح بقوّة ومجد ليدحر أعداءه ويحكم العالم. وينبغي أن نوضّح هنا أيضًا أنّ التلاميذ لم يسألوا يسوع عن نهاية العالم (كما ورد في بعض الترجمات)، بل عن نهاية الدهر كما في الأصل اليوناني والترجمة العربيّة.

لم يجبهم الربّ عن سؤالهم الأوّل بشكل مباشر، وإنّما شمل في حديثه عن حصار أورشليم في سنة ٧٠ ميلاديّة (انظر لوقا ٢١: ٢٠ـ٢٤) حصارًا آخر مشابهًا سيحدث في الأيام الأخيرة. وغالبًا ما نلاحظ عندما ندرس النبوّات أنّ الربّ ينتقل بسرعة فائقة من تحقيق النبوّة المبكّر والجزئيّ إلى التحقيق النهائيّ اللاحق.

أمّا الإجابة عن السؤالين الثاني والثالث فترد في الآيات ٤ـ٤٤ من الفصل ٢٤. وتصف هذه الآيات فترة الضيقة العظيمة التي ستدوم سبع سنين والتي تسبق مجيء المسيح المجيد. هذا وتتحدّث الآيات ٤ـ١٤ عن الثلاث سنين والنصف الأولى، أمّا الثلاثة السنين والنصف الأخيرة والمعروفة بالضيقة العظيمة أو ضيقة يعقوب (إر ٣٠: ٧)، فستكون فترة أوجاع لم يسبق للساكنين على الأرض أن رأوا مثلها من قبل.

ظهر على مدى تاريخ البشريّة كثير من الظروف التي يتميّز بها النصف الأوّل من الضيقة، ولكنّها ستظهر بشكل مكثّف جدًّا في الفترة التي نحن بصددها. فالكنيسة موعودة بالضيق (يو١٦: ٣٣) ولكنّ هذا يختلف كثيرًا عن الضيقة العظيمة التي ستنصبّ على عالم رفض ابن الله.

نحن نؤمن أنّ الكنيسة ستُخطَف من العالم (١تس٤: ١٣ـ١٨)، قبل حلول يوم غضب الله (١تس١: ١٠؛ ٥: ٩؛ ٢تس٢: ١ـ١٢؛ رؤ٣: ١٠).

٢٤: ٤، ٥ سوف يظهر مسحاء كذبة كثيرون أثناء النصف الأول من الضيقة، وسينجحون في خداع كثيرين. ولربّما كان قيام بدع كاذبة عديدة في أيامنا مقدّمة لذلك، ولكنّه ليس تتميمًا للنبوّة. فقادة الدين المزيّفون هؤلاء سيكونون يهودًا يدّعون بأنّهم المسيح.

٢٤: ٦، ٧ ستكون حروب وأخبار حروب. تقوم أمّة على أمّة ومملكة على مملكة. من السهل أن نفكّر أنّ هذا يتحقّق في أيّامنا هذه، ولكن ما نراه الآن يُعتبَر بسيطًا جدًّا بالمقارنة مع ما سيحدث في ما بعد. وبالحقيقة فإنّ الحدث القادم في جدول الله الزمنيّ هو اختطاف الكنيسة (يو١٤: ١ـ٦؛ ١كو١٥: ٥١ـ٥٧)، ولن تتحقّق أيّة نبوّة قبل ذلك. وبعد أن تُرفَع الكنيسة، تبدأ ساعة الله النبويّة بالدوران، وتتوالى هذه الأحداث بسرعة. فستحدث **مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن** مختلفة من الأرض. حتى في الأيّام الحاضرة، يشعر حكّام العالم بخطر انتشار المجاعات الناجم عن التفجّر السكّانيّ. لكنّ هذا سيزداد بسبب العجز الذي ستخلّفه الحروب.

تستقطب الزلازل حاليًّا اهتمامًا متزايدًا، وليس التي تحدث في أيّامنا فحسب إنّما المتوقّع حدوثها في المستقبل أيضًا. ومرّة ثانية نذكّر بأنّ الحوادث المعاصرة تعتبر نقطة من بحر وليس تتميمًا حقيقيًّا لكلمات المخلّص.

٢٤: ٨ تحدّد الآية ٨ الفترة المعنيّة بكلّ وضوح على أنّها **مبتدأ الأوجاع**، فهي بداية آلام المخاض المفاجئة التي ستُسفر عن نظامٍ جديد تحت سيادة المسيح الملك.

٢٤: ٩، ١٠ وسيجتاز المؤمنون الأمناء امتحانًا كبيرًا في فترة الضيقة. فسوف تقود الأمم حملة كراهيّة مريرة ضدّ كل الذين يتبعون المسيح بالحقّ. وسوف يحاكمون في محاكم مدنيّة ودينيّة (مر١٣: ٩)، وليس

ذلك فحسب، بل سيستشهد كثيرون لأنّهم رفضوا إنكار الرب. ومع أنّ هذه الامتحانات قد حدثت في كل العصور المسيحيّة فهي تبدو أنّها إشارة إلى الـ ١٤٤ ألفًا من اليهود المؤمنين الذين ستكون لهم خدمة خاصّة في تلك الفترة.

وسيرتدّ كثيرون مفضّلين ذلك على الألم والموت. وسوف يبلّغ أعضاء العائلة الواحدة عن أقربائهم ويسلّمونهم إلى أيدي مضطهديهم الوحشيّة.

٢٤: ١١ وسوف يقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلّون كثيرين من الشعب. وينبغي ألاّ نخلط بين هؤلاء والمسحاء الكذبة المذكورين في الآية ٥ فالأنبياء الكذبة يدّعون أنّهم ينطقون بكلام الله. ويمكن كشفهم بطريقتين: فإنّ نبوّاتهم لا تتحقّق دائمًا، وتعليمهم يقود الناس بعيدًا عن الله الحقيقي. وذكر **الأنبياء الكذبة** يؤكّد مجدّدًا أنّ الشخصيّات الرئيسيّة في الضيقة هي من اليهود. **فالأنبياء الكذبة** يرتبطون بأمّة إسرائيل، في حين أنّ الخطر في الكنيسة يأتي من المعلّمين الكذبة (٢بط٢: ١).

٢٤: ١٢ ستتناقص العواطف البشريّة تدريجيًّا مع ازدياد الشرّ وهيجانه. وتصبح أعمال الكراهيّة أمرًا مألوفًا.

٢٤: ١٣ «ولكنّ الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص». لا يعني هذا أنّ نفس الإنسان ستخلص في ذلك الوقت عن طريق الصبر؛ فالكتاب المقدّس يوضح لنا أنّ الخلاص هو عطيّة من نعمة الله، تُقبّل بالإيمان بموت المسيح النيابيّ وقيامته. كما أنّه لا يعني أنّ الذين يصبرون ينجون من الأذى الجسديّ؛ لأنّه سبق وعرفنا أنّه سيستشهد مؤمنون كثيرون (ع٩). لكنّ ذلك تصريح عام بأنّ الذين يثبتون محتملين الاضطهاد بصبرٍ سينجون عند مجيء المسيح ثانية. فالارتداد لن يكون وسيلة للفرار أو الأمان، ولن ينجو إلاّ المؤمنون الحقيقيّون. ومع أنّ الإيمان الخلاصيّ قد تكون له سقطاته، فهو يتميّز بالديمومة.

٢٤: ١٤ وسوف يُكرَز خلال هذه الفترة **ببشارة الملكوت في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم.** وكما جاء في ملاحظاتنا على ٤: ٢٣، فإنّ بشارة الملكوت هي الخبر السارّ بأنّ المسيح آتٍ ليقيم ملكوته على الأرض. أمّا الذين سيتمتّعون ببركات حكمه الألفيّ فهم الذين يقبلونه بالإيمان أثناء فترة الضيقة.

وكثيرًا ما يسيء بعضهم استخدام الآية ١٤ فيقولون إنّ المسيح لا يمكن أن يرجع إلى كنيسته الآن لأنّ كثيرًا من الشعوب لم تسمع بشارة الإنجيل بعد. وتزول هذه الصعوبة عندما نلاحظ أنّ الإشارة هنا هي إلى مجيئه مع قدّيسيه، وليس لأجل قدّيسيه. فالحديث هنا هو عن بشارة الملكوت لا عن بشارة نعمة الله (انظر الملاحظات على ٤: ٢٣).

يوجد توازٍ مدهش بين الأحداث المذكورة في الآيات ٣-١٤ وبين تلك التي في رؤيا ٦: ١-١١ فراكب الفرس الأبيض هو المسيح الكذّاب؛ وراكب الفرس الأحمر هو الحرب؛ وراكب الفرس الأسود هو المجاعة؛ وراكب الفرس الأخضر هو الوباء أو الموت. والنفوس التي تحت المذبح هي نفوس الشهداء. فالأحداث المذكورة في رؤيا ٦: ١٢-١٧ مرتبطة بتلك التي في متّى ٢٤: ١٩-٣١.

ج. *الضيقة العظيمة* (٢٤: ١٥-٢٨)

٢٤: ١٥ نأتي هنا إلى منتصف الضيقة. ونعرف ذلك من مقارنتنا الآية ١٥ مع دانيآل ٩: ٢٧. فقد تنبّأ دانيآل أنّه في منتصف الأسبوع السبعين، أي في نهاية ثلاث سنين ونصف، سوف يُقام صنم في الهيكل المقدّس، أي في هيكل أورشليم. وسيُؤمَر جميع الناس بأن يسجدوا لذلك الصنم الرجس. أمّا عقاب من يعصي ذلك الأمر فسيكون الموت (رؤ١٣: ١٥).

«فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيآل النبيّ قائمة في المكان المقدّس، (ليفهم القارئ)»... ستكون إقامة الصنم علامة للذين يعرفون كلمة الله بأنّ الضيقة العظيمة قد ابتدأت. لاحظ هنا أنّ الربّ يريد من الذي يقرأ النبوّة أن يفهمها.

٢٤: ١٦ فحينئذٍ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال؛ ففي ضواحي أورشليم سيسهل اكتشاف الذين رفضوا السجود للصنم.

٢٤: ١٧-١٩ وستكون السرعة القصوى هنا ضروريّة. إذ يجب على **الرجل القاعد على السطح** أن يترك كل ممتلكاته وراءه. وسيحدّد الوقت الذي يصرفه المرء في جمع المقتنيات حياة الإنسان أو موته. فالذي يعمل **في الحقل لا يرجع ليأخذ ثيابه** من موضعها، وستكون **الحبالى والمرضعات** في ضيق عظيم؛ إذ يصعب عليهنّ الهرب السريع.

٢٤: ٢٠ ينبغي أن يصلّي المؤمنون لكيلا يحدث ذلك الضيق **في شتاء** حتى لا تزيد أخطار السفر، وألاّ يكون ذلك **في سبت**، وهو اليوم الذي يحدّد الناموس المسافة التي يمكن أن يقطعها الإنسان فيه (خر١٦: ٢٩). فقد لا يكون سفر السبت كافيًا ليبعد الهاربون عن مكان الخطر.

٢٤: ٢١ «لأنّه يكون ضيق عظيم، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون». يميّز هذا الوصف تلك الفترة عن كل ما جرى من ملاحقات ومذابح جماعيّة وحركات إبادة عبر التاريخ. فلا يمكن لهذه النبوّة أن تكون تحقّقت في أيّ من الاضطهادات السابقة لأنّ الربّ أعلن بوضوح أنّها ستنتهي بمجيء المسيح ثانية.

٢٤: ٢٢ ستكون الضيقة مكثّفة بشدّة حتى إنّه **لو لم تُقصَّر تلك الأيام لم يخلص جسد**. وهذا لا يعني أنّه ستُقصَّر الضيقة العظيمة التي غالبًا ما تُحدَّد بثلاث سنين ونصف. وربّما يكون المعنى أنّ الله سيقصّر بطريقة معجزيّة ساعات النهار التي يحدث فيها معظم القتال والذبح وهكذا يجعل الربّ الظلام مبكّرًا **لأجل المختارين** (أي الذين قبلوا يسوع).

٢٤: ٢٣-٢٦ تحتوي الآيتان ٢٣، ٢٤ على تحذيرات مجدّدة من **المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة**. وفي ذلك الجوّ المتأزّم، ستنتشر أخبار مفادها أنّ المسيح موجود في أحد الأمكنة السرّيّة. وربّما تُستخدَم تلك الأخبار لاصطياد الذين يبحثون عن المسيح بإخلاص ومحبّة. لذلك يحذّر الربّ كل التلاميذ من أن يصدّقوا أخبار مجيئه المحلّيّ والسرّي. وليس كل الذين يصنعون المعجزات من عند الله؛ فقد تكون **العجائب** شيطانيّة المصدر. وسيُعطَى إنسان الخطية قدرة على صنع المعجزات (٢تس٢: ٩، ١٠).

٢٤: ٢٧ سيكون مجيء المسيح الثاني واضحًا ومفاجئًا، وسيظهر بمجده للعالم بأسره. فسيكون مثل البرق الذي يراه الجميع فورًا وبكلّ وضوح.

٢٤: ٢٨ ولن يفلت فساد أخلاقيّ من الدينونة التي يستحقّها. «**حيثما تكنِ الجثّة فهناك تجتمع النسور**». وتصوّر الجثّة هنا اليهودية المرتدّة والمسيحيّة المرتدّة والنظام العالميّ بأجمعه المتّحد ضدّ الله ومسيحه. بينما تمثّل النسور ضربات الله التي ستنصبّ على العالم مع ظهور المسيح.

د. *المجيء الثاني للمسيح* (٢٤: ٢٩ـ٣١)

٢٤: ٢٩ ستحدث اضطرابات مريعة في السماوات في نهاية الضيقة العظيمة. وهكذا تظلم الشمس؛ وبما أنّ نور القمر هو انعكاس لنور الشمس، **فالقمر أيضًا لا يعطي ضوءه وسوف تسقط النجوم من السماء**، وتنحرف الأجرام السماويّة عن مداراتها. وغنيّ عن القول أنّ هذه التغييرات الكونيّة المريعة ستؤثّر في الطقس وحركة المدّ والجزر والمواسم الزراعيّة على الأرض.

ويمكننا أن نكوّن فكرة بسيطة عن هذه الحالة المستقبليّة من وصف فليكوفسكي *Velikovsky* لما سيحدث عندما يقترب جسم سماويّ من الأرض ويسبّب انحرافًا في محورها:

> سيحدث زلزال في تلك اللحظة يجعل الأرض تتعثّر في دورانها. ويستمرّ الماء والهواء في تحرّكهما رغم الجمود المرافق لهذا التعثّر؛ فتكنس العواصف الشديدة الأرض وتندفع البحار فوق القارّات، حاملةً معها حصى ورمالاً وحيوانات بحريّة، وتقذفها على اليابسة. وترتفع عندئذٍ درجة الحرارة، وتذوب الصخور، وتتفجّر البراكين، وتفيض حُممها من شقوق الأرض المتفجّرة وتنسكب على مساحات واسعة. وتبرز جبال من بين السهول وتتسلّق على سفوح جبال أُخرى مسبّبة تصدّعًا وتشقّقًا. وتميل البحيرات وتفرغ مياهها، وتغيّر الأنهار مجاريها؛ تنزلق مساحات كبيرة من اليابسة تحت البحار بكل من يسكنها. وتحترق الغابات وتقتلعها العواصف والبحار الهائجة من الأرض التي نمت عليها وتجمعها بأغصانها وجذورها في أكوام ضخمة. تتحوّل البحار إلى صحارٍ، وتفيض مياهها بعيدًا.

٢٤: ٣٠ «**حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء**». لسنا نعلم ما هي هذه العلامة. فمجيئه الأوّل كان مصحوبًا بعلامة في السماء وهي النجم. ولربّما يعلن نجم معجزيّ آخر عن مجيئه الثاني. ويعتقد بعضهم أنّ ابن الإنسان هو نفسه العلامة. ومهما كان معنى العلامة، فإنّها ستكون واضحة للجميع عندما تظهر. وسوف **تنوح جميع قبائل الأرض** — حتمًا بسبب رفضهم له. ولكن ستنوح عليه بشكل رئيسي أسباط إسرائيل الاثني عشر. «... فينظرون إليّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له، ويكونون في مرارة عليه كمن هو في مرارة على بِكرِه» (زك١٢: ١٠). وعند ذاك «**يبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوّة ومجد كثير**». يا لروعة تلك اللحظة! فالذي بُصِقَ عليه وصُلِبَ سيُعلَن ربًّا للحياة والمجد. ويظهر يسوع الوديع المتواضع بمظهر يهوه بذاته. وينزل حمل الذبيحة أسدًا غالبًا. ويظهر التّجار الناصريّ المحتقَر بصفته ملك الملوك وربّ الأرباب. وستكون سحب السماوات مركباته. ويأتي في سلطان ملوكيّ وجاه. تلك هي اللّحظة التي كانت الخليقة تئنّ لأجلها منذ آلاف السنين.

٢٤: ٣١ وعند نزول الربّ من السّماء، سيرسل **ملائكته** إلى الأرض كلّها ليجمعوا **مختاريه**، أي بقيّة الأُمّة المؤمنة، إلى أرض فلسطين. فسيجتمعون من كل الأرض لملاقاة مسيحهم والتمتّع بملكه المجيد.

هـ. مثل شجرة التين (٢٤: ٣٢ـ٣٥)

٢٤: ٣٢ «**فمن شجرة التين تعلّموا المثل**». يستخدم الربّ مرّة أُخرى الطبيعة لإعطاء درس روحيّ. فعندما تصبح أغصان شجرة التين خضراء وغضّة، **تعلمون أنّ الصيف قريب**. سبق أن رأينا أنّ شجرة التين تمثّل الأمّة القديمة (٢١: ١٨ـ٢٢). على مدى مئات من السنين كانت تلك الأُمّة في حالة سبات عميق. فلم يكن لديها حكم ذاتيّ، ولا أرض، ولا هيكل أو نظام كهنوتي، ولا آيّة علامة لحياة قوميّة. فقد كان شعبها متفرّقًا في كل أنحاء العالم.

ولكن في سنة ١٩٤٨ صار للعبريّين دولة، لها أرضها وحكومتها وعملتها وطوابعها، وما شابه ذلك. لكن ما تزال هذه الأمّة باردة وعقيمة من الناحية الروحيّة، وليس عندها أيّ ثمر لله. أمّا على الصعيد القومي فيمكننا أن نقول إنّ غصنها رخص وأخضر.

٢٤: ٣٣ «**هكذا أنتم أيضًا متى رأيتم هذا كلّه فاعلموا أنّه قريب على الأبواب**» فظهور الأمّة القديمة من جديد لا يعني أنّ بداية الضيقة قريبة فحسب، بل يعني أيضًا أنّ الربّ نفسه **قريب على الأبواب**.

إن كان مجيء المسيح لملكوته قريبًا هكذا فبالأكثر جدًّا يكون الاختطاف وشيك الحدوث. فإن كانت ظلال الأحداث التي تسبق ظهوره المجيد باديةً منذ الآن، فما أقربنا والحال هذه من المرحلة الأولى لظهور الربّ في مجيئه (١تس٤: ١٣ـ١٨).

٢٤: ٣٤ بعد الإشارة إلى شجرة التين تابع يسوع حديثه قائلاً: «**الحقّ أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كلّه**». هذا ولا يمكن أن تكون عبارة «هذا الجيل» إشارة إلى الأحياء الذين عاصروا المسيح أثناء وجوده على الأرض؛ فجميع هؤلاء قضوا نحبهم قبل أن يتمّ أيّ من الأحداث التي وصفها الفصل ٢٤. إن كان الأمر كذلك، فماذا يعني الربّ بقوله «**هذا الجيل**»؟ يوجد تفسيران محتملان لهذه العبارة.

يعتقد جرانت *F.W.Grant* وآخرون معه أنّ الفكرة هي كالتالي: "الجيل الذي يرى بداية الأحداث هو ذات الجيل الذي يشهد نهايتها". وهكذا يكون أنّ النّاس الذين يشهدون قيام الأُمّة (أو يشاهدون بداية الضيقة العظيمة)، سيعاينون الربّ يسوع في مجيئه على سحب السماء للملك. أمّا التفسير الآخر فهو أنّ «**الجيل**» إشارة إلى العِرق. وهذه ترجمة مشروعة لذات الكلمة اليونانية؛ فالكلمة تعني أناسًا من نفس الذرّيّة أو العائلة (مت١٢: ٤٥؛ ٢٣: ٣٥، ٣٦). وهكذا يكون يسوع قد تنبّأ بأنّ العرق اليهوديّ سيبقى حتى يرى تتميم كل تلك الأشياء. فاستمرار بقائهم على مدى العصور بالرغم من الاضطهادات الوحشيّة هو معجزة تاريخيّة.

لكنّني أرى هنا فكرًا إضافيًّا. ففي أيّام يسوع كان «هذا الجيل» إشارة إلى الجنس الذي رفض بعناد شديد الاعتراف به مسيحًا. وأظنّ أنّ يسوع كان ينبئ بأنّ أمّة إسرائيل ستستمرّ في حالة رفضها للمسيح حتى مجيئه الثاني. عندئذ سيُسحَق كل تمرّد ولا يبقى إلا الذين يقرّرون الخضوع لملكه فيدخلون إلى الملكوت.

٢٤: ٣٥ في معرض تركيز الربّ يسوع على حتميّة تحقيق نبوّاته أضاف قائلاً: **السماء والأرض تزولان أما كلامي فلا يزول**. وفي الحديث عن زوال السماء كان المسيح يشير إلى سماء الفضاء والنجوم، أي الأفق الأزرق الذي فوقنا، وليس إلى السماء مكان سكنى الله (٢كو١٢: ٢ـ٤). ويصف الكتاب في بطرس الثانية ٣: ١٠ـ١٣ ورؤيا ٢٠: ١١ انحلال السماوات والأرض وزوالها.

و. *اليوم والساعة مجهولان* (٢٤: ٣٦ـ٤٤)

٢٤: ٣٦ أمّا بالنسبة ليوم المجيء وساعته المحدّدة، «**فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلاّ أبي وحده**». وهذا يحذّرنا من تجربة تحديد التواريخ أو تصديق الذين يفعلون ذلك. وينبغي ألاّ نُفاجأ بعدم معرفة الملائكة لهذا الأمر، فهي في النهاية كائنات محدودة لها معرفة محدودة.

لكن يظهر أنّ المطّلعين على النبوّات الذين يعيشون في الفترة التي تسبق رجوع المسيح بقليل قد تكون لهم القدرة على تحديد السّنة رغم عجزهم عن تحديد اليوم أو الساعة. فأولئك سيعرفون على سبيل المثل أنّ المجيء سيحدث بعد نحو ثلاث سنين ونصف من إقامة الصنم في الهيكل (دا ٩: ٢٧؛ انظر أيضًا دا ٧: ٢٥؛ ١٢: ٧، ١١؛ رؤ١١: ٢، ٣؛ ١٢: ١٤؛ ١٣: ٥).

٢٤: ٣٧ـ٣٩ ومع ذلك، سيكون معظم الناس في تلك الأيّام لا مبالين، تمامًا كما كان في أيّام نوح. ومع أنّ الأيّام التي سبقت الطوفان كانت شرّيرة جدًّا، فإنّ التركيز هنا ليس على الشرّ. فقد كان الناس **يأكلون ويشربون ويتزوّجون ويزوّجون**، وبكلام آخر، كانوا يعيشون حياة روتينيّة وكأنّهم خالدون على الأرض. ومع أنّه سبق تحذيرهم بقدوم الطوفان، فقد عاشوا وكأنّ الطوفان لن يؤذيهم. وعندما **جاء الطوفان**، كانوا غير مستعدّين وبعيدين عن مكان الأمان الوحيد. وهكذا سيحدث بالتّمام عندما يرجع المسيح، فلن ينجو من النّاس إلاّ الذين احتموا بالمسيح فُلك النجاة.

٢٤: ٤٠، ٤١ عندها **يكون اثنان في الحقل، يُؤخذ الواحد** في الدينونة، **ويُترك الآخر** ليدخل إلى الملك الألفيّ. تكون **اثنتان تطحنان على الرحي**، فتفصلان فورًا. إذ يُحرف إحداهما طوفان الدينونة؛ بينما تُترك الثانية لتتمتّع ببركات مُلك المسيح (كثيرًا ما تُستخدَم الآيتان ٤٠، ٤١ لتحذير غير المخلّصين من جهة حدث الاختطاف، وهو المرحلة الأولى لمجيء المسيح، عندما يأخذ كل المؤمنين إلى السماء ويترك غير المؤمنين جميعًا على الأرض للدينونة ومع أنّ هذا يمكن أن يستعمل كتطبيق للنصّ، فإنّ سياق الكلام يوضح أنّ تفسيره متعلّق بمجيء المسيح الثاني للمُلك).

٢٤: ٤٢ـ٤٤ ينبغي للناس أن يسهروا لأنّهم لا يعرفون اليوم ولا الساعة. فإذا علم الإنسان بأنّ بيته سيتعرّض للسرقة، فسيستعدّ حتى لو كان لا يعرف الوقت بالتحديد. وسيأتي ابن الإنسان عندما يكون قدومه غير منتظر لدى البشر. لذا يجب أن يكون شعبه على أهبة الاستعداد.

ز. *مَثَل العبد الحكيم والعبد الشرّير* (٢٤: ٤٥ـ٥١)

٢٤: ٤٥ـ٤٧ يبيّن الربّ يسوع في المقطع الأخير من هذا الفصل أنّ العبد يُظهِر صفاته الحقيقيّة في السلوك الذي يسلكه وهو يستعدّ لرجوع سيّده. فيُفترَض في جميع الخدّام أن يعطوا أهل البيت طعامهم في الوقت المحدّد. لكن ليس جميع الذين يعترفون بأنّهم عبيد للمسيح هم حقًّا كذلك.

فالعبد **الحكيم** هو الذي يعتني بشعب الله. لذلك فالسيّد سيكرم عبدًا كهذا بإعطائه امتيازات كبيرة في الملكوت؛ وهكذا **يقيمه على جميع أمواله**.

٢٤: ٤٨ـ٥١ أمّا العبد الشرّير فهو المؤمن الاسميّ الذي لا يتأثّر سلوكه بانتظار مجيء سيّده. **فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى**. ويُظهره سلوكه هذا بأنّه ليس مستعدًّا للملكوت. لذلك عندما يأتي الملك سيعاقبه **ويجعل نصيبه مع المرائين**، حيث يبكي الناس ويصرّون أسنانهم.

يشير هذا المثل إلى رجوع الربّ إلى الأرض في الجسد بصفته المسيح الملك. لكن بالإمكان تطبيق المبدأ ذاته على رجوع الربّ في الاختطاف أيضًا. يُظهر الكثيرون من دعاة الإيمان عداوة لشعب الربّ وتضامنًا مع الأشرار. وهم بذلك يُبيّنون أنّهم لا ينتظرون رجوع المسيح، الأمر الذي سيجلب عليهم دينونة عوضًا عن البركة.

ح. *مثل العذارى العشر* (٢٥: ١ـ١٣)

٢٥: ١ـ٥ تعود الكلمة الأولى، حينئذ، إلى الفصل السابق، وهكذا تضع المثل بكلّ وضوح في الفترة التي تسبق رجوع الملك إلى الأرض، وفي أثناء وجوده أيضًا. **فيشبّه يسوع ملكوت السماوات في ذلك الوقت بعشر عذارى أخذن مصابيحهنّ وخرجن للقاء العريس. وكان خمس منهنّ حكيمات فأخذن زيتًا في مصابيحهنّ**؛ أمّا الأخريات فلم يكن معهنّ زيت. وبينما هنّ ينتظرن **نعسن جميعهنّ ونمنّ**.

وتمثّل العذارى الخمس **الحكيمات** تلاميذ المسيح الحقيقيّين في فترة الضيقة. فالمصابيح كناية عن الاعتراف بالإيمان، ومن المعروف أنّ **الزيت** يشير إلى الروح القدس. أمّا **العذارى الجاهلات** فيشرن إلى الذين يعترفون برجائهم في المسيح لكنّهم لم يولدوا ثانية البتّة، وبالتالي ليس عندهم الروح القدس. **والعريس** هو المسيح الملك، ويرمز إبطاؤه إلى الفترة ما بين المجيئين. أمّا نوم العذارى العشر جميعهنّ فيدلّ على أنّه بحسب الظاهر لم يكن يوجد فرق بينهنّ.

٢٥: ٦ وفي منتصف الليل دوّى الصراخ بأنّ **العريس مقبل**. وقد عرفنا من الفصل السابق أنّ مجيء المسيح سيُعلَن بواسطة علامات مجيدة.

٢٥: ٧ـ٩ فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهنّ؛ فقد أرادت كل واحدة منهنّ أن تظهر مستعدّة. وعندما رأت الجاهلات أنّه ليس لديهنّ زيت، طلبن من الحكيمات فقلن لهنّ **اذهبن إلى الباعة**. وربّما يظهر رفض الحكيمات أنانيًّا، ولكن في العالم الروحي لا يمكن لأحد أن يوزّع الروح القدس على الآخرين. وبالطبع لا يمكن شراء الخلاص، لكنّ الكتاب المقدّس يستخدم الأسلوب المجازيّ في الحديث عن شراء الخلاص بغير فضّة أو ثمن.

٢٥: ١٠ـ١٢ وفيما هنّ ذاهبات جاء العريس. وتقول الترجمتان اللاتينيّة والسريانيّة إنّه أتى مع عروسه. وهذا يلائم الصورة النبويّة تمامًا. فالربّ يسوع سوف يعود من العرس مع عروسه التي هي الكنيسة (١تس٣: ١٣). (فالعرس يحدث في السماء (أف٥: ٢٧) بعد الاختطاف). وستدخل معه البقيّة الأمينة من القدّيسين الذين خرجوا من الضيقة إلى حفلة العرس. وتعبّر حفلة العرس عن فرح

مُلك المسيح الأرضي وبركاته. ودخلت العذارى الحكيمات **معه إلى العرس** (أو حفلة العرس)؛ **وأُغلق الباب**. وصار الوقت متأخّرًا لدخول أيّ إنسان آخر إلى الملكوت. هكذا عندما **جاءت بقيّة العذارى** وهنّ يطلبن الدخول، أنكر العريس أنّه يعرفهنّ؛ وهذا إثبات واضح أنّهنّ لم يولدن ثانية البتة.

٢٥: ١٣ أمّا الدّرس الذي أراد يسوع تعليمه لتلاميذه فهو السهر والمراقبة، لأنّهم لا يعرفون اليوم ولا الساعة لمجيئه الثاني. لذا ينبغي أن يعيش المؤمنون كما لو أنّ الربّ سيأتي في أيّة لحظة. فهل مصابيحنا مُصلّحة ومملوءة بالزيت؟

ط. مَثَل الوزنات *(٢٥: ١٤ـ٣٠)*

٢٥: ١٤ـ١٨ يعلّم هذا المثل أيضًا أنّه سيوجد عبيد حقيقيّون وعبيد مزيّفون عند رجوع الربّ. وتدور القصّة حول رجل جمع **عبيده** قبل أن يسافر في رحلة طويلة، وأعطى كل واحد كميّة مختلفة من المال **على قدر طاقته**. **فأعطى واحدًا خمس وزنات** وآخر وزنتين، والأخير وزنة واحدة. وكان عليهم أن يستخدموا تلك الأموال ويتاجروا ويربحوا لسيّدهم. فالذي **أخذ الخمس وزنات ربح خمس وزنات أخر**، والذي له الوزنتان ضاعف ماله أيضًا. أمّا الذي **أخذ الوزنة فمضى وحفر حفرة وطمرها**.

وليس صعبًا أن نرى هنا أنّ المسيح هو السيّد والرحلة الطويلة هي الفترة التي تفصل ما بين المجيئين. والعبيد الثلاثة هم أبناء الأُمّة الذين يعيشون أثناء الضيقة، وعليهم أن يمثّلوا سيّدهم الغائب. وقد أعطُوا مسؤوليّات كل واحد على قدر طاقته الشخصيّة.

٢٥: ١٩ـ٢٣ وبعد زمان طويل أتى سيّد أولئك العبيد وحاسبهم. وهذا يصوّر لنا المجيء الثاني. فلقد نال العبدان الأوّلان المديح نفسه تمامًا: «**نعمّا أيّها العبد الصالح والأمين. كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيّدك**». ولم يكن امتحان خدمتها في كميّة المال الذي ربحاه، إنّما بمقدار التعب الذي جاهدا فيه. فقد استخدم كل منهما طاقته وربح مئة في المئة. وهذان يمثّلان المؤمنين الحقيقيّين الذين ستكون مكافأتهم التمتّع ببركة ملكوت المسيح.

٢٥: ٢٤، ٢٥ لم يكن للعبد الثالث شيء يقدّمه لسيّده إلاّ الإهانة والأعذار. فلقد اتّهمه بكونه قاسيًا وغير واقعيّ، **يحصد حيث لم يزرع، ويجمع من حيث لم يبذر**. وعلى هذا الأساس طمر وزنته مشلولاً بخوفه، لذلك التمس من السيّد أن يعذره. وبكلّ تأكيد، كان هذا العبد إنسانًا غير مؤمن، لأنّه لا يمكن لخادم حقيقي أن يفكّر أفكارًا كهذه عن سيّده.

٢٥: ٢٦، ٢٧ عندئذ وبّخه سيّده بقوله إنّه **شرّير وكسلان**. فإذا كانت أفكار عن سيّده كما قال له فلماذا لم يودع فضّته **عند الصيارفة** ليستفيد من فائدتها؟ وهنا لا يوافق السيّد في العدد٢٦ على التّهم الموجّهة إليه، وإنّما بالحري يقول له: "وإذا ظننت أنّني سيّد كذلك، فهذا يعطيك دافعًا أكبر لتشغل بوزنتك. فكلامك هذا لا يعذرك بل يدينك".

٢٥: ٢٨، ٢٩ لو ربح ذلك الإنسان وزنة واحدة بوزنته لكان نال المديح الذي ناله الآخران. لكنّه عوضًا عن ذلك لم يعمل إلاّ حفرة في التراب! لذلك أُخذت منه وزنته وأُعطيت للذي **له العشر وزنات**. وهذا كان تبعًا لقانون ثابت في الحياة الروحيّة: «**كلّ من له يُعطى ويزاد**؛

ومن ليس له فالذي عنده يُؤخَذ منه». فالله يعطي جميع الذين يرغبون في خدمته الوسائل لتمجيده. وكلّما عملوا أكثر، أُعطوا طاقة أكبر لخدمته. والعكس بالعكس، فنحن نفقد ما لا نستخدمه للربّ؛ ونتيجة التراخي هي التوقف عن النمو.

يوحي ذكر الصيارفة في الآية ٢٧ بأنّه إذا لم نقدر على استخدام ممتلكاتنا للربّ، فينبغي علينا أن نحوّلها للآخرين الذين يستطيعون ذلك. ويمكن أن يكون الصيارفة في هذه الحالة المرسَلين، ودور الكتاب المقدّس، ودور النشر المسيحيّة، وبرامج إذاعة الإنجيل، وغيرها. فلا يوجد عذر في عالم كهذا لترك المال عقيمًا بلا استخدام. ويعطي هنا بيرسون *pierson* شرحًا مفيدًا فيقول:

> إن ذوي النفوس الضعيفة التي لا تصلح لخدمة الملكوت بجرأة واستقلاليه، قد يربطون عدم كفاءتهم بكفاءة الآخرين الذين سيستخدمون ممتلكاتهم ومواهبهم لخدمة السيد وكنيسته... فقد يكون عند الوكيل المال أو المواهب الأخرى التي يمكن استخدامها، ولكن يعوزه الإيمان وبعد النظر والطاقة والحكمة. يستطيع «صيارفة» الرب أن يظهروا له كيف يربحون للسيد... فأحد أهداف وجود الكنيسة هو أن يعين العضو القويّ العضو الأضعف، وهكذا بتعاون الجميع يزداد قوّة الأضعف والأصغر فيها.

٢٥: ٣٠ لقد طُرِح **العبد البطّال** خارج الملكوت. واشترك في عذاب الأشرار الأليم. لم يكن فشله في استخدام وزنته سببًا لدينونته، بل افتقاره للأعمال الصالحة الذي أظهر افتقاره للإيمان المخلّص.

ي. الملك يحاكم الأمم (٢٥: ٣١ـ٤٦)

٢٥: ٣١ يصف هذا المقطع محاكمة الأمم، وينبغي أن نميّزه عن كرسيّ المسيح، ودينونة العرش العظيم الأبيض. فالوقوف أمام كرسيّ المسيح يحدث بعد الاختطاف لمحاسبة المؤمنين ومكافأتهم فقط (رو١٤: ١٠؛ ١كو٣: ١١ـ١٥؛ ٢كو٥: ٩، ١٠). أمّا دينونة العرش العظيم الأبيض فتحدث في الأبديّة، بعد الملك الألفيّ. إذ يُحاكَم الأموات الأشرار، ويُطرَحون في بحيرة النار (رؤ٢٠: ١١ـ١٥).

أمّا دينونة الأمم فتحدث على الأرض بعد أن يأتي المسيح ليملك، كما توضح الآية ٣١: «**متى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القدّيسين معه**». وإذا كنّا على صواب في ربط ذلك بيوئيل ٣، فالموضع يكون وادي يهوشافاط، خارج أورشليم (٣: ٢). فهناك ستُحاكَم الأمم بحسب معاملتهم لإخوة المسيح من اليهود في فترة الضيقة (يوئيل٣: ١، ٢، ١٢ـ١٤؛ مت٢٥: ٣١ـ٤٦).

٢٥: ٣٢ من المهمّ هنا أن نلحظ ثلاث فئات من النّاس: **الخراف، والجداء**، وإخوة المسيح. فالفئتان الأوليان اللّتان يجلس المسيح لمحاكمتها هما الأمم الذين يعيشون في الضيقة العظيمة. أمّا الفئة الثالثة فهي إخوة المسيح الذين رفضوا أن ينكروا اسمه في أثناء الضيقة رغم الاضطهاد الشديد.

٢٥: ٣٣ـ٤٠ ويضع الملك **الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار**. ثمّ يدعو الخراف ليدخلوا **الملكوت المعدّ لهم** منذ تأسيس العالم. والسبب هو أنّهم أطعموه عندما كان جائعًا، وسقوه عندما كان عطشانًا، ورحّبوا به عندما كان غريبًا، وكسوه عندما كان **عريانًا**، وزاروه في مرضه،

وذهبوا إليه في سجنه. لكنّ الخراف الأبرار لا يذكرون أنّهم أظهروا أيّ إحسان للملك إذ لم يكن موجودًا على الأرض في جيلهم. لكنّه يشرح لهم أنّهم بمساعدتهم لأحد إخوته الأصاغر قد ساعدوه هو بالذّات. فكلّ ما صُنع لواحد من تلاميذه فكأنّه صُنع له شخصيًّا.

٢٥: ٤١-٤٥ من ثمّ يأمر الربّ **الجداء** أن يبتعدوا عنه إلى النار الأبديّة المُعَدّة لإبليس وملائكته لأنّهم لم يهتمّوا به في الفترة الصعبة من ضيقة يعقوب. وعندما يلتمسون عذرًا لكونهم لم يروه البتة يذكّرهم بأنّ إهمالهم لأتباعه يُعتبر إهمالاً له بالذات.

٢٥: ٤٦ وهكذا يمضي الجداء إلى عذاب أبديّ، وأمّا الخراف فإلى حياة أبديّة. ويُنشئ ذلك مشكلتين اثنتين. فأولاً، يظهر أنّ هذا المقطع يعلّم أنّ الشعوب تخلص أو تهلك بشكل جماعيّ. وثانيًا، يولّد سياق الحديث انطباعًا بأنّ الخراف تخلص بالأعمال الصالحة، والجداء تهلك بسبب فشلها في عمل الصلاح. فمن جهة المشكلة الأولى، يجب أن ندرك أنّ الله يتعامل مع الشعوب بهذه الطريقة. فتاريخ العهد القديم حافل بأمثلة على الشعوب التي عوقبت من أجل خطاياها (إش ١٠: ١٢-١٩؛ ٤٧: ٥-١٥؛ حز ٢٥: ٦، ٧؛ عا ١: ٣، ٦، ٩، ١١، ١٣؛ ٢: ١، ٤، ٦؛ عو ١؛ زك ١٤: ١-٥). وليس غريبًا أن نؤمن بأنّ الأمم سوف تأخذ جزاءً إلهيًّا. لكن هذا لا يعني أنّ مبادئ العدل الإلهيّ تطبّق على مستوى الأوطان والأفراد على حدّ سواء.

وتُترجم كلمة *ethne* في هذا المقطع بلفظة "الشعوب". لكن بالإمكان ترجمتها أيضًا بكلمة "الأمم". ويعتقد بعضهم أنّ هذا المقطع يصف دينونة الأفراد من الأمم. وسواء كان المقصود هو الأمم أم الأفراد فالمشكلة تبقى: كيف يجتمع حشد كبير كهذا أمام الربّ في فلسطين؟ ربّما من الأفضل أن نفكّر بمثول ممثّلين عن الأمم أمامه أو أنّ فئات الشعب تجتمع على انفراد للقضاء. أمّا من جهة المشكلة الثانية، فلا يمكن أن يُستخدَم هذا النص للتعليم عن الخلاص بالأعمال. فالكتاب المقدّس بأكمله يشهد بأنّ الخلاص هو بالإيمان وليس بالأعمال (أف ٢: ٨، ٩). لكنّ الكتاب يشدّد كذلك على أنّ الإيمان الحقيقيّ ينتج أعمالاً صالحة. وإذا لم تتوافر لدى الإنسان أعمال صالحة فذاك دليل على أنّه لم يحصل على الخلاص البتّة. لذلك علينا أن نفهم أنّ الأمم لا يخلصون من طريق إظهار الإحسان للبقيّة التقيّة، بل إنّما يعكس إحسانهم هذا محبّتهم للربّ.

وهنا لا بدّ لنا من ذكر ثلاث نقاط أخرى. أولاً، يشير النّص إلى حقيقة كون الملكوت معدًّا للأبرار منذ تأسيس العالم (ع٣٤). بينما نرى أنّ الجحيم معدّ لإبليس وملائكته (ع٤١). وهكذا فرغبة قلب الله من نحو البشر هي للبركة؛ فالجحيم لم يكن معمولاً في الأصل للجنس البشريّ. ولكن إذا ما رفض الناس الحياة بمحض إرادتهم، فإنّهم يختارون الموت حتمًا.

وتتعلّق النقطة الثانية بكلام الربّ عن النار الأبديّة (ع٤١)، والعذاب الأبديّ (ع٤٦)، والحياة الأبديّة (ع٤٦). فالذي علّم عن الحياة الأبديّة هو نفسه الذي علّم عن العقاب الأبديّ. وبما أنّ الكلمة المترجمة "الأبديّة" تُستخدم هي نفسها لوصف كل من الحالتين، فلا يمكن قبول الواحدة دون الأخرى. ولو كانت الكلمة المترجمة «أبديّة» لا تعني "إلى أبد لا ينتهي" فليس

في اللغة اليونانية كلمة أخرى للتعبير عن هذا المعنى. لكن باستطاعتنا أن نتيقّن صحّة هذا المعنى لأنّها استخدمت لوصف أبديّة الله ذاته (١تى١٧: ١).

أخيرًا، إنّ دينونة الأمم هذه تذكّرنا جيّدًا بالوحدة التي بين المسيح وشعبه؛ فالذي يؤثّر فيهم يؤثّر فيه أيضًا. هكذا فلدينا متّسع من الفرصة لإظهار كل إحسان نحوه بإحساننا للذين يحبّونه.

١٤ـ آلام الملك وموته (أص ٢٦، ٢٧)

أ. المؤامرة لقتل يسوع (٢٦: ١ـ٥)

٢٦: ١، ٢ ينذر الربّ تلاميذه للمرّة الرابعة والأخيرة في هذا الإنجيل بأنّه ينبغي له أن يموت (١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٣؛ ٢٠: ١٨). ونلمح من إعلانه هذا قصر المدّة التي تفصل ما بين الفصح والصلب: «**تعلمون أنّه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يُسلَّم ليُصلَب**». وفي تلك السنة استوفى الفصح معناه الحقيقيّ. فقد جاء حمل الفصح أخيرًا، وسوف يسلَّم للذبح قريبًا.

٢٦: ٣ـ٥ في الوقت الذي كان الرب ينطق فيه بتلك الكلمات، **اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب في قصر قيافا رئيس الكهنة** ليرسموا مخطّطهم. فقد كانوا يريدون أن يقبضوا عليه **بمكر ويقتلوه**، لكنّهم رأوا أنّه ليس من الحكمة فعل ذلك **في العيد**، لئلاّ تتولّد عند **الشعب** ردّة فعل عنيفة نحو قتله. ومن العجيب في الأمر أنّ قادة إسرائيل الدينيّين هم الذين تزعّموا مؤامرة قتل مسيحهم. كان ينبغي عليهم أن يكونوا هم الأوائل في الاعتراف به وتتويجه ملكًا. لكنّهم عوضًا عن ذلك جعلوا أنفسهم في طليعة المضادّين له.

ب. يسوع يُدهَن بالطيب في بيت عنيا (٢٦: ٦ـ١٣)

٢٦: ٦، ٧ تؤمّن هذه الحادثة انفراجًا محبّبًا في الجوّ في الوقت الذي ظهر فيه غدر الكهنة، وتفاهة التلاميذ، وخيانة يهوذا. **وفيما كان يسوع في بيت عنيا، في بيت سمعان الأبرص، تقدّمت إليه امرأة وسكبت على رأسه قارورة طيب كثير الثمن.** لقد عبّرت تضحيتها الثمينة عن عمق تكريسها للربّ يسوع، وكأنّها تقول: لا يوجد ما هو أثمن من أن يُقدَّم له.

٢٦: ٨، ٩ واعتبر **تلاميذه** خاصة يهوذا (يو١٢: ٤، ٥)، أنّ عملها هذا **إتلاف**. فإنّه من الأفضل أن **يُعطَى** المال **للفقراء**.

٢٦: ١٠ـ١٢ لكنّ يسوع صحّح تفكيرهم المغلوط، فصنيعها هذا لم يكن مُتلفًا بل جميلاً. وليس ذلك فحسب، إنّما أتى في الوقت الأمثل. إذ بالإمكان مساعدة **الفقراء في كل حين**، لكن توجد مرّة وحيدة في كل تاريخ العالم يمكن أن يُدهن المخلّص فيها بالطيب **لتكفينه**. وقد حانت الفرصة، واغتنمتها امرأة واحدة تتمتّع بالتمييز الروحيّ. ولكونها آمنت بتنبؤات المسيح عن موته، فقد أدركت أن فرصتها هي الآن وإلا فاتتها إلى الأبد. وبدت محقّةً في ذلك، فالنساء اللواتي خطّطن لدهن جسده بالطيب بعد دفنه أعاقتهنّ قيامته عن فعل ذلك (مر١٦: ١ـ٦).

٢٦: ١٣ لذا خلّد الربّ يسوع صنيع محبّتها الواضح بقوله: «**الحق أقول لكم، حيثما يُكرَز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبَر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها**». فكلّ أعمال العبادة الحقيقيّة ستملأ أرجاء السماء بالطيب، وتُسجَّل بطريقة لا تُمحَى من ذاكرة الربّ.

ج. خيانة يهوذا (٢٦: ١٤ـ١٦)

٢٦: ١٤، ١٥ حينئذٍ ذهب واحد من الاثني عشر ـ واحد من التلاميذ الذين عاشوا مع الرب يسوع، وسافروا معه، ورأوا معجزاته، وسمعوا تعليمه المنقطع النظير، وشهدوا معجزة حياته البارة ـ رجل كان يمكن ليسوع أن يدعوه «رجل سلامتي... آكل خبزي» (مز ٤١: ٩) ـ مع ذلك كان هو الرّجل الذي رفع عقبه على ابن الله. **ذهب يهوذا الاسخريوطيّ إلى رؤساء الكهنة واتّفق معهم** أن يبيعهم السيّد مقابل **ثلاثين من الفضّة**. ودفع الكهنة له فورًا المبلغ الحقير الذي يُقدَّر بحوالي ١٥ دولارًا.

ومن اللافت للانتباه التناقض الموجود بين المرأة التي مسحت يسوع في بيت سمعان، ويهوذا الإسخريوطي. ففي حين قدّرت تلك المرأة يسوع بشدّة، نرى يهوذا لا يَعتبِر له قيمة.

٢٦: ١٦ وهكذا ذهب الذي لم يرَ من يسوع إلاّ اللّطف، ليدبّر نصيبه من الصفقة المروّعة.

د. الفصح الأخير (٢٦: ١٧ـ٢٥)

٢٦: ١٧ وكان أوّل **أيّام الفطير**؛ الوقت الذي يُجمَع فيه كل الخمير من البيوت اليهودية. ويا لكثرة الأفكار التي فاضت في ذهن الربّ عندما أرسل تلاميذه إلى أورشليم لكي يُعدُّوا الفصح. فكلّ جزء من تلك الوجبة كان له مغزىً هامّ.

٢٦: ١٨ـ٢٠ أرسل يسوع تلاميذه ليبحثوا له عن رجل معيّن، لم يذكر اسمه، حتى يقودهم إلى البيت المحدَّد. ولربّما كان الغموض الذي أحاط بالتعليمات يهدف إلى إحباط المتآمرين. على أيّ حال، نرى هنا معرفة يسوع الكاملة بالأفراد، وأماكن وجودهم، واستعدادهم للتعاون. لاحظ هذه الكلمات، «**المعلّم يقول: إنّ وقتي قريب؛ عندك أصنع الفصح مع تلاميذي**». فقد واجه الربّ موته باتّزان كبير، ورتّب لوجبة الطعام بنعمة تامّة. وكم كان امتياز ذلك الرجل المجهول عظيمًا بأن يعير المسيح بيته ليعمل فيه الفصح الأخير!

٢٦: ٢١ـ٢٤ وفيما هم يأكلون أعلن يسوع لتلاميذه إعلانًا أذهلهم، فإنّ واحدًا من الاثني عشر سيسلّمه. عندئذٍ امتلأ التلاميذ بالحزن والغمّ، وابتدأوا يشكّون بأنفسهم. فسألوه كل واحد بمفرده، «**هل أنا هو يا ربّ؟**» ولمّا سأل جميعهم ما عدا يهوذا، **قال لهم** يسوع إنّه **الذي يغمس يده معه في الصحن**. وعند ذاك أخذ يسوع لقمة الخبز، وغمسها في مرق اللحم، وأعطاها ليهوذا (يو١٣: ٢٦) – وكانت تلك اللّقمة تعبيرًا عن المودّة الخاصّة والصداقة. وذكّرهم يسوع بأنّ ما يحدث له هو محتوم، ولكنّ هذا لا يرفع المسؤوليّة عن الخائن؛ **فكان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد**. لقد اختار يهوذا متعمّدًا أن يبيع مخلّصه وهكذا اعتُبر مسؤولاً عن فعله.

٢٦: ٢٥ أخيرًا عندما استفسر **يهوذا** بصراحة هل هو مسلّمه، **قال له** يسوع، «**أنت قلت**».

هـ. عشاءُ الربّ الأوّلُ (٢٦: ٢٦ـ٢٩)

نعلم من يوحنّا ١٣: ٣٠ أنّه حالما أخذ يهوذا اللقمة، خرج وكان الوقتُ ليلاً. ونستنتج من هذا أنّه لم يكن حاضرًا عند إقامة عشاء الربّ (مع أنّه يوجد خلاف كبير حول هذه النقطة).

٢٦: ٢٦ فقد أقام المخلّص ما يُعرَف بعشاء الربّ بعد

صنع الفصح الأخير. وكان العنصران الرئيسيّان فيه، الخبز والخمر، حاضرين على المائدة كجزء من طعام الفصح؛ إلاّ أنّ الربّ أضفى عليهما معنى جديدًا. **فهو أخذ الخبز أولاً، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: «خذوا، كلوا، هذا هو جسدي»**. وبما أنّ جسده لم يكن قد قدّم بعد على الصليب، فمن الواضح أنّه كان يتكلّم مجازيًّا، مستخدمًا الخبز استعارة لجسده.

٢٦: ٢٧، ٢٨ ويصحّ الكلام نفسه بالنسبة للكأس؛ فالإناء يُستخدَم للتعبير عن المحتوى. فالكأس تحوي نتاج الكرمة، وهذه كانت رمزًا لدمه **الذي للعهد الجديد**. فالمسيح سيقطع عهده الجديد غير المشروط بدمه الثمين الذي يسفكه **من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**. أمّا دمه فيكفي لغفران خطايا الجميع. أمّا أنّه سُفك **من أجل كثيرين** فمعنى ذلك أنّ فاعليّته تقتصر فقط على إزالة خطايا الذين يؤمنون به.

٢٦: ٢٩ بعد ذلك ذكّرهم يسوع بأنّه لن يشرب **من نتاج الكرمة** معهم ثانية حتى يرجع إلى الأرض ليملك. وعندها سيكون للخمر معنى جديد، حيث تعبّر عن الفرح والسعادة في **ملكوت** الآب.

وكثيرًا ما يُطرَح السؤال التالي، ماذا نستخدم في عشاء الربّ؟ الخبز المختمر أم الفطير، النبيذ المختمر أم غير المختمر؟ لا شكّ أنّ الربّ استخدم خبزًا فطيرًا ونبيذًا مختمرًا (كان كل الخمر مختمرًا في تلك الأيّام). ويجب على الذين يجادلون بأنّ الخبز المختمر يفسد الرمز (لأنّ الخميرة رمز إلى الخطية) أن يعرفوا أنّ الأمر ذاته يصحّ في تخمّر النبيذ. ومن المؤسف أنّنا ننشغل أحيانًا بعناصر عشاء الرب فننسى ربّ العشاء. ويشدد الرسول بولس على المعنى الروحيّ للخبز، لا على الخبز ذاته. «لأنّ فصحنا أيضًا، المسيح، قد ذُبح لأجلنا. إذًا لنعيّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشرّ والخبث، بل بفطير الإخلاص والحقّ» (١كو٥: ٧، ٨). فليست الخميرة التي في الخبز هي المهمّة، وإنّما الخمير الذي في حياتنا!

و. التلاميذ الواثقون بأنفسهم (٢٦: ٣٠ـ٣٥)

٢٦: ٣٠ وبعد عشاء الربّ، رنّمت جماعة التلاميذ الصغيرة تسبيحة كانت على الأرجح مأخوذة من المزامير ١١٣ـ١١٨ التي تشكّل ما سُمّي "الهلّيل العظيم". ثمّ تركوا أورشليم، وعبروا وادي قدرون، وصعدوا السفح الغربيّ من جبل الزيتون في طريقهم إلى جثسيماني.

٢٦: ٣١ كان يسوع قد أنذر تلاميذه، عن حقٍّ، طيلة مدّة خدمته على الأرض، بما سيأتي عليهم. فسيتفرّقون عنه في تلك الليلة، وسيملأ الخوف قلوبهم إذ يشهدون هبوب العاصفة. وهكذا يتركون سيّدهم لكي ينجوا بجلدهم. عندئذ تتحقّق نبوّة زكريّا: «اضرب الراعي، فتتشتّت الغنم» (زك١٣: ٧).

٢٦: ٣٢ ولكنّه لم يتركهم بلا رجاء. فمع أنّهم سيخجلون من علاقتهم به، فهو لن يتخلّى عنهم. وبعد قيامته من الأموات سيقابلهم في الجليل. فما أعظمه صديقًا رائعًا لا يخذل أحدًا البتة.

٢٦: ٣٣، ٣٤ قاطع **بطرس** كلام الربّ ليؤكّد له أنّه ولو تركه **الجميع** فهو لن يفعل ذلك. وصحّح يسوع له كلمة «**أبدًا**» بقوله له «**هذه الليلة... ثلاث مرّات**». فقبل أن **يصيح الديك** سينكر التلميذ المتهوّر سيّده **ثلاث مرّات**.

٢٦: ٣٥ شدّد **بطرس** على ولائه للمسيح مؤكّدًا أنّه يفضّل الموت معه على أن ينكره. ووافق على ذلك **جميع التلاميذ**. كانوا مخلصين في تصميمهم ويعنون ما يقولونه. لكنّهم لم يكونوا يعرفون أعماق قلوبهم بعد.

ز. المعاناة في جثسيماني (٢٦: ٣٦ـ٤٦)

لا يمكن لأحد أن يقترب من حادثة بستان جثسيماني بغير أن يدرك أنّه يتمشّى على أرض مقدّسة. ويشعر كل من يحاول أن يعلّق عليها بإحساس عظيم من الرهبة والتحفّظ. وكما كتب جي كنج *Guy King* "إنّ الطابع السماويّ لهذه الحادثة يخيف المرء من أن يفسدها إذا مسّها بطريقة ما".

٢٦: ٣٦ـ٣٨ أشار يسوع بعد دخوله جثسيماني (التي تعني معصرة الزيتون) على ثمانية من تلاميذه الأحد عشر أن يجلسوا معه وينتظروا، ثمّ أخذ بطرس وابني زبدي إلى داخل البستان. فهل يعني هذا أنّ التلاميذ يختلفون في ما بينهم في قدرتهم على مشاركة المخلّص في صراعه؟

ابتدأ يسوع يحزن ويكتئب. وصارح بطرس ويعقوب ويوحنّا **بأنّ نفسه حزينة جدًّا حتى الموت.** فمن المؤكّد أنّ هذا الحزن كان ناتجًا عن الهيجان العميق الذي ألمّ بنفسه القدّوسة وهو ينتظر صيرورته ذبيحة خطية من أجلنا. فنحن الخطاة عاجزون عن إدراك معنى أن يصير الذي لم يعرف الخطية خطية لأجلنا (٢كو٥: ٢١).

٢٦: ٣٩ ولا نستغرب أن يترك الربّ تلاميذه الثلاثة **ويتقدّم قليلاً** في البستان. فلم يكن باستطاعة أحد أن يشاركه في آلامه أو يصلّي صلاته: «**يا أبتاه إن أمكن أن تعبر عنّي هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت**».

ولئلاّ نفتكر أنّ هذه الصلاة عبّرت عن تردّد يسوع أو رغبته في التراجع عن سعيه، يجدر بنا أن نتذكّر الكلمات التي تفوّه بها في يوحنّا ١٢: ٢٧، ٢٨ إذ قال: «الآن نفسي قد اضطربت وماذا أقول: أيّها الآب نجّني من هذه السّاعة؟ ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه السّاعة. أيّها الآب مجّد اسمك». لذلك عندما صلّى يسوع لكي تعبر عنه الكأس لم يكن يطلب من الآب أن يُنقذه من الصليب. فالصّليب كان الغرض الأساسي من مجيئه إلى العالم!

كانت صلاة يسوع بيانيّة في أسلوبها، أي أنّ الهدف منها لم يكن الحصول على الاستجابة بقدر ما كان تعليمنا درسًا روحيًّا. فكأنّ المسيح كان يقول، "يا أبتاه، لو كانت لديك طريقة أخرى لخلاص الخطاة الفجّار تغني عن ذهابي إلى الصليب فأعلنها الآن لي! لكن ليكن معلومًا في كل هذا الأمر أنّي لا أرغب في أيّ شيء يتعارض مع مشيئتك".

ماذا كانت الإجابة لصلاة يسوع تلك؟ لا شيء فقد بقيت السّماء صامتةً. وعزّفنا هذا الصمت البليغ بأنّه ليس عند الله من طريق آخر لتبرير الخطاة المذنبين سوى موت المسيح المخلّص البارّ بديلاً منّا.

٢٦: ٤٠، ٤١ ولمّا جاء إلى **التلاميذ وجدهم نيامًا.** فأرواحهم كانت **نشيطةً** أمّا أجسادهم **ضعيفة.** ولا نجرؤ على إدانتهم عندما نفكّر بحياة الصلاة لدينا؛ فنحن نتمتّع بالنّوم أكثر من الصّلاة، ويتيه فكرنا باستمرار عندما ينبغي أن يقول لنا ما قاله لبطرس، «**أهكذا ما قدرتم أن تسهروا ساعة واحدة؟ اسهروا وصلّوا لئلاّ تدخلوا في تجربة**».

٢٦: ٤٢ فمضى أيضًا ثانية وصلّى، معبّرًا عن خضوعه لإرادة الآب. فهو مستعدّ ليشرب كأس الألم والموت حتى النّهاية. وقد حُتِمَ على المسيح أن يصلّي منفردًا. فمع أنّه علّم تلاميذه أن يصلّوا، وصلّى في حضورهم، فهو لم يصلِّ معهم البتّة. فتفرّد شخصه وعمله حالت دون مشاركة الآخرين في حياة الصلاة التي تميّز بها.

٢٦: ٤٣ـ٤٥ وعندما جاء إلى التلاميذ مجدّدًا وجدهم أيضًا نيامًا. ومرّة ثالثة ذهب وصلّى، أمّا هم فناموا. عندئذ قال الربّ لهم: «**ناموا الآن واستريحوا. هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلّم إلى أيدي الخطاة**».

٢٦: ٤٦ لقد ولّت فرصة السهر معه في جهاده. هوذا صوت وقع قدمَي الخائن صار مسموعًا. لذا قال يسوع: «**قوموا ننطلق**»، لا للهرب بل لمواجهة العدوّ. وقبل أن نترك البستان دعونا نتوقّف مرّة أخرى لنستمع إلى تنهّداته ونتأمّل في أحزانه ونشكره من كل قلوبنا.

ح. الغدر بيسوع والقبض عليه في جثسيماني (٢٦: ٤٧ـ٥٦)

تُعتبر الخيانة التي تعرّض لها المخلّص البارّ من قبل أحد خلائقه أغرب شذوذ حصل في تاريخ البشريّة. وليس بمقدورنا تفسير خيانة يهوذا الخسيسة الظالمة إلاّ بكونها إعلانًا للفساد البشري الكامل.

٢٦: ٤٧ فيما كان يسوع يتكلّم إلى الأحد عشر، جاء يهوذا **ومعه جمع كثير بسيوف وعصيّ**. حتمًا لم تكن الأسلحة فكرة يهوذا؛ فلم يسبق له أن رأى في المخلّص مقاومة جسديّة أو قتالاً. ولربّما كانت الأسلحة تلك إشارةً إلى تصميم رؤساء الكهنة والشيوخ على الإمساك بيسوع دون أيّة فرصة للهرب.

٢٦: ٤٨ أراد يهوذا استخدام القبلة كعلامة تساعد الجمع على تمييز يسوع من باقي التلاميذ. وهكذا سُخّرت علامة المحبّة في خدمة أحقر الأمور وأدناها.

٢٦: ٤٩ وفيما يهوذا يقترب من الربّ قال: «**السّلام يا سيّدي!**» **ثمّ قبّله**. وقد استُخدمت في هذه الفقرة كلمتان مختلفتان في الأصل اليوناني للإشارة إلى الكلمة قُبلة. الأولى، وترد في الآية ٤٨، هي الكلمة المعتادة للقبلة. أمّا الثانية في الآية ٤٩ فهي كلمة أقوى وتعبّر عن تقبيل متكرّر لإظهار العواطف.

٢٦: ٥٠ سأل يسوع يهوذا قائلاً: «**يا صاحب، لماذا جئت؟**» فكان لكلامه الهادئ الثاقب وقع لاذع مبكّت على يهوذا، لكنّ الأحداث بدأت الآن تتوالى بسرعة. فالجمع تقدّموا وألقوا الأيادي على يسوع دون أيّ تأخير.

٢٦: ٥١ عندئذٍ تقدّم واحد من التلاميذ، ونعرف من إنجيل يوحنّا أنّه بطرس، **واستلّ سيفه** وقطع أذن عبد **رئيس الكهنة**. ومن غير المحتمل أن يكون بطرس قد صوّب ضربته إلى الأذن، فقد كان ينوي بلا شكّ توجيه ضربة قاضية. لكنّ العناية الإلهيّة سمحت بأن يكون تمييزه ضعيفًا كالهدف الذي كان يسعى إليه.

٢٦: ٥٢ ويتألّق هنا الربّ يسوع مشرقًا في أخلاقه الجيدة. فهو أولاً يوبّخ بطرس قائلاً: «**ردّ سيفك إلى مكانه، كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون**». فالانتصارات في ملكوت المسيح لا تتحقّق بالوسائل الجسديّة، واللّجوء إلى قوّة السلاح للحرب الروحيّة

يدعو إلى الهزيمة. فليستخدم أعداء الملكوت قوّة السيف، فإنّهم سيُهزَمون في النهاية. بالمقابل، على جنديّ المسيح أن يلجأ للصلاة وكلمة الله وقوّى الحياة المملوءة بالروح القدس.

ويخبرنا الطبيب لوقا في إنجيله أنّ يسوع شفى أذن ملخس ـ لأن هذا كان اسمه (لو٢٢: ٥١؛ يو١٨: ١٠). أليس ذلك عرضًا رائعًا لعمل النعمة؟ فالربّ أحبّ أولئك الذين أبغضوه وأظهر الإحسان للذين كانوا يخطّطون لقتله.

٢٦: ٥٣، ٥٤ لو كان يسوع يرغب في مقاومة الجموع لما اقتصر دفاعه على سيف بطرس الضعيف. فقد كان في وسعه أن يطلب من الآب **فيرسل له** في لحظة من الزمن أكثر من **اثني عشر جيشًا من الملائكة** (أي بين ٣٦٠٠٠ و٧٢٠٠٠). لكنّ ذلك كان سيعرقل البرنامج الإلهيّ ليس إلاّ. فيجب أن **تُكمّل الكتب** التي تتنبّأ عن تسليمه وآلامه وصلبه وقيامته.

٢٦: ٥٥ حينئذ ذكّر يسوع الجموع بأنّ المجيء إليه بالسلاح لا يتّفق مع طبيعته. فإنّهم لم يروه يلجأ إلى العنف البتّة ولا رأوه يشترك في أعمال سلب. بل كان بالأحرى معلّمًا هادئًا يجلس كل يوم في **الهيكل**. لذا كان بإمكانهم أن يقبضوا عليه بسهولة لكنّهم لم يفعلوا ذلك، فلماذا يأتون الآن إليه **بسيوف وعصيّ**؟ كان تصرّفهم هذا غير معقول حتى من الناحية البشريّة.

٢٦: ٥٦ ومع ذلك فقد عرف المخلّص أنّ شرّ الإنسان هذا لم يكن لينجح إلاّ في تحقيق مشورة الله المختومة. «**وأمّا هذا كلّه فقد كان لكي تكمّل كتب الأنبياء**». وعندما أدرك **التلاميذ** أنّه لا نجاة تُرجى لمعلّمهم، تركوه جميعًا **وهربوا** مذعورين. وإن كان جبنهم بلا عذر فبالأولى جدًّا يكون جبننا نحن أيضًا بلا عذر. فحتى ذلك الوقت لم يكن الروح القدس قد سكن فيهم بعد؛ أمّا فينا فقد سكن.

ط. *يسوع أمام قيافا* (٢٦: ٥٧ـ٦٨)

٢٦: ٥٧ كان للربّ يسوع محاكمتان رئيسيّتان: محاكمة دينيّة أمام قادة اليهود، ومحاكمة مدنيّة أمام السلطات الرومانيّة. ويظهر من ربط الأحداث الواردة في الأناجيل الأربعة بعضها ببعض أنّ كل محاكمة كان لها ثلاث مراحل. فرواية يوحنّا عن المحاكمة اليهودية تُظهِر أنّ يسوع أُحضِر أمام حنانيّا الذي هو حمو قيافا. وتبدأ رواية متى من المرحلة الثانية التي جرت في بيت **قيافا، رئيس الكهنة** حيث كان السنهدريم مجتمعًا. وجرت العادة أن يُعطَى المتّهمون فرصة ليهيّئوا دفاعهم. ولكنّ القادة الدينيّين استعجلوا يسوع بعيدًا عن السجن والعدالة (إش٥٣: ٨)، ليسلبوه، بأيّة طريقة كانت، حقّه في محاكمة عادلة.

وفي تلك الليلة بالذات، أظهر الفرّيسيّون والصدّوقيّون والكتبة والشيوخ الذين كانوا يشكّلون السنهدريم تجاهلاً كاملاً للقواعد التي كان مفروضًا أن يعملوا بموجبها. فكان ينبغي ألاّ يجتمعوا في اللّيل، ولا في أثناء أيّ عيد من أعياد اليهود. وكان محرّمًا عليهم أن يرشوا شهودًا ليحنثوا بيمينهم. وكذلك لا يمكن لحكم الموت أن يصدر إلاّ بعد انقضاء اللّيل. أمّا الأحكام فلم تكن ملزمةً لمصدريها ما لم يجتمعوا في قاعة الحجر المنحوت في منطقة الهيكل. لكنّ اليهود، في تلهّفهم للتخلّص من يسوع، لم يتردّدوا في مخالفة قوانينهم الخاصّة.

٢٦: ٥٨ كان قيافا القاضي الذي ترأّس المحكمة، وقد قام السنهدريم على ما يبدو بدور هيئة المحلّفين وكذلك بدور الادّعاء أيضًا، وأقلّ ما يُقال في جمع الدّورين معًا أنّه غير منطقيّ. كان يسوع هو المدّعى عليه. أمّا بطرس فهو المتفرّج عن بعد، وكان يجلس مع الخدّام لينظر النهاية.

٢٦: ٥٩ـ٦١ لم يكن عثور قادة اليهود على شهادة زور ضدّ المسيح أمرًا سهلاً، فلو تمّموا المفروض في سير المحاكمات القضائيّة بالبحث أولاً عن أدلّة البراءة، لنجحوا أكثر جدًّا. وأخيرًا جاء **شاهدا زور**، وأدليا بتقرير محرّف عن كلام يسوع الذي قال فيه: «انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيّام أقيمه» (يو٢: ١٩ـ٢١). فبحسب قول الشاهدين، هدّد المسيح بنقض **الهيكل** في أورشليم، وبنائه من جديد. لكن في الحقيقة كان يسوع يتنبّأ عن موته وقيامته التي تتبع، أمّا اليهود فاستخدموا تلك النبّوة علّة لقتله.

٢٦: ٦٢، ٦٣ لم يتفوّه الربّ يسوع بكلمة أثناء تلك الاتّهامات: «كنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه» (إش٥٣: ٧). وانزعج رئيس الكهنة من صمت المسيح، فألحّ عليه ليقول شيئًا لكنّ المخلّص لم يجب. عند ذلك **قال له** رئيس الكهنة: «**أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟**» فناموس موسى يتطلّب من اليهوديّ أن يدلي بشهادته عندما يضعه رئيس الكهنة تحت القسم (لا٥: ١).

٢٦: ٦٤ ولمّا كان يسوع يهوديًّا خاضعًا للناموس، أجاب بقوله: «**أنت قلت**». ثمّ أكّد مسيحانيّته وألوهيّته بقوّة أعظم قائلاً: «**وأيضًا أقول لكم، من الآن تبصرون السماء مفتوحة، وابن الإنسان جالسًا عن يمين القوّة وآتيًا على سحاب السماء**». ومغزى قوله: "أنا المسيح، ابن الله، كما قلت لكم. مجدي الآن محجوب في جسدي البشريّ، لذلك أبدو مجرّد إنسانٍ عاديّ. أنتم ترونني في أيّام تواضعي. ولكن يأتي يوم، يراني فيه اليهود ممجّدًا معادلاً لله في كل شيء، جالسًا عن يمينه، وآتيًا على سحب السماء".

يخاطب يسوع قيافا في تصريحه الأوّل الوارد في الآية ٦٤ من ثمّ يتوجّه في حديثه لاحقًا إلى اليهود كممثّلين لبني إسرائيل الذين سيكونون على قيد الحياة أثناء مجيء المسيح المجيد، والذين سيرون بكلّ وضوح أنّه ابن الله الحيّ.

وقد كتب لنسكي *Lenski* في هذا الخصوص يقول، "يُصرّ بعضهم أحيانًا على أنّ المسيح لم يصرّح البتّة بأنه ابن الله، ولكنّنا نراه يُقسِم هنا أنّه ليس أقلّ من ذلك أبدًا".

٢٦: ٦٥ـ٦٧ فهم قيافا جوهر الحديث، فقد أشار يسوع إلى نبوّة مسيحانيّة من دانيآل: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء، مثل ابن إنسان أتى، وجاء إلى القديم الأيّام فقرّبوه قدّامه»(دا٧: ١٣). ونعلم من ردّة فعل رئيس الكهنة أنّه فهم أنّ يسوع يعترف بمساواته لله (انظر أيضًا يوحنّا٥: ١٨). لذلك **مزّق ثيابه**، إشارةً إلى تجديف الشاهد. وحرّضت كلماته السنهدريم ليحكم بأنّ يسوع مذنب. وعندما سأل المجلس عن رأيهم، أجابوه: «**إنّه مستوجب الموت**».

٢٦: ٦٨ انتهت المرحلة الثانية من المحاكمة بمشهد أهل القضاء يضربون المسيح ويبصقون عليه ويعيّرونه مشيرين عليه أن يستخدم سلطانه لمعرفة هويّة ضاربيه. لم يكن سير المحاكمة بجملتها منافيًا للقانون فحسب، وإنّما كان مخزيًا أيضًا.

ي. بطرس ينكر يسوع ويبكي بكاءً مرًّا (٢٦: ٦٩ـ٧٥)

٢٦: ٦٩ـ٧٢ حانت ساعة الظلام الدّامس في حياة بطرس. فبينما كان جالسًا خارجًا في الدار، جاءت إليه جارية واتّهمته بأنّه كان مع يسوع. فبادرها بإنكار سريع وقويّ يقول: «لست أدري ما تقولين» ثمّ خرج إلى الدهليز ربّما ليهرب من ملاحقة أخرى له. ولكن رأته فتاة أخرى وعرفته أنّه كان مع يسوع الناصريّ. وهذه المرّة حلف أنّه لا يعرف الرجل، و«الرجل» هو سيّده.

٢٦: ٧٣، ٧٤ وبعد قليل جاء عدد من المتفرّجين وقالوا له: «حقًّا أنت أيضًا منهم، فإنّ لغتك تظهرك». ولم يعد الإنكار البسيط كافيًا هذه المرّة؛ بل أصرّ بالأقسام واللّعنات قائلاً: «إنّي لا أعرف الرجل!» وصاح الديك في وقت عكّر السّكون.

٢٦: ٧٥ ولم يخترق الصوت المألوف هدوء ساعات الصباح الأولى فحسب، بل نفذ إلى قلب بطرس أيضًا. فخرج التلميذ الذليل إلى خارج، متذكّرًا ما قاله الربّ له، وبكى بكاء مرًّا.

يوجد تناقض ظاهريّ في الأناجيل بما يتعلّق بعدد مرّات الإنكار وتوقيتها. فقد كتب كل من متى ولوقا ويوحنّا عن يسوع قوله: «قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات» (مت٢٦: ٣٤؛ انظر أيضًا لوقا٢٢: ٣٤؛ يوحنا١٣: ٣٨). والنبوّة في مرقس هي، «... قبل أن يصيح الديك مرّتين، تنكرني ثلاث مرّات» (مر١٤: ٣٠).

يُحتمل أنّ الإشارة هي إلى صياح أكثر من ديك واحد. فربّما صاح واحد في الليل وآخر في الفجر. ويُحتمل أن تكون الأناجيل قد سجّلت ستّة حوادث مختلفة لإنكار بطرس للمسيح. فقد أنكره: (١) أمام جارية (مت٢٦: ٦٩، ٧٠؛ مر١٤: ٦٦ـ٦٨)؛ (٢) أمام جارية ثانية (مت٢٦: ٧١، ٧٢؛ مر١٤: ٦٩، ٧٠)؛ (٣) أمام الجمهور المتفرّج (مت٢٦: ٧٣، ٧٤؛ مر١٤: ٧٠، ٧١)؛ (٤) أمام رجل (لو٢٢: ٥٨)؛ (٥) أمام رجل آخر (لو٢٢: ٥٩، ٦٠)؛ (٦) أمام خادم لرئيس الكهنة (يو١٨: ٢٦، ٢٧). ونعتقد أنّ هذا الأخير يختلف عن الآخرين لأنّه قال: «أما رأيتك أنا معه في البستان؟» أمّا الباقون فلا يُذكَر أنّهم قالوا كذلك.

ك. المحاكمة الصباحيّة أمام السنهدريم (٢٧: ١، ٢).

حدثت المرحلة الثالثة من محاكمة يسوع الدينيّة أمام السنهدريم في الصباح. فلم تكن أيّ من الدعاوى القضائيّة تكتمل في اليوم الذي ابتدأت فيه، إلاّ إذا أُبرئت ساحة المتّهم. ومن المفروض أن تمرّ ليلة قبل أن يُعلَن الحكم: "ليكون لمشاعر الرحمة وقت للنهوض". ولكن في هذه القضيّة، بدا القادة الدينيّون مصمّمين على إخماد أيّ شعور بالرحمة. وبما أنّ محاكمات الليل كانت غير منتظمة، فقد عقدوا جلسة صباحيّة ليعطوا حكمهم صلاحيّة شرعيّة.

هذا ولم يكن لقادة اليهود، في ظلّ الحكم الرومانيّ، أيّة سلطة لإنزال عقوبة الإعدام. لذلك نراهم الآن يسرعون بأخذ يسوع إلى بيلاطس البنطيّ، الوالي

الرومانيّ. وبالرغم من كراهيّتهم الشديدة لكلّ ما يدعى رومانيًّا، قبلوا استخدام تلك السلطة ليُشبعوا كراهيّةً أعمق. فالعداوة ليسوع وحّدت ألدّ الأعداء فيما بينهم.

ل. ندم يهوذا وموته (٢٧: ٣-١٠)

٢٧: ٣، ٤ عندما أدرك **يهوذا** خطيّته بتسليم دم بريء، ردّ المال **إلى رؤساء الكهنة والشيوخ**. ومع أنّ هؤلاء المتآمرين قد تصرّفوا معه بحماس منذ ساعات قليلة، فهم الآن يرفضون عمل أيّ شيء بهذا الشأن. وهذه واحدة من عواقب الخيانة. عندئذ **ندم** يهوذا، ولكنّ ندمه هذا لم يكن توبة إلى الله تقود للخلاص. لقد تأسّف لآثار الجريمة على نفسه. ولكنّه مع ذلك لم يعترف بيسوع المسيح ربًّا ومخلّصًا.

٢٧: ٥ طرح يهوذا بيأس **الفضّة في الهيكل** حيث لا يدخل إلاّ الكهنة، **ثمّ مضى وخنق نفسه**. وبمقارنة هذه القصة بما جاء في أعمال الرسل ١: ١٨، نستنتج أنّه علّق نفسه على شجرة، حتى انقطع الحبل أو انكسر غصن الشجرة، واندفع جسده فوق الجرف، مسبّبًا انسكاب أحشائه.

٢٧: ٦ أمّا رؤساء الكهنة فقد رفضوا لشدّة "روحانيّتهم" أن يقبلوا الفضة في خزانة الهيكل لأنّها كانت ثمن دم، مع أنّهم هم الذين دفعوا ذلك المال ليُسلَّم إليهم المسيح. ويبدو أنّ هذا لم يزعجهم البتّة. فقد كانوا كما قال عنهم يسوع، ينقّون خارج الكأس، أمّا داخلها فمملوء خداعًا وغدرًا وقتلاً.

٢٧: ٧-١٠ واستخدموا المال لشراء حقل الفخاريّ، حيث يُدفن الأمم الغرباء المدنّسون، غير عالمين كم من الأمم سيغزون أرضهم ويرشّون شوارعهم بالدماء. فغدا ذلك الحقل **حقل دم** لتلك الأمّة المذنبة منذ ذلك الحين.

لقد حقّق رؤساء الكهنة بغير علمهم نبوّة زكريّا القائلة بأنّ مال الموت سيُستخدَم للشراء من الفخاري (زك ١١: ١٢، ١٣). ومن الغريب جدًّا أنّ الكلمة المترجمة "فخّاريّ" يُمكن أن تُترجم "خزانة" كما أوردت إحدى الترجمات في هذا المقطع من زكريّا.

وقد تردّد الكهنة من جهة وضع ثمن الدم في الخزانة، وهكذا حقّقوا النبوّة بحسب الترجمة المشار إليها بإعطاء ذلك المال للفخّاري مقابل حقله.

وينسب متى هذه النبوّة لإرميا مع أنّ من الواضح وجودها في كتاب زكريّا. وربّما يكون السبب أنّ إرميا كان في طليعة الدرج النبوي الذي استخدمه متّى. ويتّفق ذلك مع الترتيب القديم المحفوظ في العديد من المخطوطات العبريّة، والمألوف في تقليد التلمود. ونرى استخدامًا مشابهًا لذلك في لوقا ٢٤: ٤٤ حيث يسمّي كل القسم الثالث من الأسفار القانونية العبرية بسفر المزامير.

م. ظهور يسوع الأوّل أمام بيلاطس (٢٧: ١١-١٤)

كانت شكاوى اليهود الحقيقيّة على يسوع دينيّة بالدّرجة الأولى، وقد حاكموه على هذا الأساس. ولكنّ التّهم الدينيّة لم يكن لها وزن في المحاكم الرومانيّة. وإذ علموا ذلك، ألصقوا به ثلاث تهم سياسيّة عندما أحضروه إلى بيلاطس (لو٢٣: ٢) (١) كان يسوع قائد فتنة يسبّب تهديدًا للامبراطوريّة؛ (٢) كان يحثّ الناس على ألاّ يدفعوا الضرائب، وبذلك يضعفون ازدهار الامبراطوريّة؛ (٣) لقد ادّعى أنّه ملك، مهدّدًا بذلك سلطة الامبراطور ومركزه.

ونرى بيلاطس يستجوب يسوع في إنجيل متّى بشأن التّهمة الثالثة. فقد سأله هل هو ملك اليهود، وأجاب يسوع بأنّه كذلك. فأعقب جوابه هذا سيل من الشتائم والافتراءات عليه من قِبَل قادة اليهود. حينئذ تعجّب بيلاطس كثيرًا من صمت المدّعى عليه، إذ لم يردّ يسوع بشيء ولا على واحد من اتّهاماتهم. وربّما لم يسبق للوالي أن رأى أحدًا يصمت هكذا أمام تهجّم عنيف كهذا.

ن. يسوع أم باراباس؟ (٢٧: ١٥ـ٢٦)

٢٧: ١٥ـ١٨ اعتادت السلطات الرومانيّة أن تسترضي اليهود بإطلاق سراح أسير يهوديّ في عيد الفصح. وكان بين المؤهّلين لذلك الحكم باراباس، وهو يهوديّ متّهم بإحداث فتنة وقتل (مر١٥: ٧). وربّما كان معروفًا بين الشعب كمتمرّد على الحكم الرومانيّ. وعندما خيّرهم **بيلاطس بين يسوع** وباراباس، صاحوا طالبين الأخير. ولم يندهش الوالي، لأنّه عرف أنّ رؤساء الكهنة حرّضوا الرأي العامّ إلى حدّ ما لأنّهم كانوا يحسدون يسوع.

٢٧: ١٩ انقطع سير المحاكمة لحظة عندما أتت رسالة من زوجة بيلاطس، تحثّه فيها على تجنّب إنزال الأذى بيسوع ذلك لأنّها حلمت بشأنه حلمًا مزعجًا جدًّا.

٢٧: ٢٠ـ٢٣ كان **رؤساء الكهنة والشيوخ** يحثّون الجموع سرًّا على طلب إطلاق سراح باراباس وموت **يسوع**. لذلك عندما سأل **بيلاطس** الشعب ثانية أيّ الاثنين يريدونه حرًّا، صاحوا يطلبون تحرير القاتل. ولمّا وقع بيلاطس في شرك تردّده سأل اليهود: «**فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟**» فطالبوا جميعهم بصلبه، وهذا ما لم يفهمه الوالي. فلماذا يُصلَب؟ أيّ جريمة ارتكب؟ ولكن فاته الوقت لمناقشة الأمور بهدوء؛ فالجمع يصرخ بشدّة قائلاً، «**ليُصلَب**».

٢٧: ٢٤ عند ذاك تحقّق بيلاطس من إصرار الشعب على الأمر، وعرف أن الشغب يلوح في الأفق. لذلك غسل يديه قدّام الجمع، معلنًا براءته من دم المتّهم. ولكنّ الماء لا يمكن أبدًا أن يرفع عن بيلاطس ذنبه في أبشع عمليّة إسقاط للعدالة في التاريخ.

٢٧: ٢٥ كان الشعب شديد الهياج حتى إنّه لم ينزعج من جريمته، بل كان مستعدًّا لتحمّل اللّوم إذ قال: «**دمه علينا وعلى أولادنا!**». ومنذ ذلك الحين ما يزال شعب إسرائيل يترنّح بين الأقلّيات والمذابح الجماعيّة، وبين معسكرات الاعتقال وغرف الإعدام بالغاز، محتملين المعاناة بسبب ذنبهم الرهيب، ذنب رفض مسيحهم. وما يزالون يعيشون في خوف من مواجهة ضيقة يعقوب، تلك السنين السبع الموصوفة في متى٢٤ ورؤيا٦ـ١٩. وستبقى اللعنة تلاحقهم حتى يعترفوا بيسوع الذي رفضوه مسيحًا لهم وملكًا عليهم.

٢٧: ٢٦ أطلق بيلاطس باراباس للجمع، ومنذ ذلك اليوم وروح باراباس تسيطر على العالم. فالمجرم ما يزال على عرشه؛ بينما الملك البارّ مرفوض. بعد ذلك جُلد المحكوم عليه كما كانت العادة تقضي. وكان يُستخدم في عمليّة الجلد تلك سوط كبير من الجلد ينتهي بقطع معدنيّة حادّة. وكان السوط ينزل حارثًا على ظهره، فتشقّ كل جلدة جسده مطلقةً جداول من دمه. ولم يبقَ للوالي الضعيف شيء يفعله إلاّ أن يسلّم يسوع للعسكر ليُصلَب.

س. استهزاء العسكر بيسوع (٢٧: ٢٧ـ٣١)

٢٧: ٢٧، ٢٨ أخذ عسكر الوالي يسوع إلى قصر الحاكم وجمعوا عليه كل الكتيبة (ربّما كانت تُعدّ بضع مئات من الرجال). ويصعب جدًّا تصور ما حدث بعد ذلك، فخالق الكون وضابطه يعاني إهانات شديدة على يد جنود متوحّشين ومجرمين، وهم مخلوقاته الأشرار غير المستحقّين. فقد **عرّوه وألبسوه رداء قرمزيًّا**، تقليدًا لرداء الملك. ولكن في ذلك الرّداء درس لنا. فمن حيث أنّ القرمز مرتبط في الكتاب بالخطية (إش ١: ١٨)، فالفكرة بأنّ ذلك الرداء صورة لخطاياي التي وضعت على يسوع لكي يوضَع عليّ رداء البرّ، هي فكرة محبّبة لديّ (٢كو٥: ٢١).

٢٧: ٢٩، ٣٠ ضفروا إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه. ولكن إذا تجاوزنا سخريتهم البشعة، نرى أنّه لبس إكليل الشوك لكي نلبس نحن إكليل المجد. فقد استهزأوا به وكأنّه ملك الخطية ولكنّنا نعبده بوصفه مخلّص الخطاة.

وأعطوه أيضًا **قصبة**، أي صولجانًا للسخرية. ولم يعلموا أنّ تلك اليد التي أمسكت القصبة هي ذات اليد التي تحكم العالم. فيد يسوع المثقوبة تمسك بصولجان سيادة الكون بأجمعه.

وكانوا يجثون قدّامه، ويخاطبونه بصفته ملك اليهود. ولم يكتفوا بذلك، بل **بصقوا** على وجه الإنسان الوحيد الكامل، **ثمّ أخذوا القصبة وضربوه بها على رأسه.**

لكنّ يسوع احتمل كل هذا بصبر؛ ولم يقل كلمة: «فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلاّ تكلّوا وتخوروا في نفوسكم» (عب١٢: ٣).

٢٧: ٣١ وأخيرًا ألبسوه ثيابه، ومضوا به للصلب.

ع. صلب الملك (٢٧: ٣٢ـ٤٤)

٢٧: ٣٢ حمل الربّ صليبه قسمًا من الطريق (يو١٩: ١٧). **ثمّ سخّر العسكر رجلاً اسمه سمعان** (وهو من القيروان في شمال إفريقية) ليحمله عنه. يعتقد بعض الناس أنّه كان يهوديًّا، ويعتقد آخرون أنّه كان أسود البشرة. أمّا الأهمّ من ذلك فهو أنّه حصل على الامتياز الرائع في حمل صليب المسيح.

٢٧: ٣٣ «جلجثة» هي اللفظة الآرامية التي تعني **«جمجمة»**. وربّما كانت المنطقة شبيهه بالجمجمة أو أنّها أُعطيت اسمها لكونها مكانًا لتنفيذ الإعدام. أمّا موقعها فهو غير معروف بالتحديد.

٢٧: ٣٤ وقبل أن يدقّ العسكر المسامير في جسد يسوع، أعطوه خلاًّ ممزوجًا بمرارة ليشرب، وهو مخدِّر يُعطَى للمجرمين الذين تحت الحكم. لكنّ يسوع رفض أن يتناوله، فقد كان ضروريًّا له أن يحتمل خطايا الإنسان بالكامل، بغير أن يُخدِّر حواسّه أو يُخفّف آلامه.

٢٧: ٣٥ يصف متّى عمليّة صلب المسيح بطريقة بسيطة غير عاطفيّة، فهو لا يطلق العنان للوصف الدراميّ، ولا يلجأ إلى الكتابة الصحفيّة المثيرة، ولا يسهب في كتابة التفاصيل اليسيرة. لكنّه يذكر الواقعة بكلّ بساطة قائلاً: **صلبوه** ومع ذلك، فلن تسبر الأبديّة نفسها أغوار تلك الكلمة.

وكما هو متنبأ عنه في المزمور ٢٢: ١٨، فإنّ العسكر **اقتسموا ثيابه... وألقوا قرعة** على الرداء. وكانت تلك كل ممتلكاته الأرضيّة. ويقول دَنّي *Denney*: "إنّ الحياة الكاملة الوحيدة التي شهدها هذا

العالم هي حياة الذي لم يمتلك شيئًا، ولم يترك شيئًا وراءه سوى ثيابه التي كان يلبسها".

٢٧: ٣٦ كان هؤلاء العسكر يمثّلون عالَمًا من الناس الصّغار. ويبدو أنّهم لم يشعروا بأنّ التاريخ كان يُكتَب، فلو عرفوا لما جلسوا يحرسونه، بل لركعوا يعبدونه.

٢٧: ٣٧ ووضعوا فوق رأس المسيح عنوانًا: **يسوع ملك اليهود**. وتختلف كلمات العنوان هذا إلى حدّ ما في الأناجيل الأربعة. فيقول مرقس: «ملك اليهود» (١٥: ٢٦)، ويقول لوقا: «هذا هو ملك اليهود» (٢٣: ٣٨)، ويوحنّا: «يسوع الناصريّ ملك اليهود» (١٩: ١٩). وقد احتجّ رؤساء الكهنة بقولهم إنّه يجب ألاّ تكون الكتابة اعترافًا بالواقع، بل ادّعاء المتّهم بذلك. ومع ذلك فقد فرض بيلاطس قراره عليهم، تاركًا الحقيقة ليراها الجميع بالعبريّة واللاتينيّة واليونانية (يو١٩: ١٩ـ٢٢).

٢٧: ٣٨ وقد عُلِّق ابن الله بين لصّين. أفلم يتنبّأ إشعياء قبل ٧٠٠ سنة بأنّه أُحصِي مع أثمة (٥٣: ١٢) وكان اللّصان في البداية يعيّرانه ويذمّانه (ع٤٤)، ولكنّ واحدًا منهما تاب وخلص قبل فوات الأوان بقليل. وبعد ساعات قليلة، كان مع المسيح في الفردوس (لو٢٣: ٤٢، ٤٣).

٢٧: ٣٩، ٤٠ إن كان الصليب يُعلن محبّة الله، فإنّه يعلن أيضًا فساد الإنسان. وقد توقّف المارّة طويلاً ليحدّقوا إلى الراعي الذي كان يموت من أجل الرعيّة وقالوا: «**يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب**». هذه هي لغة العقلانيّين غير المؤمنين: "انزل فنؤمن". وهي أيضًا لغة المتحرّرين: "انزل عن الصليب؛ أي بكلام آخر: ارفع عثرة الصليب فنؤمن". وقد قال وليم بوث *William Booth*: "ادّعوا أنّهم كانوا آمنوا لو أنّه نزل عن الصليب، ولكنّنا نحن نؤمن لأنّه بقي مرتفعًا عليه".

٢٧: ٤١ـ٤٤ وانضمّ **رؤساء الكهنة والشيوخ** إلى جوقة السّاخرين. فصرخوا ببصيرة غير مقصودة منهم قائلين، «**خلّص آخرين، وأمّا نفسه فما يقدر أن يخلّصها**». ومع أنّهم قصدوا تعييره بذلك، فنحن اقتبسناه ترنيمة للتسبيح:

لم يقدر أن يخلّص نفسه الحبيب
لا بدّ أن يموت على الصليب
وإلاّ فالرحمة لن تأتي
إلى المعذّبين في الخطية
نعم، ينبغي أن ينزف المسيح ابن الله
حتى يتحرّر من الخطية الخطاة

ألبرت مدلاين Albert Midlane

كان هذا الأمر صحيحًا في حياة الربّ، إلاّ أنّه صحيح في حياتنا أيضًا. فنحن لا يمكننا أن نخلّص الآخرين في الوقت الذي نطلب فيه أن نخلّص أنفسنا.

لقد سخر القادة الدينيّون من قول يسوع إنّه المخلّص، ومن قوله إنّه **ملك إسرائيل**، ومن قوله إنّه **ابن الله**. حتى اللّصان انضمّا إليهم في تجديفهم. وهكذا اتّحد القادة الدينيّون مع المجرمين في احتقار إلههم.

ف. ثلاث ساعات من الظلام (٢٧: ٤٥ـ٥٠)

٢٧: ٤٥ كانت كل المعاناة والإهانات التي تحمّلها يسوع من أيدي الناس ثانويّة بالمقارنة مع ما يواجهه الآن. فمن **الساعة السادسة** (وقت الظهر) **إلى الساعة التاسعة** (١٠: ٣ بعد الظهر)، **كانت ظلمة** ليس على

أرض فلسطين فحسب، بل في نفسه المقدّسة أيضًا. فقد احتمل المسيح في ذلك الوقت لعنة خطايانا التي لا توصف. ففي تلك الساعات الثلاث، انصبّ عليه الجحيم الذي كنّا نستحقّه، وانسكب عليه غضب الله الذي استوجبته كل تعدّياتنا. لكنّنا نحن البشر لا نرى صورة آلامه بوضوح كامل، لأنّنا بكلّ بساطة لا نستطيع أن نعرف ما كان يعنيه المسيح أن يوفّي بنفسه كل مطالب الله العادلة لقاء الخطية. وأمّا ما نعرفه فهو أنّه في تلك الساعات الثلاث دفع الثمن، ووفّى الدين، وأكمل العمل اللاّزم لفداء الإنسان.

٢٧: ٤٦ ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر، **صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟»**. أما الجواب فموجود في المزمور ٢٢: ٣ «... وأنت القدّوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل». فبما أنّ الله قدّوس فهو لا يستطيع أن يتغاضى عن الخطية. بل على النقيض من ذلك، ينبغي له أن يُعاقب عليها. على أنّ الربّ يسوع لم تكن له أيّة خطية، لكنّه حمل بنفسه قصاص خطايانا. وعندما نظر الله إلى الأرض كقاضٍ، ورأى خطايانا على البديل البارّ، انفصل عن ابن محبّته. وهذا الانفصال عصر قلب يسوع فأخرج صرخةً أعطتها الشاعرة براونج تسمية جميلة هي "صرخة عمّانوئيل اليتيمة".

مزوك! هل يمكن أن ينفصل الله عن جوهره؟!
باعدت خطايا آدم بين الآب البارّ وابنه!!
هزّت الصرخة اليتيمة لعمّانوئيل عالمَه
وصعدت منفردة بلا صدى:
إلهي، أنا مهجور ومزوك منفرد!!

إليزابيث برونينج Elisabeth B. Browning

٢٧: ٤٧، ٤٨ عندما صرخ يسوع **«إيلي أيلي»، قوم من الواقفين هناك لمّا سمعوا قالوا إنّه ينادي إيليّا**. ومن غير الواضح هل اختلط الأسماء عليهم أو كانوا يستهزئون به. واستخدم أحدهم قصبة طويلة رفع عليها **إسفنجة** مغموسة بالخلّ وقرّبها من شفتيه. ويمكننا أن نستنتج من المزمور ٦٩: ٢١ أنّ هذا العمل لم يكن يرمي إلى إظهار الرحمة للمسيح، بل إلى زيادة أشكال آلامه.

٢٧: ٤٩ كان الموقف العامّ أن يتمّ الانتظار لرؤية هل يتمم إيليّا الدور الذي ينسبه إليه التقليد اليهوديّ بالمجيء لإغاثة البارّ. لكنّه لم يكن وقت مجيء إيليّا (ملاخي ٤: ٥)؛ بل كان وقت موت المسيح.

٢٧: ٥٠ وعندما **صرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم، أسلم الروح**. وتبيّن الصرخة العظيمة أنّ يسوع مات لا في حالة من الضعف، بل في ملء قوّته. أمّا أنّه أسلم روحه فذلك يميّز موته عن كل موت آخر؛ فنحن نموت لأنّ ذلك محتوم علينا، أمّا هو فمات لأنّه اختار ذلك. ألم يسبق أن قال: «أنا أضع نفسي لآخذها أيضًا، ليس أحد يأخذها منّي بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضًا» (يوحنا ١٠: ١٧، ١٨).

خالق الأرض وكلّ الأكوان
صار لعنة من أجل الإنسان.
مطالب النّاموس التي وضعها
بموته حتى النّهاية دفعها.
صنع الفصح بأصابعه المقدّسة
فأثبت الشوك الذي كلّل هامته المكرّسة.
استُخرجت المسامير التي ثقبت يديه
من مناجم صُمِّمت في الخفاء بساعديه.

كل الغابات بما فيها من أشجار خلق،
حتى التي عليها جسده قد تعلّق.
مات على صليب من خشب
مَن عمل التلّ الذي عليه انتصب.
والسماء التي أظلمت فوق رأسه
قد خلقها وبسطها فوق أرضه.
والشمس التي حجبت عنه وجهها
بقراره في الفضاء حفظ توازنها.
والحربة التي سفكت دمه الغالي
قد طبعتها في نيران الله العالي.
والقبر الذي وُضِع فيه جسده
قد نُحت في الصخر الذي صنعته يده.
والعرش الذي عليه الآن يظهر الحمل
كان له قبل الزّمَن منذُ أيّام الأزل.
إنّ مجدًا جديدًا يتوّج له الجبين
وله سوف تجثو كلّ رُكبة في العالمين.

ف. و. بيت *F.W.Pitt*

ص. *الحجاب المنشقّ* (٢٧: ٥١ـ٥٤)

٢٧: ٥١ في الوقت الذي أسلم فيه الربّ روحه، انشقّ **حجاب الهيكل** الثقيل الذي كان يفصل بين الغرفتين الرئيسيتين فيه. شقّته يدُ الله غير المنظور **من فوق إلى أسفل**. فحتّى ذلك الوقت كان الحجابُ يحول دون دخول أيّ إنسان إلى قدس الأقداس، مكان سكنى الله، ما عدا رئيس الكهنة. فقد كان بإمكان إنسان واحد فقط أن يدخل مرّة واحدة في السّنة إلى ذلك المسكن الداخليّ.

ونفهم من الرسالة إلى العبرانيّين أنّ الحجاب يمثّل جسد يسوع. وشقّه هو صورة عن بذل جسده بالموت عنّا، فبموته صار لنا «ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقًا كرّسه لنا حديثًا حيًّا، بالحجاب أي جسده» (عب ١٠: ١٩، ٢٠). وهكذا يستطيع الآن أصغر مؤمن أن يدخل إلى محضر الله مصلّيًا ومُسبّحًا في أيّ وقت. ولكن عسى ألاّ ننسى أنّ هذا الامتياز قد كلّف تأمينه ثمنًا غاليًا جدًّا، دم يسوع المسيح.

وقد سبّب موت ابن الله ثورة في الطبيعة وكأنّ الخليقة العديمة الحسّ شعرت مع خالقها. فقد حدثت زلزلة أدّت إلى **تشقّق الصخور**، وتفتّحت قبور كثيرة.

٢٧: ٥٢، ٥٣ لكن لنلاحظ أنّ هؤلاء **القديسين** لم يقوموا **من القبور** إلاّ **بعد قيامة** المسيح، وهكذا **دخلوا** أورشليم حيث **ظهروا لكثيرين**. ولا يخبرنا الكتاب المقدّس عن هؤلاء القدّيسين هل عادوا فماتوا أو مضوا إلى السماء مع الربّ يسوع.

٢٧: ٥٤ أقنع ذلك الاضطراب العنيف في الطبيعة، قائد المئة الروماني ورجاله أنّ يسوع هو ابن الله. فماذا عنى قائد المئة هذا؟ هل كان يعترف بيسوع المسيح ربًّا ومخلّصًا، أو أنّه اعترف بأنّ يسوع هو أكثر من إنسان؟ لا يمكننا أن نتيقّن من ذلك. ولكن يتضّح وجود شعور بالعظمة عنده، وإدراكه لكون الاضطرابات الطبيعيّة مرتبطة بطريقة ما بموت يسوع، لا بموت الذين صُلبوا معه.

ق. *النساء الأمينات* (٢٧: ٥٥، ٥٦)

يذكر الكتاب بشكل خاصّ النساء اللواتي خدمن الربّ بإخلاص، وتبعنه كل الطريق من الجليل إلى أورشليم. وبينهنّ **مريم المجدليّة**، **ومريم** أمّ **يعقوب ويوسي**، وسالومة، وزوجة **زبدي**. وتتألّق شجاعة تلك النّساء وتكريسهنّ للربّ برونق خاص. فقد بقين مع المسيح في الوقت الذي هرب فيه التلاميذ الرجال لحياتهم!

ر. الدفن في قبر يوسف الرامي (٢٧: ٥٧ـ٦١)

٢٧: ٥٧، ٥٨ لم يكن يوسف الراميّ، وهو عضو في السنهدريم، موافقًا على رأي المجلس القاضي بتسليم يسوع إلى بيلاطس (لو٢٣: ٥١). فإذا كان بقي حتى ذلك الحين تلميذًا سرّيًّا للمسيح، فإنّنا الآن نراه يضرب بالحذر عرض الحائط. وهكذا تقدّم إلى بيلاطس بكلّ جرأة، وطلب منه إذنًا بدفن سيّده. ويمكننا أن نتصوّر مفاجأة بيلاطس وغضب اليهود لكون عضو من السنهدريم يقف وقفة علنيّة كهذه من أجل المصلوب. في الحقيقة، كان دفن يوسف الراميّ لجسد يسوع دفنًا لحياته الاقتصاديّة والاجتماعيّة والدينيّة. فقد فصله عمله هذا إلى الأبد عن النظام الذي قتل الربّ يسوع.

٢٧: ٥٩، ٦٠ أخذ **يوسف الجسد** إذ سمح له بيلاطس وكفّنه بمحبّة **بكتّان نقيّ**، ووضع أطيابًا بين الأقمطة، ثمّ **وضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخر.** وأغلق باب القبر بحجر كبير مثل حجر الرحي قد وضع على قناة منحوتة في الصخر أيضًا.

وقد تنبّأ إشعياء قبل ذلك بقرون: «وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنيّ عند موته» (٥٣: ٩). وكان أعداؤه قد خطّطوا، بلا شكّ، أن يلقوا بجسده إلى وادي هنّوم لتأكله نيران النفايات، أو الثعالب. ولكنّ الله أفشل خططهم واستخدم يوسف لكي يُدفن يسوع مع الأغنياء.

٢٧: ٦١ وبعد ذهاب يوسف، بقيت **مريم المجدليّة وأمّ يعقوب ويوسي جالستين تجاه القبر.**

ش. القبر المحروس (٢٧: ٦٢ـ٦٦)

٢٧: ٦٢ـ٦٤ كان أوّل أيّام عيد الفصح، الذي سمّيّ يوم **الاستعداد**، هو يوم الصلب. واضطرب **رؤساء الكهنة والفرّيسيّون** في اليوم التالي إذ تذكّروا ما قاله يسوع عن قيامته، فمضوا إلى **بيلاطس** وطلبوا منه حراسة خاصّة للقبر. وكان ذلك من قبيل الادّعاء بأنّهم يريدون منع التلاميذ من سرقة جسده، لئلاّ يشيعوا أنّه قام من بين الأموات. وإلاّ **تكون الضلالة الأخيرة أشرّ من الأولى**؛ أي إنّ إشاعة خبر قيامته أشرّ من ادّعائه بأنّه المسيح ابن الله.

٢٧: ٦٥، ٦٦ أجابهم بيلاطس: «**عندكم حرّاس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون**». وربّما كان يعني بذلك أنّه قد سبق فعيّن لهم حرّاسًا رومانيّين. أو لعلّه قصد أن يقول: "منحتكم طلبتكم. أنا أعيّن لكم الآن حرّاسًا". ألعلّ صوت بيلاطس كان ينمّ عن سخرية عندما قال لهم: «**واضبطوه كما تعلمون**؟» على أيّ حال لقد عملوا أحسن ما يمكنهم. فختموا الحجر ووضعوا حرّاسًا، ولكن أفضل الإجراءات الأمنيّة التي اتّخذوها لم تكن كافيه لحفظ يسوع في القبر. ويقول أنجر *Unger* في هذا الخصوص:

> "لم تنتج احتياطات أعداء المسيح «بختمهم للقبر وحراسته»، (٦٢ـ٦٤)، إلاّ تسامي الله فوق خطط الأشرار وتقديمه البرهان الأكيد على قيامة الملك".

١٥ـ انتصار الملك (اص٢٨)

أ. القبر الفارغ والربّ المقام (٢٨: ١ـ١٠)

٢٨: ١ـ٤ جاءت المريمتان قبل فجر الأحد لتنظرا القبر. **وإذا زلزلة عظيمة حدثت. إذ كان ملاك... قد نزل من السماء ودحرج الحجر** عن باب القبر، **وجلس عليه.**

وغاب **الحرّاس** الرومانيّون عن وعيهم وارتعبوا لرؤية ذلك المتألق المكتسي ملابس بيضاء.

٢٨: ٥، ٦ أكّد الملاك للمرأتين أنّه لا شيء يدعو للخوف. فالذي تطلبانه قد قام كما وعد. «**هلمّا انظروا الموضع الذي كان الربّ مضطجعًا فيه**». فقد دُحرِج الحجر لا ليخرج الربّ من القبر، وإنّما لترى المرأتان أنّه قد قام.

٢٨: ٧ـ١٠ ثمّ انتدب الملاك المرأتين لكي تذهبا **بسرعة** وتخبرا **تلاميذه**. فالربّ حيّ من جديد وسيلاقيهم في **الجليل**. وإذ كانتا منطلقتين لتبليغ الرسالة بعد رؤية القبر الفارغ، لاقاهما يسوع نفسه، وحيّاهما بقوله: «**سلام!**» وتجاوبتا مع تلك التحيّة بالسجود عند **موطئ قدميه** وعبادته. ثمّ أرسلهما شخصيًّا لكي تخبرا التلاميذ بأنّه سوف يراهم في **الجليل**.

ب. إعطاء العسكر رشوة ليكذبوا (٢٨: ١١ـ١٥)

٢٨: ١١ حالما استعاد الحرّاس وعيهم، ذهب بعض منهم إلى رؤساء **الكهنة** ليخبروهم عن فشلهم في مهمّتهم! فالقبر فارغ!

٢٨: ١٢، ١٣ وليس من الصّعب تصوّر الرعب الذي شعر به قادة الدين. فقد عقد الكهنة اجتماعًا سرّيًّا **مع الشيوخ** لتنظيم خططهم. وفي يأسهم رَشوا **العسكر** ليُشيعوا قصّةً خياليّة تفيد أنّه فيما كانوا نيامًا جاء التلاميذ وسرقوا جسد يسوع.

يُثير هذا التفسير الذي لفّقوه أسئلةً أكثر من تلك التي يجيب عنها. فلماذا نام الحرّاس حين وجب عليهم أن يكونوا يقظين؟ وكيف استطاع التلاميذ أن يدحرجوا الحجر دون أن يوقظوهم؟ وكيف نام جميع الحرّاس في وقت واحد؟ وإذا كانوا نيامًا فكيف عرفوا أنّ التلاميذ هم الذين سرقوا الجسد؟ وإذا كانت القصّة صحيحة، فلماذا كانت الرشوة ضروريّة ليخبروا بها؟ وإذا كان التلاميذ سرقوا الجسد، فلماذا أمضوا وقتًا في رفع الأكفان وطوي المنديل؟ (لو٢٤: ١٢؛ يو٢٠: ٦، ٧).

٢٨: ١٤ والحقيقة هي أنّ العسكر قبضوا ثمن القصّة التي يتّهمون أنفسهم فيها؛ فالنوم في أثناء أداء الواجب يُعاقَب بالموت في ظلّ القانون الرومانيّ. لذلك تعهّد القادة اليهود أن يتدخّلوا ويشفعوا بهم إذا **سُمِع ذلك عند الوالي**. هكذا تعلّم السنهدريم اليهودي أنّ الحقيقة تثبت ذاتها بذاتها، أمّا الأكذوبة فتحتاج إلى أكاذيب أخرى لدعمها.

٢٨: ١٥ ومع ذلك بقيت تلك الخرافة شائعة عند كثير **من اليهود إلى هذا اليوم**، وهي موجودة بين الأمم أيضًا. وقد لفّقت خرافات أخرى كثيرة في هذا الصّدد، يلخّص ويلبور سميث *Wilbur Smith* اثنتين منها:

١ـ أولاً، اعتقد بعضهم أنّ المرأتين ذهبتا إلى قبرٍ آخر غير قبر يسوع. لكن فكّر بهذا الأمر للحظة من الزمن. فهل يُمكنك أن تخطئ قبر إنسان عزيز عليك في فترة زمنيّة تمتدّ من بعد ظهر يوم الجمعة إلى صباح يوم الأحد؟ زد على ذلك أنّ تلك لم تكن مدافن يوسف الرامي، بل كانت حديقته الخاصّة، ولم تكن ثمّة مقابر أخرى هناك. ثمّ إذا سلّمنا بأنّه كانت هناك مقابر أخرى، مع أنّه لم يكن، وافترضنا أنّ المرأتين تعثّرتا في الطريق وقد اغرورقت أعيُنهما بالدّموع فوصلتا إلى القبر المغلوط. فلو افترضنا صحّة كل ذلك بالنّسبة

للمرأتين، لَبقي الأمر مستحيلاً. فسمعان بطرس ويوحنّا الصيّادان القويّان، ذهبا إلى القبر وما كانا يبكيان، ووجداه فارغًا. فهل تظنّ أنّهما ذهبا إلى القبر المغلوط؟ والأكثر من ذلك انّهما عندما وصلا إلى القبر ووجداه فارغًا، رأيا الملاك الذي قال: «ليس هو ههنا. لأنّه قام هلمّا انظروا الموضع الذي كان الربّ مضطجعًا فيه» فهل ذهب الملاك أيضًا إلى الموضع المغلوط؟ ومع ذلك، لا تنسَ أنّ عباقرة قد جاؤوا بهذه النظريّات. إلاّ أنّ هذه النظريّة تافهة ليس إلاّ.

٢ـ ارتأى آخرون أيضًا أنّ يسوع لم يمت بل أغمي عليه؛ ثمّ انتعش وعاد إلى الحياة في هذا القبر الرطب الذي خرج منه بعدئذ. وكان حجر كبير قد دُحرج على باب القبر الذي خُتم بأختام الحكومة الرومانيّة. ولم يكن بمقدور أيّ إنسان أن يدحرج الحجر من داخل القبر لأنّه كان ينزل على أخدود سكّة منحدرة إلى أسفل. وهكذا لم يخرج الربّ من القبر كعليل أصيب بالإعياء لفقر الدمّ.

أمّا حقيقة الأمر البسيطة فهي أنّ قيامة الربّ يسوع حدث تشهد له أدلّة تاريخيّة كثيرة. فهو أظهر نفسه حيًّا لتلاميذه بعد موته وقيامته ببراهين كثيرة وثابتة. ولنلاحظ هذه الحوادث المعيّنة التي ظهر فيها الربّ لخاصّته:

١ ـ لمريم المجدليّة (مر١٦: ٩ـ١١)

٢ ـ للمريمتين (مت٢٨: ٨ـ١٠)

٣ ـ لبطرس (لو٢٤: ٣٤)

٤ ـ للتلميذين على طريق عمواس (لو٢٤: ١٣ـ٣٢)

٥ ـ للتلاميذ أثناء غياب توما (يو٢٠: ١٩ـ٢٥)

٦ ـ للتلاميذ أثناء وجود توما (يو٢٠: ٢٦ـ٣١)

٧ ـ للتلاميذ السبعة على بحر الجليل (يو٢١)

٨ ـ لأكثر من خمسمئة مؤمن (١كو١٥: ٧)

٩ ـ ليعقوب (١كو١٥: ٧)

١٠ ـ للتلاميذ على جبل الزيتون (أع١: ٣ـ١٢)

تعتبر الأدلّة التاريخيّة على قيامة الربّ يسوع من بين الأموات حجرًا عظيمًا من أحجار الأساس في الإيمان المسيحي، وهذا الحجر لا يمكن أن يتزحزح ولا أن يهتزّ. وهكذا بإمكاننا أن نرفع الرأس في معركة الدّفاع عن الإيمان المسيحي لأنّ موقفنا لا يمكن أن يُنتقض. فقد يختار بعضُهم إنكاره لكن لا يمكن لأحد أن يُثبت بطلانه.

ج. *المأموريّة العظمى* (٢٨: ١٦ـ٢٠)

٢٨: ١٦، ١٧ ظهر الربّ يسوع المُقام لتلاميذه في الجليل على جبل لا يذكر متى اسمه. وهو نفسه الظهور المسجّل في مرقس١٦: ١٥ـ١٨؛ كورنثوس الأولى١٥: ٦. ويا له من لقاء رائع! فآلام المسيح ولّت بغير رجعة؛ ولأنّه هو حيّ فهم سيحيون أيضًا وهكذا وقف أمامهم بجسده الممجّد، فسجدوا للربّ الحيّ المحبّ مع أنّ الشكّ بقي في أفكار بعضهم.

٢٨: ١٨ عندئذ صرّح الربّ لهم قائلاً: **دُفِع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض.** ومع أنه كان دائمًا يتمتع بالسلطان الكامل، فقد كان يتكلم هنا عن سلطانه بوصفه رأس للخليقة الجديدة. فبعد موته وقيامته صار له السلطان ليعطي حياة أبدية لكل الذين أعطاه الله إياهم (يو١٧: ٢). ومع أنه كان دائمًا يتمتع بالسلطان لكونه بكر كل خليقة، فهو الآن، وقد أكمل عمل الفداء، صار له السلطان بصفته البكر من بين الأموات «لكي يكون هو متقدّمًا في كل شيء» (كو١: ١٥ـ١٨).

٢٨: ١٩، ٢٠ وقد أصدر الربّ، باعتباره رأس الخليقة الجديدة، المأموريّة العظمى التي تحتوى على أوامر جليّة لجميع المؤمنين خلال مرحلة الملكوت الحاضرة، أي في الفترة الممتدّة بين رفض الملك ومجيئه الثاني.

وتحوي هذه المأموريّة ثلاث توصيات وليس مجرّد اقتراحات:

١- «**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**» وهذا لا يفترض أنّ العالم كلّه سيرجع للربّ. لكن من خلال كرازة التلاميذ بالإنجيل سيتعلّم الآخرون عن المخلّص وسيصمّم بعضهم على اتّباعه، من كل أمّة وقبيلة وشعب ولسان.

٢- «**وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**». وضع المسيح على عاتق رسله مسؤوليّة التعليم عن المعموديّة والتوصية بإطاعة أمرها. فبمعمودية المؤمن، يعلن المسيحيّ جهرًا اتّحاده الشخصيّ بالله المثلّث الأقانيم. وهكذا يعترف بأنّ الله أبوه، وأنّ المسيح يسوع هو ربّه ومخلّصه، وأنّ الروح القدس يسكن فيه ويقوّيه ويعلّمه. وتأتي الكلمة «**اسم**» في الآية ١٩ في صيغة المفرد. فالاسم والجوهر واحد مع أنّ الأقانيم ثلاثة: **الآب والابن والروح القدس**.

٣- «**وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**». تتخطّى المأموريّة هذه حدود خدمة التبشير، فيجب ألاّ نكتفي بمجرّد هداية الناس للمسيح ثمّ تركهم يصارعون لوحدهم، لكن يجب علينا أن نعلّمهم أن يحفظوا وصايا المخلّص كما يعلنها العهد الجديد. فأساس التلمذة هو أن يصبح التلميذ مشابهًا لمعلّمه. ويتحقّق ذلك بالتعليم النظامي لكلمة الله والخضوع لها.

عندئذٍ أضاف الربّ وعدًا يؤكّد حضوره المستمرّ مع تلاميذه حتى انقضاء الدهر. فهم لن يذهبوا إلى العمل وحدهم بلا مُعين، بل سيختبرون رفقة ابن الله لهم في كل خدماتهم وتجوالهم.

ولنلاحظ هنا صيغ الشموليّة الأربع المرتبطة بالمأموريّة العظمى: **كل سلطان؛ جميع الأمم؛ جميع ما أوصيتكم به؛ كل الأيّام**.

وهكذا يختم البشير متّى إنجيله بمأموريّة الربّ المجيدة لتلاميذه وتعزيته لهم. وبعد نحو عشرين قرنًا من الزمان ما تزال كلماته تلك تحمل الوقع ذاته وتشير إلى الحاجة ذاتها داعيةً إلى التطبيق عينه. فالمهمّة لم تكتمل بعد. وماذا ترانا نفعل لتحقيق وصيّته هذه الأخيرة؟